

تليجرام : هنا سور الأزبكية
أكبر مكتبة رقمية
لطفي رضوان
محمد عبد الوهاب
سيرة ذاتية



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد
نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش
رئيس التحرير : مصطفى نبيل
سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة:

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
KITAB AL-HILAL

العدد ٤٨٦ - ذو القعدة - يونيه ١٩٩١
NO- 486- JU. 1991

فاكس FAX 3625469

أسعار البيع للعدد فئة ٢٥٠ قرش

الأردن ٢٠٠٠ فلس السعودية ١٥ ريالا

عندما تكلم

محمد عبدالوهاب

سيرة ذاتية

بقلم

لطفي رضوان



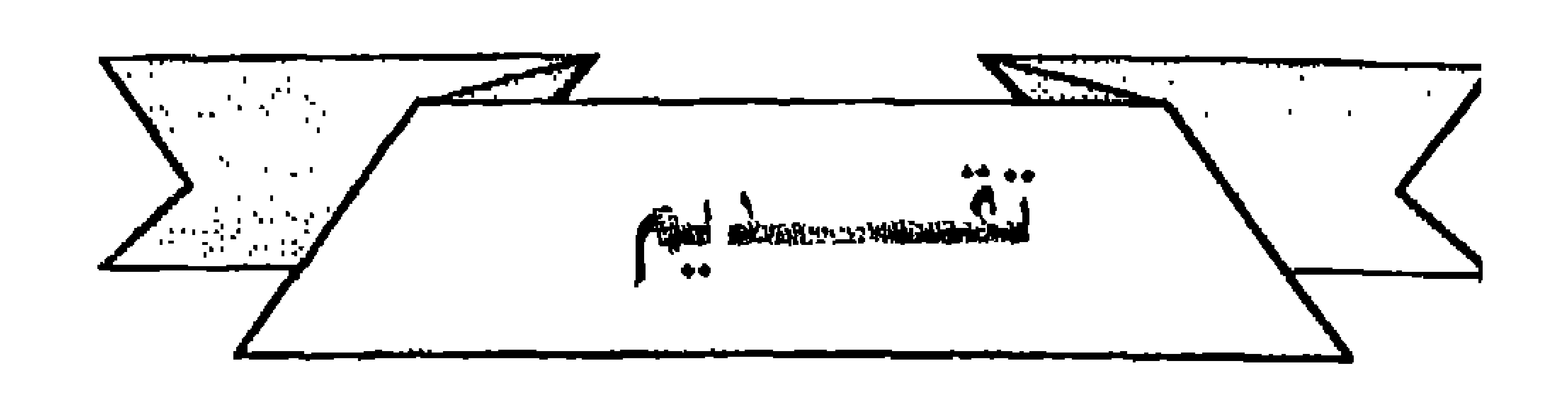
دار الهلال



الغلاف بريشة الفنان :

محمد أبو طالب





رحل محمد عبد الوهاب يوم ٣ مايو ١٩٩١ ، بعد أن قطع مشوارا طويلا فى محراب الكلمة الشجية والنغم !

كانت بدايته مع مطلع هذا القرن ، مجرد فتى صغير ، نحيل ، يرتدى الجلباب والقبقاب ، ويعفر جبهته تراب حى باب الشعرية ، ولا يصدق من يراه - وقتئذ - أنه سيصل إلى قمة القمم فى الموسيقى والغناء ، وأنه مع نهاية هذا القرن ستودعه مصر كلها فى جنازة مهيبة عسكرية وشعبية ! .

لقد رأيت فى يوم وداعه كل « سميعة » مصر يحيطون بمسجد رابعة العدوية بمدينة نصر ، واقفين فى صبر عبر الشوارع المؤدية إليه ، وجميعهم مثلى يودون إلقاء النظرة الأخيرة على موكب عملاق الأداء المؤثر فى نفوس عشاق كل فن أصيل !

وتساقطت الدموع من عينى أنهارا ، وأنا أصرخ فى أعماقى :لماذا رحلت عنا يا أحلى البلابل صوتا ؟! لماذا تركتنا

يتامى وسط هذا الركام من الأغانى الهابطة والأصوات القريبة من نقيق الضفادع ؟! .

وجرى بخاطرى فى ذلك اليوم وأنا ألمح الوجوم على وجوه عشاق فنه أن أناديه . يا زعيم المجددين وكروان الشرق ومطرب النيل وموسيقار الجيلين والعملاق صاحب الأسطوانات البلاتينية وحامل قلادة الجمهورية ، صدقنى - وأنت بين يدى باريك - إننا سنظل أكثر تمسكا بأعمالك الفنية الخالدة ، وستظل متربعا فى قلوبنا وقلوب الأجيال القادمة دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب من موضعك ، لا فى مصر وحدها ولا فى كل عالمنا العربى !

فأنا وغيرى من الملايين مازلنا رافضين لهؤلاء الذين أوقعوا الأغنية فى جحيم من الفوضى والتسيب وقلة الذوق ، ومازلنا متعلقين بك فى غيابك كلما استمعنا إلى كنوزك الفنية التى هى كالجواهر المصقولة التى يزداد بريقها مع الأيام !

إننا لم نعد نسمع فى أغانينا - يا مطرب الصبا والجمال- عما يضاهى أو حتى يقترب من « دعاء الشرق » أو « جبل التوباد » أو « الكرنك » أو « كليوباترا » أو « الجندول » !

ومازلنا مشدودين إلى ليالينا الجميلة . عندما كنا نرتوى « بعاشق الروح ووردة الحب الصافى وحلم لاح لعين الساهر ومسافر زاده الخيال وطول عمرى عايش لوحدى وقالوا لى هان الود عليه » والمئات الأخرى من أغانيك وألحانك التى تجمع بين الفطرة السليمة وحرارة الروح وشفافية المشاعر وارتواء النفس بجمال المعنى وفصاحة القول !

إننى والملايين غيرى مازلنا أسرى الحنين إلى هذا الجبل الشاهق الذى تركته خلفك يا سيد النغم وعملاق الأداء المؤثر فى كل النفوس !

ولهذا فإننى بهذا الكتاب الذى أضمنه صفحات المذكرات التى رويتها أمامى عام ١٩٥٤ ، وأسرد فيه خلاصة أقوالك أثناء رحلتى معك طوال السنوات الماضية . إنما أودع فيك آخر جيل العمالقة ، فأنت عملاق لأكثر من نصف قرن ، منذ أن تحمس لفنك أمير الشعراء أحمد شوقى والسياسى البارع مكرم عبيد وكاتبنا الكبير عباس العقاد الذى قال عنك وهو فى قمة التأثر بروعة أدائك وتعبيرك عن الكلمات ببساطة وجاذبية لم يعهدها المستمع طوال عهد البشارف والموشحات والدواليب:

إيه عبد الوهاب إنك شادٍ

يطرب السمع والجوا والفؤادا

قد سمعناك ليلة فعلمنا

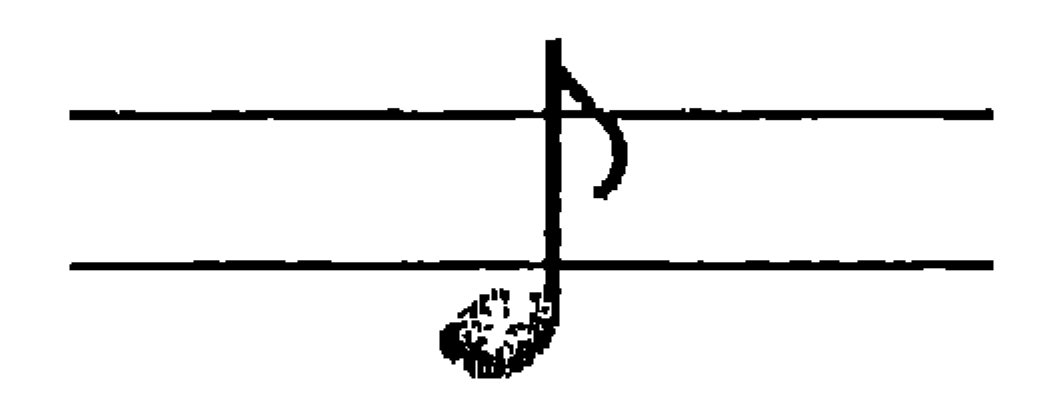
كيف يهوى المعذبون السهادا

وقد كان هذا القول شهادة خالصة بأنك قمة فى الموسيقى والغناء ، وأنك أنطلقت بهما إلى عالم رحيب من التجديد والابتكار .

لطفى رضوان



من حلقات الذكر
إلى المسرح !





صورة تذكارية للموسيقار عبد الوهاب وهو في العاشرة من عمره ، وفي هذه الفترة التحق بفرقة المرحوم

... الوهاب مع المطربة فتحية ...
... عندما كان الاثنان يشتركان ...
... فرقة عبد الرحمن ...

جاءت أسرتي من « أبو كبير » بالشرقية .

وعندما توفى جدى ، ترك خلفه ولدين يتلقيان علومهما بالأزهر الشريف ، هما والدى الشيخ عبدالوهاب محمد ، وعمى الشيخ محمد أبوعيسى.

ولم يستطع والدى أن يواصل علومه بالأزهر ، ولكن عمى ظل بهذا الصرح العلمي العريق حتى نال إجازة العالمية .

وكان الدين الحنيف يربط الأسرة كلها برباط وثيق ، ويكاد يطبع حياة كل فرد من أفرادها ، حتى أن أبى كان شيخاً لمسجد « الشعرانى » ، كما كان عمى إماماً لهذا المسجد ، وأصبح باب الشعرية – وحى الشعرانى بالذات – مستقر الأسرة الثانى بعد أبو كبير .

وفى هذه البيئة الدينية ، ولدت ونشأت مع أربعة أشقاء ، أولهم الأخ الأكبر حسن ، والأصغر أحمد .. وشقيقتان ، هما عائشة وزينب ، اللتان اختارهما الله إلى جواره .

وقد جاء مولدى فى ١٣ مارس من عام ١٩١٠ ، أى بعد رحيل الزعيم مصطفى كامل عن مصر بحوالى عامين كانت فيهما الأمة تحاول أن تضمد جراحها وأن تمضى على طريقه راسمة شعاره « كل احتلال أجنبى هو عار على الوطن وبنيه ».

وما إن بلغت الخامسة من عمرى حتى ألحقنى والدى بكتاب فى الحى لأتلقى فيه مبادىء العلوم ، وكان فى مقدمة تلك العلوم حفظ القرآن الكريم ، وبعض دروس فى قواعد اللغة العربية والحساب .

وفى ذلك الزمان كان « الكتاب » بمثابة جامعة ، وكانت علومه القليلة تكفى المرء ليواجه مستقبله فى الحياة .

ولكننى على الرغم من ذلك كنت تلميذا خاملا بليدا ، وعلى الخصوص فى مادة الحساب ، التى كنت أحس بشىء فى طبيعتى ينفر منها ويمقتها ، وكنت على حداثتى أتساءل عن الفائدة من تحصيل العلوم التى لاتتفق مع الاستعداد أو الميل الطبيعى للتلميذ ، ولماذا لايقوم التعليم على تشخيص المواهب والاستعداد الطبيعى واختيار العلم أو الفن الصالح والملائم لهذه المواهب ، وما الفائدة مثلا من تعليمى حساب الأرقام أو جغرافية الممالك مادامت طبيعتى تعاف البحث فى هذه الأمور؟! وما دام هذا لن ينفعنى مستقبلا فى قليل أو كثير؟!

ومجمل القول أن احساساتى الطبيعية كانت فى واد وعلوم « الكتاب » فى واد آخر ، ولهذا السبب كنت « زبونا » مستديما « للفلقة » التى كانت « بعبع » تلاميذ زمان ، وكنت كلما شكوت لأبى ما أناله من الضرب فى « الكتاب » زادنى من عنده علقة أخرى ساخنة ! فقد كانت الشكوى من تأديب المدرسين فى ذلك الحين تعد



صورة نادرة لمحمد عبد الوهاب
يقف خلف شقيقه الأكبر فى وداعة وحب



صورة تذكارية [illegible] وهاب مع المرحوم احمد شوقي [illegible] حفلة شاي
أقيمت له ، ويرى المرحوم أحمد شوقي وقد جلس الى يساره عبد الوهاب وظهر خلفه الدكتور سعيد

فى ذاتها ذنبا لايغتفر ، وجريمة لايقترفها إلا كل تلميذ غير مخلص للعلم ، حتى اضطررت إلى اخفاء عقوباتى المدرسية ، « لاطفش » من عقوباتى المنزلية !

ورغم ما كنت أتعرض له من قسوة فى سبيل تلقينى مبادىء العلوم ، فلم أستطع أن أفقه شيئا فيها ، لأن ميلى الطبيعى الذى ينفر منها ، كان أقوى من عدسا أبى وعصا المدرسين جميعا ..!

ولكن شيئا واحدا أقبلت عليه بشغف من بين علوم الكتاب، ذلك هو القرآن الكريم ، ولست أدرى لماذا يشغف تلميذ فى الخامسة من عمره بحفظ آيات القرآن ، اللهم إلا إذا كان يملك استعدادا نفسيا مبكرا للتجاوب مع لغة الله سبحانه وتعالى .

الانطلاق [illegible]

وفى ذلك الحين الذى تفتحت فيه مداركى كنت أرى وأسمع حلقات الذكر ، التى كان المصلون يقيمونها فى المسجد بعد صلاة الفجر فى بعض الأحيان ، وبعد صلاة العشاء أحيانا أخرى ، ورغم أننى كنت فى حوالى السابعة ، فاننى كنت أشعر، كلما سمعت إنشاد المصلين فى أنغام الذكرالرتيبة، بانقياد عجيب ، فقد كانت أهازيجهم الدينية تطربنى وتبعث فى أعماقى نشوة لها فعل السحر .

ولهذا تعلقت بحضور هذه الحلقات ، فكنت استيقظ كل يوم قبل الفجر ، ثم انفلت إلى المسجد حيث أروى ظمئى من أناشيد الذكر وأرددها مع المصلين .

وكان ثمة شىء لايدركه عقلى الصغير ، هو الذى يربط احساسى الداخلى إلى هذه الانغام الدينية العذبة بربط متين من الاعجاب والتقدير .. وكان ذلك الشىء هو الايمان .

إن الايمان لايحتاج إلى الحقائق الثابتة ، ولا يلجأ إلى النظريات المنطقية ، أو العمليات الحسابية التى تتلخص فى أن « واحد زائد واحد يساوى اثنين » يكفى الايمان .. تلك الطاقة الصغيرة التى تسمى الاحساس لكى يدخل منها القلب .

وهكذا كان إيمانى شيئاً لم يدركه عقلى الصغير فى ذلك الوقت ، وهو يجذبنى جذبا إلى حلقات الذكر ، لكى أضع احساسى كله فى عقيرتى ، ثم أطلقه مع أصوات المنشدين .

ولست أدرى ما الذى جعل احساسى يشف فى هذه الفترة من العمر الرهيف ، فاشترك مع الكبار فى انشاد الذكر بلذة مستساغة ، فربما كان سبب ذلك اننى حفظت كثيرا من آيات القرآن الكريم وأنا فى السادسة من عمرى، أو لعله – وهو الأرجح – ماكان يتردد فى الذكر من دعوات مؤمنة تنطلق من القلب إلى اللسان ، وماكان ينطلق من ضراعات خالصة تتصاعد مع أنغام

لأناشيد الدينية الرتيبة ، فتسرى فى النفس مسرى الكهرباء: « الله الله .. يالطيف.. يالطيف .. ».

لقد كان هناك خيط قوى لا أراه .. يربط بين إيمانى وبين هذه لعبارات الموسيقية المؤمنة ، ويجذبنى إلى حلقات الانشاد ، وكانت بذه التوسلات المخلصة هى التى عمقت إيمانى منذ الطفولة .

وبالطبع كان هذا الإيمان العميق ، والشعور بالجوع إلى الموسيقى والغناء ، هو الذى يدفعنى إلى التماس المعاذير للهرب من روس «الكتاب » ، والانصراف إلى هوايتى المبكرة .

وأتذكر بهذه المناسبة أن شهرة الشيخ « سلامة حجازى » كانت نى ذلك الحين قد بلغت مداها ، وأغانيه قد ذاعت على كل لسان ، فكنت أجد لذة لا تعادلها لذة حين أجمع صبيان الحارة ، وأغنى لهم ما أحفظ من أغانى الشيخ سلامة ، وكانت هذه الهواية تصرفنى عن الذهاب إلى « الكتاب » فى بعض الاحيان ، بينما كنت فى أغلب لأحيان أذهب إليه فى الصباح كالعادة ، ثم أدعى كذبا وفاة عمتى ، فيمنحنى المدرس إجازة لحضور جنازتها ، وسرعان مايضمنى ركن من إحدى حوارى الحى مع أقرانى لنمضى فى تقليد غناء الشيخ سلامة ، حتى إذا حان موعد عودتى إلى البيت ، حملت كتبى وعدت كما لو كنت قد أمضيت نهارى فى تلقى الدروس بجد واجتهاد !.



سلامة حجازى

وأذكر أن شيخ الكتاب لاحظ كثرة ادعائى بوفاة عمتى طمعا فى الإجازة ، فاستفسر من والدى ، الذى كذبنى بالطبع .

وانتظر عودتى على أحر من الجمر لأتلقى « علقة » مازلت أذكرها كلما جاءت سيرة إحدى العمات !

ورغم هذه الشدة التى عوملت بها من أسرتى ، فإننى لم أستطع ترك هوايتى للغناء ، بل لقد كنت أتعجب من تلك المحاولات الفاشلة التى كانت تبذلها الأسرة لترغيبى فى اتخاذ طريق لا يتفق ورغباتى الحقيقية ، وكانت هذه المحاولات تزيدنى تصميما على السير فى الطريق الذى تدفعنى إليه ميولى الشخصية .

ولهذا كنت كلما سمعت عن « فرح » أو « مولد » يقام فى أية بقعة من القاهرة ، أشمر عن ساقى وأذهب إلى هناك سيرا على الأقدام ، بل « طيرانا » من أجل أن استمع ولو من بعيد إلى كبار المطربين و « الصييته » وهم يغنون وينشدون فى تلك الأفراح والموالد .

ليلة تحت « الدكة »

وتحضرنى بهذه المناسبة واقعة طريفة ، فقد حدث أن أقيم فى حارة مجاورة فرح دعى لاحيائه المطرب المشهور حينذاك الشيخ « سيد الصفتى » فذهبت إلى هناك وأنا أمنى النفس بسماعه .

ودخلت السرادق فعلا ، وأتخذت مجلسى بين المدعوين وأنا أفرك

كفى سرورا فى انتظار غناء الشيخ ، ولكن أصحاب الفرح رأونى ، ولم يصعب عليهم اكتشاف طريقة دخولى ، فقد كنت الصبى الوحيد بين المدعوين ، وهم لم يتشرفوا بدعوة صبيان الحارة بطبيعة الحال !

وسحبنى أصحاب الفرح من يدى - ببساطة - إلى خارج السرادق ، فوقفت خارجه آسفا حزينا ، إلا أننى لم استسلم للحزن وبدأت أفكر فى طريقة أخرى للاستماع إلى الشيخ الصفتى ، رأيت رجلا عجوزا من خدم السرادق يحمل على رأسه صينية فوقها طعام، كان آتيا من المطابخ التى يقيمونها عادة فى ركن من السرادق فى مثل هذه الأفراح ، فى طريقه إلى داخل السرادق لتقديم الطعام للمدعوين . وفى الحال اتجهت إلى الرجل وعرضت عليه أن أحمل عنه الطعام إلى الداخل ، فقبل الرجل هذه الاريحية منى شاكرا ، ودعا لى بطول العمر والثواب .

وبعد أن وضعت صينية الطعام فوق إحدى الموائد داخل السرادق ، خشيت أن يعود أصحاب الفرح فيطردونى إن وقعت أبصارهم علىّ ، ولهذا أسرعت بالاختباء تحت « الدكة » التى كانت معدة لجلوس الشيخ الصفتى وبطانته ، وظللت استمع للغناء طيلة الليل وأنا قابع تحتها لا أشعر بمضى الزمن أو قسوة المكان !

وبدأت هوايتى للموسيقى والغناء تكبر وتتبلور مع الأيام ، شأن كل بذرة تلقى فى أرض ملائمة ، فكنت أتلقف ما أسمعه من أغانى مشاهير المطربين وأجعله يتسلل إلى دمى ، ثم أردده على أسماع رجال حارة « الشعرانى » وصبيانها !

وكانت أغانى الشيخ سلامة حجازى هى أحبها إلى قلبى ، لأنها كانت تتماشى مع مايستهوينى وتستسيغه نفسى من الغناء ، فقد كانت كلها أغانى مسرحية حديثة فى ذلك العهد ، بينما كان غيرها من الأغانى الشائعة لا تخرج عن أغانى التخت القديمة ، مثل « ياقمر دارى العيون » و « يا ملك قلبى بالمعروف .. حبك كوانى تعالى شوف » ألخ .

ثم انقلب حبى لأغانى الشيخ سلامة ، إلى تعلقى بالمطرب نفسه ، فكانت كل آمالى تنحصر فى مقابلته ، لأننى كنت أحس أن الإنسان الذى يغنى تلك الأغانى التى أحبها وأرددها كان من طبقة أخرى غير طبقة البشر العاديين ، وكنت اعتبره مثلى الأعلى ومطمحى الأول والأخير ..

ومع ذلك لم يحقق لى القدر هذه الأمنية العزيزة ، فقد توفى الشيخ سلامة إلى رحمة الله وكنت ما أزال صبيا !



فؤاد الجـــزايرلى

بداية المشـــوار

ولكن الـقدر كان يخبىء لى مفاجأة ســـعيدة بعد ذلك بقـليل ، أحدثت تحولا فى حياتى ، وجعلت الآمال السعيدة التى كانت تراود خيالى منذ البداية ، تسير فى الطريق الذى رسمته لتحقيقها .

ففى عام ١٩١٧ تقريبا ، كان المرحوم الأستاذ فوزى الجزايرلى يعمل مع فرقته على مسرح « الكلوب المصرى » فى حى سيدنا الحسين ، وكنا نحن صبية حى الشعرانى لانجد لنا مسرحا نرتاده يناسب فقرنا سوى ذلك المسرح ، لأن تذكرة « الترسو » فى مقاعده لم يكن ثمنها يزيد على قرش فقط لا غير .

وفى أغلب الأحيان كنا لانملك حتى ثمن تذاكر « الترسو » فنكتفى بالاستماع إلى الروايات من خارج المسرح ، وكانت هذه المتعة « الحاف » كافية لإشباع ميولى إلى هذا اللون من الحياة .. وشىء أحسن من لا شىء !

وذات ليلة ونحن مجتمعون خارج المسرح أخذت أغنى لرفاقى كالعادة إحدى أغانى الشيخ سلامة ، ومر بنا أحد ممثلى فرقة الجزايرلى فوقف يستمع إلىَّ ، حتى إذا انتهيت من غنائى سألنى إن كنت أريد مقابلة الاستاذ فوزى الجزايرلى ، ولم أصدق أذنى فى بادىء الأمر ، وظننت الرجل يمزح !

أهكذا يسألنى مثل هذا السؤال الخطير فى بساطة كما لو كان يسألنى عن اسمى ؟!

إن مقابلة الجزايرلى كانت أمنية عسيرة المنال على كبار الهواة فكيف بها تعرض على صبى مثلى بهذه السهولة ؟

لقد كنا نعتبر دخول مسرح « الكلوب المصرى » ومشاهدة الجزايرلي من مقاعد الترسو انتصارا لايساويه انتصار الحلفاء على ألمانيا فى الحرب العظمى .. فماذا تكون إذن قيمة مفاجأة مقابلة الجزايرلى والتحدث إليه « شخصيا » ؟!

وانتبهت من تأملاتى عندما عاد الرجل يسألنى مرة أخرى عما إذا كنت أحب مقابلة الجزايرلى ، وبالطبع كدت أطير من الفرح لهذا « السعد » الذى هبط علىَّ فجأة وبدون سابق إنذار ، بينما راح زملائى يهنئوننى ويتنافسون فى التوسل إلى لكى أصحبهم معى فى هذه المقابلة التاريخية !

وباختصار أخذنى الرجل من يدى وأدخلنى إلى المسرح حيث قدمنى للأستاذ الجـزايرلى مع التوصـية اللازمة بالاسـتماع إلى صـوتى .

ووقفت أمام الجزايرلى أتطلع إليه كما لو كنت أتطلع إلى إنسان لم أعهد رؤية مثله من قبل ، بينما انعقد لسانى من فرط المفاجأة .

وقابلنى الجـزايرلى فى بداية الأمـر بشىء من قـلة الاهتمـام ، وسألنى :

- بتعرف تغنى إيه ياشاطر ؟

فقلت له :

- أغانى الشيخ سلامة كلها !

فطلب منى أن أسمعه شيئا منها ، وبدأت أغنى قصيدة الشيخ سلامة التى مطلعها « عذبينى فمهجتى فى يديك .. وأمرينى فالقلب طوع لديك » .

وبعد أن انتهيت من غناء القصيدة ، ربت الجزايرلى على ظهرى ومنحنى خمسة قروش .. حتة واحدة !

وأمسكت بالخمسة القروش فى يدى وأخذت أنقل بصرى بينها وبين مانحها فى ذهول ممزوج بالنشوة ، كنت كمن ساقه حلم جميل إلى مغامرة فى الجنة التى وعد الله بها المتقين من عباده !

لقد دخلت منذ لحظات إلى كواليس المسرح الذى طالما اعتبرته كالحصن المنيع ، ثم قابلت الرجل الذى كان يسعدنى أن أراه يمثل على المسرح ، بل وغنيت له وتحدثت إليه ، وبعد هذا كله أجد فى يدى ثروة كبيرة ، هى خمسة قروش صاغ « بحالها » !

ورحت أغمض عينى وافتحهما مرارا لأتحقق من أننى لست حالما ، وأثناء ذلك كانت يدى تعبث بالقطعة الصغيرة التى تمثلت فيها أهدافى البعيدة كلها !

لقد كانت الخمسة قروش بالنسبة إلى صبى فقير مثلى ثروة

ضخمة ، وكانت فوق ذلك ترمز إلى معنى أكثر من ذلك دلالة وأبعد أثرا .. كانت بالنسبة إلى كباكورة ثمار شجرة تنبىء بنمو سريع !

كان فرحي بهذا الانتصار الأول في حياتي بمثابة العزاء عما كنت ألاقيه من استهجان أسرتي لمسلكي وتشديدها الحصار على نزعاتي الفنية .

وأفقت من نشوتي على صوت الجزايرلي وهو يطلب مني زيارته كل يوم ، ولم أكن - وقتها - في حاجة لتذكيرى بذلك ، لأنني كنت قد عقدت النية على أن أذهب إليه كل ليلة فعلا ، خاصة أن الخمسة قروش كانت تستحق أن يذهب إليها المرء في أي مكان حتى ولو كانت في المريخ ، ثم أن مقابلته لي في المسرح كانت من الأمور التي تمنيت لو أنها حدثت كل يوم !

وخرجت من عند الجزايرلي تلك الليلة والدنيا لاتسعني من الزهو والسرور ، ورحت أنفق على أصحابي من الثروة التي ربحتها بعرق جبيني وهم من حولي يعاملونني كالتراجمة حينما يعاملون مليونيرا من السياح !

وبدأت قدماي تعتاد طريقها إلى مسرح « الكلوب المصري » كل ليلة ، فأغني للجزايرلي بعض أغاني الشيخ سلامة ، ثم أعود ومعي الثروة المعهودة .. القروش الخمسة !

ولم أكن أعلم أن القدر كان يدبر لي مفاجأة أهم من المفاجأة

الأولى ، إلا عندما عرض على الجزايرلى أن اغنى على المسرح بين الفصول .

وأحسست مرة أخرى بذهول الحالم وهو يسير إلى مغامرة فى الجنة ، ويبدو أن الجزايرلى ظن أننى متردد فى القبول ، فعرض على أجرا قدره عشرة قروش فى الليلة .

لقد كان الظهور على المسرح مجرد أمل بعيد يراودنى بين الحين والحين ، فقد كنت أرى الناس كلهم يتهافتون على مشاهدة الممثلين والاستماع للمطربين ، ويتحدثون عنهم دائما بعبارات مليئة بالتقدير والاعجاب ، وكنت كلما ارتدت المسرح تمنيت أن أكون فى مكان المطرب أو الممثل عندما تسدل عليه الستار ، ثم تنفرج مرات متكررة وهو ينحنى مبتسما لتحية جماهير المتفرجين واستقبال تصفيق الاستحسان ، بل كنت أتوق إلى احتلال مكانتهم كلما سرت فى طريق ورأيت صورة أحدهم فى إعلان على الجدران أو الإعلانات المطبوعة التى يوزعها عمال المسرح على المارة ، وفيها إلى جانب صورهم عبارات المديح الرنانة مثل « المطرب القدير » أو « الممثل الذائع الصيت » أو « الفنان اللامع » إلى آخر هذه الالقاب الخلابة .

كنت كلما طالعنى ذلك راودتنى الآمال فى أن أرى صورتى يوما فى مثل هذه الإعلانات ، واسمى مسبوقاً بلقب من هذه الألقاب البراقة .

وفجأة ، وقبل الآوان ، أرى هذا الحلم يتحقق عندما طلب منى الجزايرلى أن أصعد على المسرح لاغنى أمام الجمهور وأخذت فى لمحة سريعة أستعرض حالى عندما أنحنى على المسرح لأرد تحية الجمهور فى ابتسامة رشيقة ، وتخيلت صورتى على جدران شوارع القاهرة .. وحى باب الشعرية على الخصوص ، وتحتها لقبى الجديد « المطرب الذائع الصيت » مثلا أو « المطرب ذو الحنجرة الذهبية » !

وأسعدتنى التخيلات قبل أن تسعدنى الحقيقة ، فقبلت العرض على الفور .. وما كان لى أن أرفض السعادة بعد أن سعت بنفسها إلىَّ .

« علقة » ساخنة !

وهكذا انتقلت إلى مرحلة جديدة من حياتى .. مرحلة الأضواء المسرحية الساطعة التى طالما تمنيت أن يسلطها الحظ على شخصى البسيط ، ووقتها لم تكن سعادتى بالعشرة قروش التى اتفق الجزايرلى معى على أن تكون أجرى الليلة بقدر سعادتى الكبرى بعملى الذى يحقق أحلامى فى الغناء والشهرة .

•

وبدأت أظهر على مسرح «الكلوب المصرى» لاغنى وصلتين بين الفصول ، ملقيا بعض قصائد الشيخ سلامة حجازى ، وقدمتنى الفرقة فى إعلاناتها بطريقة أرضت أحلامى وآمالى ، فقد وصفتنى بأعجوبة الزمان ، واستقبلنى الجمهور فعلا استقبالا كريما ، فقد كانت سنى وقتها لا تزيد على سبع أو ثمانى سنوات !

وكنت أتوقع أن يكون صعودى إلى المجد قاب قوسين أو أدنى ، لولا أن تدخل القدر بسرعة فى شخص شقيقى الشيخ حسن ليعيدنى إلى حظيرة التقاليد !

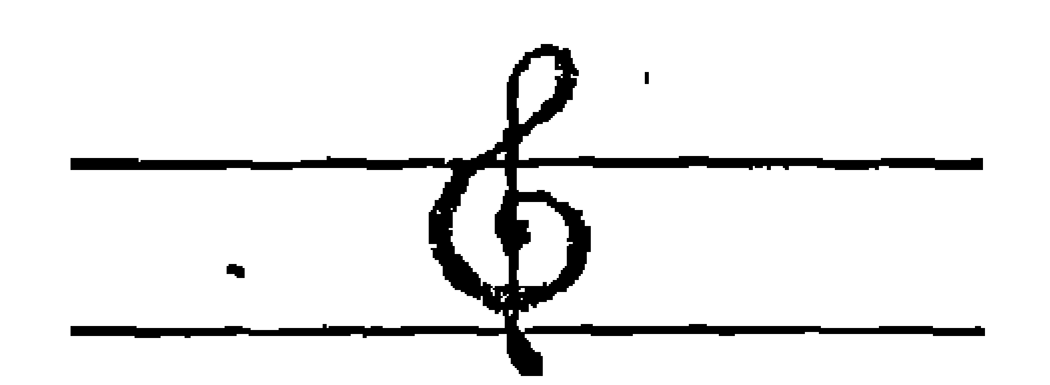
كان أخى قد علم من بعض أهل حى الشعرانى اننى أغنى على مسرح « الكلوب المصرى » ، وتطوع بعضهم بمصمصة الشفاء على ضيعة أخلاقى واساءتى بهذاالخروج على الدين الى سمعة العائلة ، وراحوا يقولون له : « إزاى تسيبوه يعمل كده؟ .. وعيب مايصحش »!

ولم يكن أخى حسن فى حاجة إلى من ينبهه إلى أن ظهورى على المسرح لاغنى « عذبينى فمهجتى فى يديك » أمام الجمهور هو فعلا « عيب ومايصحش » فقد كان فى ذلك الحين شيخا معمما يتلقى علومه في الأزهر الشريف ، ورأى فى عملى هذا مروقا وقلة حياء .. كمان !

وعنها .. فوجئت ذات ليلة وأنا أغنى على المسرح بأخى حسن يجذبنى من ذراعى ،ثم يربطنى بحبل متين من يدى وقدمى ،

وحاولت أن أفهم منه سبب غضبه على دون جدوى ، فقد راح فى هـــدوء « يجرجرنى » فى الطــريق وأنا مكتوف اليدين والقدمين على مرأى من المتنــرجين والمارة و « مســـح » بى الشوارع ابتداء من حى الحســـين حتى حارة الشعرانى ، وما إن وصلت البيت حتى كنت كالخــروف المذبوح حين ينقلونه من الســـلخانة إلى دكان الجـــزار !

حكايتى مع السيرك
والثورة وأول شرام !





صرة تذكارية التقطت له بمناسبة زيارة المرحوم أحمد حسنين للأستاذ عبد الوهاب أثناء التقاط مناظر فيلم « الوردة البيضاء » ويرى فى الصورة المرحوم أحمد حسنين وظهر الى يمينه محمد عبد الوهاب ومحمد كريم بينما ظهر فى أقصى اليمين سليمان نجيب

وبعد أن عاقبنى شقيقى الشيخ حسن على فعلتى المنكرة .. أىَ عملى مع فرقة فوزى الجزايرلى بالغناء بين الفصول ، تاقت نفسى الى الحرية ، فقد كنت أشعر فى قرارتى بالنزوع إلى حياة الأضواء .. حيث المسرح والجماهير ، وكنت تعيساً بحجر أخى على حريتى على هـذا النحـو القـاسى الذى ضرب خلاله عرض الحائط برغباتى ، وتمنيت لو استطعت الهرب من ذلك الحصار المقيت الذى فرضه أهلى على موهبتى بدعوى التربية الأخلاقية !

ووصل ضيقى إلى حد البحث عن أى فرصة تساعدنى على الهرب من هذا الجو الخانق ، وجاءت الفرصة عنـدما هبط إلى حى الشعرانى سيرك متنقل إندفعت نحو صاحبه لأطلب منه أن يلحقنى بالعمل عنده ، بعد أن أقنعته بقدرتى على الغناء ، فقبل الرجل هذا العرض فوراً بمجرد سماع صوتى ، ولم يكن يعلم أن موافقته ستساعدنى على الهرب من البيت !

وكنت قد دبرت خطتى على أساس أن أبدأ العمل فى السيرك ، فى نفس اليوم الذى يغـادر فيه حى باب الشعرية إلى جهـة أخرى نائية حتى أسد الطريق على أخى فى العثور على مكانى !

وبالفعل التحقت بالسيرك ، وانتقلنا إلى دمنهور ، وغنيت للجمهـور فى ذلك اليوم وأنا آمن من رقابة أخى الصـارمة ، وعقوباته القاسية !

بيد أن الإقبال على السيرك كان ضعيفاً ، فلم أنل من الأجر سوى بضعة قروش ضئيلة .

وأقبل الليل ، ولم أكن قد عرفت شيئاً بعد عن حياة السيرك ، فلما سألت صاحبه عن المكان الذى سأنام فيه ، أشار الى خيمة معدة كحظيرة لبهائم السيرك وقال لى :

– إنت عضمك طرى .. وبدال ما تسقع فى الخلا نام هنا مع البغلة !

ورغم أن رائحة المكان كانت كريهة ، فقد قبلت النوم فى هـذا « الإسطبل النقالى » ، بعد أن فشلت فى إقناع صاحب السيرك بأن يبحث لى عن مكان أفضل لنومى ، لسبب بسيط ، هو أنه لم يكن فى السيرك أماكن من هذا النوع !

لقد كان مبيتى مع « البغلة » فى الحظيرة كل ليلة من الأمور التى لا يحتملها إنسان ، ولكننى كنت مستعداً لهذا وأكثر منه ، فى سبيل الهروب من القيود الثقيلة فى البيت ، وإنطلاقى وراء ميولى المسرحية التى جعلت راحتى وطمأنينتى فداء لها !

ومكثت أعمل فى السيرك وأنام فى الحظيرة ولا أتقاضى سوى مايكاد يقيم أودى حوالى الأسبوع ، ثم بدأت حياة السيرك تفقد رونقها وتأثيرها فى نفسى لفرط مشقتها وخلوها من مميزات

الحياة المسرحية ، ولهذا سرعان مافضلت العودة إلى قواعدى فى حى الشعرانى .. وعلقة تفوت ولا حد يموت !

وفى طريقى من دمنهور إلى القاهرة ، تذكرت يوم أن ربطنى أخى الشيخ حسن و « جرجرنى » فى الشوارع حتى أسال دمى ، وخفت أن تتكرر نفس المأساة ، خصوصا وقد ارتكبت فى هذه المرة ذنبا أعظم من سابقه بالهروب إلى بلد بعيد ، ولاح لى أن العلقة قد لاتفوت هذه المرة .. فماذا أفعل ؟ !

خطرت لى فكرة فنفذتها على الفور . .

كانت الفكرة تتلخص فى أن ألجأ إلى رجل من أصدقاء أبى يدعى الشيخ « أحمد موسى » ، وأختبىء فى منزله ثم أوفده إلى أبى ليقوم بينى وبين العائلة بذور حمامة السلام ، فما عليه إلا أن يعرض رغبتى فى التسليم بلا قيد ولا شرط ، ويرجو العائلة - وخصوصاً شقيقى حسن - التنازل عن محاسبتى عما فات ، وعفا الله عما سلف !

ولم أعد إلى البيت إلا بعد أن تكللت جهود الشيخ أحمد بالنجاح .

ومضيت أنزل على رغبات العائلة بعض الوقت خوفاً من نبش الماضى وما قد يجره علىّ من نكبات وعقوبات !

وزادت رقـابة العائلة بعد عودتى لتضايقنى أشد المضايقة ، وكنت تواقاً إلى الاعتمـاد على نفسى فيما أتخـذه من تصرفات توحيها إلى ميولى لا ميول إسـرتى أو ما تفرضه التقاليد التى كانت مسـيطرة على بيئتنا المتدينة الفقـيرة ، ويبدو أن مرجع ذلك كانت طبيعتى وأخـلاقى التى كـانت فى الواقع تسـبق سـنى بكثير .

ولكى أعطى القارىء فكرة عن طباعى الغريبة ,وأنا فى سن الثامنة ، يكفينى أن أقول إننى كنت مثلاً أميل إلى محاكاة الكبار فى رزانتهم ووقارهم ، وأنصرف عن الهزل والدعابة نتيجة لطبيعة متأصلة فى نفسى ، حتى أن والدتى ، رحمها الله ، كانت لا تفتأ تبدى دهشتها من عدم إهتمامى بما يثير أترابى من شتى صنوف اللعب والمرح !

وفى هذه السن الرهيفة – سن الثامنة – كنت أصر على إرتداء البنطلون الطويل ، بل وكنت لا أسير فى الطريق بدون أن أتوكأ على عصا كما يفعل كبار السن ، والأعجب من هذا أننى كنت كثيرا ما أرتدى بذلة « ردنجوت » .. وهو أمر أعتقد أنه لم يحدث مثيله فى تاريخ الأطفال !



صورة تذكارية لعبد الوهاب التقطت له أثناء رحلته الى فلسطين ، وقد التف حوله بعض أعضاء فرقته ومستقبليه ..

عاطفة غامضة !

بل إننى أتذكر - أيضاً - واقعة فى تلك السن مازال سرها مبهماً لا أدرى كنهها حتى الآن ، وإن دلت على شىء فإنما تدل على أننى كنت أحمل بين جنبى قلباً يكبر سنى بكثير .

كانت تسكن بجوارنا سيدة فى العشرين من عمرها ، وكانت قد ترامى إليها نبأ شغفى بالغناء وتقليدى لأغانى الشيخ سلامة حجازى الشائعة حينذاك ، وكنت فى بعض الأحيان أنشد بعض الأغنيات فى الحارة على مسمع من الصبيان فيصل إليها صوتى بطبيعة الحال .

وذات يوم إستدعتنى إلى مسكنها وتركتنى أداعب أصابع « البيانو » الذى كانت تملكه وتجيد العزف عليه ، ثم أجلستنى إلى جوارها وطلبت إلىّ أن أغنى لها !

وغنيت لها فى ذلك اليوم ..

وكان الأمر على هذا النحو لا يدعو للغرابة .. فما كنت سوى طفل يجلس بجوار سيدة تكبره فى السن بثلاثة أضعاف عمره !

ولكن الواقع أننى أحسست فى تلك الساعة شعوراً غامضاً يسرى فى دمى ، كان شعوراً بالراحة والأمان .. وكان شعوراً

بالسعادة الغامرة .. وكان شعوراً بنبضات متلاحقة سريعة على غير العادة .. ولكنه على أى حال لم يكن هو شعور الطفل حين يجلس إلى جانب أمه !

وبعد أن غنيت لها قبلتنى ..

وكان الأمر على هذا النحو لا يدعو للدهشة .. فهى قبلة تطبعها سيدة فى العشرين على وجنة طفل فى الثامنة ..

ولكن الواقع أننى أحسست بتيار يسرى فى أوصالى وكأنه مس كهرباء وكان إحساساً بالراحة والسعادة .. وبنفس النبضات السريعة المتلاحقة على غير العادة .. ولكنه على أى حال لم يكن هو إحساس الطفل حين تقبله أمه أو أخته !

وعندما إستلقيت على فراشى فى تلك الليلة لأنام كعادتى ملء جفونى ، لم أستطع أن أطرد صورة وجهها وهى تداعب عينى ، أو أن أتشاغل عن ذلك الإحساس الغامض المبهم الذى جعلنى أبيت مؤرقاً ساهداً !

وبدأت أختلق المعاذير لأصعد إليها فى مسكنها .. فأغنى لها لكى تقبلنى يوماً بعد يوم !

وكان دائماً نفس ذلك الشعور المبهم ينتابنى كلما لقيتها ونظرت إلى وجهها ، أو كلما قبلتنى !

وقد تساءلت فيما بعد :

أهو الحب .. ذلك الذى يغزو قلب طفل فى الثامنة ؟ أم الإعجاب بالجمال يودعه الخالق نفس الطفل كما يودعه نفس الرجل ؟ أم أن المسألة مجرد شذوذ يجعلنى أتصرف كما لو كنت أكبر من سنى ؟

لست أدرى حتى هذه اللحظة ..

ولكن شيئاً واحداً مازلت متأكداً منه ، هو أن هذه السيدة هى التى دربت قلبى وجعلته أرضاً خصبة للعاطفة .. ولئن كان الحب علماً فهى التى علمتنى إياه ، فقد جعلتنى تلك التجربة المبكرة أثق فى أننى كنت – ومازلت – إنساناً يعيش بعاطفته أكثر مما يعيش بعقله !

مثلت دور فتـــــاة !

كانت رقابة عائلتي وحجرها على حريتي تضايقني كثيراً ، وكنت أتحين الفرصة لكي أضرب عرض الحائط بهذه الرقابة وأعلن الحرب عليها ، ولكنني من ناحية أخرى كنت حريصاً - رغم حداثتي - على ألا أعود إلى التجربة القاسية التي مرت بي أثناء عملي في السيرك المتنقل ، وقررت أن أمارس الهواية المحببة إلى نفسي في الحدود التي ترضي كبريائي المبكرة ، ولا تغضب مني أفراد عائلتي !

وجاءت الفرصة في عام ١٩١٩ ، حينما ألف الأستاذ عبد الرحمن رشدي المحامي وهاوي التمثيل فرقته المسرحية وجمع لهـا عدداً كبيراً من أبناء العائلات وهواة التمثيل المثقفين وغيرهم من كبار المحترفين ، فقد رأيت أن عملي بهذه الفرقة يلائم طباعي الميالة إلى الجد ، لأنها كانت فرقة تعنى بتقديم المسرحيات الخالدة من الأدب الرفيع .

وكنت في ذلك الوقت قد بلغت التاســعة أو يزيد قليـــلاً ، كما كنت قد عـــرفت في الأوســاط المســرحية بغناء أدوار الشيخ ســـلامة ، فلم يصعب إلتحـــاقي بفرقة عبد الرحمن رشـــدي .

وكان عملى ينحصر فى بداية الأمر فى الغناء بين فصول الروايات ، ثم حدث أن إحتاجوا فى رواية « الموت المدنى » إلى طفلة فى مثل سنى لتقوم بدور « عايدة » لم يجدوا الطفلة المناسبة لهذا الدور ، اضطروا إلى اختيارى لأظهر على المسرح فى الرواية بملابس فتاة صغيرة ، ثم أغنى كالعادة بين الفصول بشخصيتى الطبيعـــية !

وظللت أعمل بفرقة عبد الرحمن رشدى حتى إندلعت نيران الثورة وصدرت أوامر السلطات بإغلاق المسارح !

وكانت الأمة كلها قد نهضت فى إجماع منقطع النظير لتذود عن كرامتها ضد المستعمر الغاصب فى سنة ١٩١٩ .

لم يكن فى مصر كلها من كل إتجاهاتها الأربعة إنسان واحد إلا وساهم بعمل فى تلك الثورة العارمة ، ولم تكن هناك طائفة أو هيئة ، إلا وقد توحـــدت فى مجمــوعة الأمة التى تكافح جيشــاً لا يتحــدث بغير الحديد والنار !

وباختصار كان شعار ثورة سنة ١٩١٩ هو « الوحدة » .. فكان الشعب المصرى كله ، نساؤه ورجاله ، قد غدوا آلة واحدة يحركها تيار واحد ، هو الوطنية الصادقة .

المشـــاركة فى الثـــورة

وأتذكر أنه خلال الثورة ، قرر الزعماء تأليف مظاهرة كبرى من جميع هيئات الأمة وطوائفها ، للتعبير عن اجماعها وإتحادها ..

وكـان لابد للفرق التمثيلية من المساهمة فى هـذا الكفـاح الوطنى ، فقررت كل فرقة أن تسير فى المظاهرة وهى تحمل علمها الخاص بها ، بينما يرتدى أفرادها ملابس تمثيلية لإحدى الروايات التاريخية المصرية ، فبعضها يرتدى مثلاً الملابس الفرعونية ، والبعض الآخـر يرتدى المـلابس البـدوية ، أو المـلابس الريفيـــة ، وهـــــكذا ..

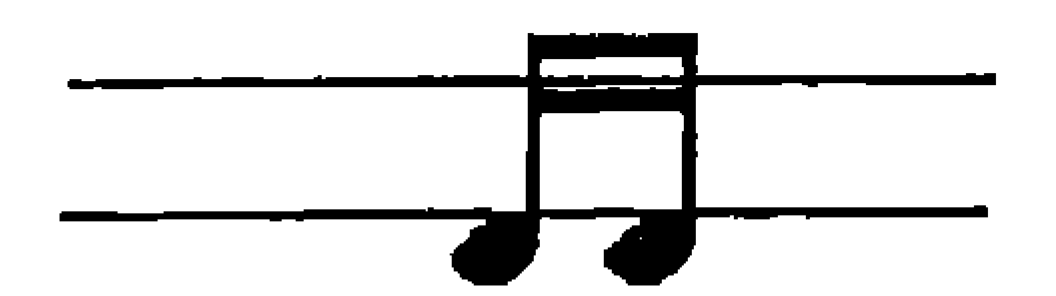
وكان من نصيب فرقة عبد الرحمن رشدى اختيار ملابس رواية « البدوية » التى وضعها المرحوم إبراهيم رمزى للسير بها فى المظاهرة ، فارتدينا جميعاً الملابس العربية - نحن أعضاء الفرقة رجالاً ونساء - وكنا بذلك موضع الإعجاب والحماس أثناء المظاهرة المثيرة .

ومن أطرف ما حــدث أثناء تلك المناســـبة الوطنية أن الزميل والصـــديق العزيز الأســـتاذ محمد عبدالقدوس - وكان من أفـــراد الفرقة - إرتدى فى ذلك اليوم ملابس عـــربية ووضع شــــارباً على وجهه حتى غدا شـــبيهاً بحمد الباسل « باشا » ،

رحمـــه الله ، وكان حمد « باشـــا » أحد زعماء الثورة المحـــبوبين .

وفى أثناء سيرنا أصر أحد أفراد الجمهور على أن يحتضن عبد القـدوس ويقبله ، ظناً منه أنه حمد « باشـا » الباسل ، وفعـلاً هجم الرجل على عبد القدوس « وهات يا بوس » !.. ولكنه تراجع فجـأة وهو ينظـر إلى عبد القـدوس فى دهشـة ..(ويظهر أن « عبـد القدوس » كان قـد احتسى كأساً من الكونيـاك قبل المظاهرة زيادة فى إســتثارة حميته ، فما كان من هذا المعجب إلا أن تراجع عن الاســتمرار فى تقبيله ، وعاد إلى جوار زميله فى الصـــف ليقول له : « ده الباسل باشـا باين عليه مبسوط شـــويه يا واد » ! .

أنا وسيد درويش والفشل
فى
أوبريت شهر زاد





ان حياة الفنـان الكبير محمـد عبـد الوهاب ، تعتبر مرآة لتطوير (الموضة) والأناقة في دنيا الرجال .. وهـاهو أمام المرآة أيام زمانْ ، أيام « الكرافتـة » القصـيرة ومشبك البنطلون الموضـوع في الخلف

مرت مرحلة ثورة ١٩١٩ بعد أن أضافت إلى عمرى سنتين غاليتين ، كان لهما أثرا بالغا فى بلورة هوايتى الفنية ، وكمطرب صغير له طموح وآمال ، بدأت أشق طريقى نحو هدفين : الشهرة والمال!

وكانت هناك فرقتان تكاد كل منهما تنتزع جماهير الأخرى ، وتتقاسمان معا اقبال سكان القاهرة ، هما فرقة نجيب الريحانى وفرقة على الكسار .

وتبددت عزلتى عن الميدان الذى احبه خلال تلك الفترة الطويلة من بداية الثورة حتى نهايتها وعادت لتشمل اشتياقى إلى الظهور على المسرح ، كما كانت رغبتى فى بناء المستقبل الذى أرجوه تدفع بى دفعا إلى هذا الطريق .

وفى هـذه الاثناء جاءنى رسول من عنـد الفنـان على الكسار يعرض علىّ العمل بفرقته ، فقبلت على الفور ، رغم أن الكسار كان يستخدم مطربين آخرين من الصـغار للغنـاء بين الفصول ، أمثال « عبد القادر قادرى » ، « وسيد بهنس » ، ولهذا عندما وافقت على العمل فى فرقته لم أكن الوحيد الذى يغنى بين الفصول ، بل كنت أغنى وصلة واحدة ، وأترك بقية ما بين الفصول للآخرين !

واذكر بالمناسبة أن سيد بهنس كان يكبرنا أنا وعبد القادر قدرى ببضعة أعوام ، فكانت غيرتنا منه - وخاصة أنا - شديدة جُدا ، لانه كان بالنظر إلى سنه يقوم بأدوار الشبان على المسرح

فى روايات الفرقة ، وكان إلى جانب هذا وسيما ، فكانوا يختصونه بأدوار الضابط .. وما أدراك ما أدوار الضابط فى الروايات حينـذاك ، حيث البذلة الرسمية ذات الشريط الأحمر على حافتى البنطلون ، والنجوم اللامعة على الكتف ، والسيف البراق يتدلى فى رشاقة من حزام البدلة ، وأخيرا وليس آخرا نظرات وابتسامات الحور العين من المتفرجات ، وربما تأوهاتهم أيضا حين تلتقى أبصارهن بأبصار الضابط الجميل !

وكانت غيرتى من سيد بهنس مبعثها - كذلك - ميلى الطبيعى إلى التظاهر بأننى أكبر من سنى ، ومحاولتى التشبه بالرجال ، فقد كنت أحسده على المكانة التى وصل إليها بسهولة ، وكنت أتمنى أن أحقق ما حققه هذا الفنان الوسيم !

الأمل ينهـــار

وعندما التحقت بفرقة الكسار ، كان فى اعتقادى أننى سأجد الجو الذى يلائمنى ويتجاوب مع مواهبى الفضة ، وانهار أملى فيما كنت أرسمه لنفسى من سبيل ، فقد لاحظت أن طابع الروايات التى تقدمها فرقة الكسار فى ذلك الوقت «الكوميـديا» وكان من الطبيعى أن يكون جمهورنا ذا طابع يميل إلى هذا اللون من التمثيل ، اما أنا فكنت على العكس من ذلك على خط مستقيم ، كنت أهوى الجد وأكره الفكاهة .. وكنت اميل بطبعى إلى الأدب المسرحى الرفيع وأرى فيه تجاوبا مع نفسيتى ، بينما كنت امج الروايات التى يقصد بها اضحاك الناس فحسب !

وقد يظن البعض أننى نشأت بمنظار أسود على عينى ، حيث لا تتقبل نفسى سوى الألوان القاتمة من الحياة ، وأبادر فأقول أننى لم أكن كذلك أبدا ، وانما نشأت وأنا أجد بين أضلعى قلبا يحس بوقع المعانى ويحتقر ضجيجها ..

إننى أحترم الفكاهة نعم ، الفكـاهة ، إذا كانت من ذلك النوع السامى الذى يتغلغل فى معانى الحياة ويلمسها برفق ، لا ذلك النوع الذى يدفع الانسان دفعا إلى الضحك والتهريج !

ونتيجة لمثل تلك الاقتناعات التى كانت تغوص فى أعماقى ،



محمد عبد الوهاب منصتا لأخيه الأكبر حسين

وجدت احساسى بعملى فى واد والجو الذى يحيط بى فى واد آخر. ورأيت من السخف أن أواصل عملى بفرقة الكسار ، لكى أغنى بين الفصول الأدوار والقصائد ذات المعانى العاطفية مثل « ويلاه ما حيلتى .. ويلاه ما عملى » .. بينما كان جو المسرح لا يوحى بأكثر من المونولوجات الفكاهية ! .

وهكذا تركت فرقة الكسار غير أسف ..

ولكن قبل أن أترك الفرقة وقع حدث هام فى حياتى كان له فيها أثر خطير ..

ولم يؤثر هذا الحدث فى حياتى وحدى ، بل كان أثره أبعد وأخطر فى حياة مصر والموسيقى الشرقية بوجه عام !

كان الحدث يتمثل فى ظهور فنان جديد ، لمع كالشهاب فى الافق ، وأعطى للثورة المصرية دما جديدا حارا سرى فى عروقها سريان النار فى الهشيم !

كان الفنان صاحب هذه الرسالة الجديدة رجل ضخم الجسم ، عريض المنكبين ، أشبه بالمصارعين فى صورته ، ولكن فى داخل نفسه روح الملائكة ، وفى وجهه ملامح الموسيقار الشهير « بيتهوفن » ، وتتميز ملابسه بالروح الفنية الخالصة التى كانت تدل عليها موسيقاه !

كان ذلك الرجل هو سيد درويش !

كنت أنا في ذلك الوقت في الثانية عشرة من عمرى ، ولكن روحى الظامئة كانت تحس بالارتواء كلما وصل إلى أذنى شىء من ألحانه البديعة !

كانت ألحانه جديدة حقا ، فهى تنطوى على شىء لم تعتده أذناى أو تعهده روحى من قبل .. كانت فيها ثروة القديم ، وجمال الجديد ، ومع هذا وذاك دقة الانسجام ..

كنت حينذاك أفتح أذنى لكل نغم يطرقهما .. ثم أتركه يترسب فى أعماقى .. فلما طرقت أذنى ألحان سيد درويش رأيت فيها الشىء الذى لم يكن يستطيع أن يكتشفه أحد قبل سيد درويش !

كان سيد درويش - فى نظرى - بمثابة كولومبس جديد ، اكتشف دنيا جديدة من الانغام .

وكان بعض المغنين من المجموعة « الكورس » فى فرقته يتجسسون على ألحانه عندما كان يلحن روايات الاوبريت لفرقة الريحانى ، ثم يهربونها إلينا كالمخدرات !

لم نكن نستنكف أن نغنى ألحانا مسروقة فى ندواتنا الخاصة ، ما دامت من ألحان ذلك العبقرى سيد درويش !

وكنت أسمع عن سيد درويش وأتخيله من موسيقاه قبل أن أراه .

ثم حدث أن جاء إلى مسرح ماجسنيك حيث كنت أعمل مع فرقة الكسار لزيارة بعض أصدقائه هناك ، وكانت هذه أول مرة أراه فيها شخصيا ! .

كان شامخ الأنف ، يرتدى « بابيونا » أسود حول رقبته ، شأن فنانى باريس !

وأقبل سيد درويش على السيدة فتحية أحمد - وكانت معنا - فعانقها وقبلها ، ثم التفت نحوى وسأل عمن أكون ، فلما قيل له أننى المطرب الصغير محمد عبد الوهاب ، حملنى على الفور ، وقبلنى ، وأخذ يبث فى نفسى عبارات اعجابه وتشجيعه .

وبدأت ألحان سيد درويش تسرى فى كيانى وتسيطر على كل خلجة فى نفسى ، فى اللحظة التى قررت فيها أن أترك تماما العمل بفرقة الفنان على الكسار .



سـيد درويش



علـى الكســار

وسقط الجمهور !

وعندما تركت فرقة الكسار ، كان سيد درويش قد انفصل هو الآخر عن الريحانى واستقل بفرقة أعدها لتعمل لحسابه فى مسرح « برنتانيا » (مكان سينما كايرو بالاس الآن) .

وفى أثناء انهماك سيد درويش فى اجراء « بروفات » أوبريت شهر زاد ، قابلنى أحد الزملاء الممثلين - ولعله الممثل فهمى أمان - وعرض علىّ أن أصحبه لسماع بروفات ألحان الرواية ، فذهبت معه وفى نفسى سرور لا يوصف بهذه الفرصة الفريدة .

وجلست فى صالة المسرح أستمع إلى الالحان .

كنت فى هذه اللحظة أجلس فى خشوع وانصات كما لو كنت فى مكان طاهر أصلى فيه صلاة روحية ، وكانت الانغام تصل إلى أذنى كأنها أنسام رقيقة تتسلل إلى القلب فى دعة ونعومة ، ووجدت نفسى فى النهاية أسير موسيقى هذا الفنان الذى حرك فى أعماقى كل هذا الفن الجميل .

وأثناء استماعى لألحان سيد درويش ، وقع لى حادث لم أستطع تفسيره حتى اليوم ، فمثل هذا الحادث ربما لن يحدث مثله إلا فى دنيا المجاذيب ! .

فقد بدأت الفرقة تؤدى بروفة لحن فى رواية شهر زاد مطلعه « أنا المصرى كريم العنصرين » .

وجلست أستمع إلى ذلك اللحن ذاهلا عن كل ما حولى .. كأن فيه سرا يصل ما بينه وبين احساسى بشىء يسلب إرادتى ، وما ان انتهى اللحن حتى رأيت نفسى أعدو بكل ما أملك من قوة ، وظللت أعدو حتى وصلت إلى ميدان باب الحديد ، ثم جلست على أحد الأرصفة التقط أنفاسى وأمعن الفكر فى السبب الذى دفعنى إلى هذا التصرف الغريب !

لم يكن ثمة سبب واحد أراه معقولا لتفسير ما فعلت ، كل ما استطعت أن أصل اليه هو أننى سمعت لحنا خارقا لم أتعود سماعه ، وانني جريت بكل قوتى كما لو كان شىء مخيف يطاردنى .. أما ما عدا ذلك فلا شىء !

هل هو اعجاب شديد كان مكبوتا فى نفسى ثم انطلق مرة واحدة يعبر عن نفسه ويجعلنى أطلق لساقى العنان بغير سبب ولغير وجهة ؟! .

هل هى لحظة من لحظات الجنون التى تعترى العقل إزاء مصادفة خارقة أو صدمة نفسية تتفاعل فى داخل المرء فتدفعه إلى مثل هذا التصرف الشاذ ؟! .

هل هو مجرد مرح تولده السعادة الغامرة فى قلب صبى صغير ، فتجعله يعدو فحسب ؟! .

لا أعرف سوى حقيقة واحدة.. هى أننى قطعت المسافة من

التياترو حتى باب الحـــديد عدوا دون توقف ، بعد أن ســـــمعت ذلك اللحـــــن !

وبعد أيام من استمتاعنا ببروفات ألحان الرواية ، بدأت الفرقة تقدم مسرحيتها الجديدة للجمهور ، وكان سيد درويش يقوم فيها بدور البطولة الغنائية بنفسه ، ولكن الرواية أخفقت - مع الاسف- إخفاقا ذريعا ! .

وكنت أعجب لهذا الفشـــــل لانني لم أجد له سببا على الاطـــلاق ، فقـــد كانت الرواية نفســـها تحفة جيـــدة ، وكانت الالحـــان تعتبر شيئا جديدا وفتحا مبينا فى دنيا الموســيقى والغناء ! .

كنت أثق فى هذا وأشعر به مؤمنا رغم صغر سنى وقلة درايتى بالمسرح والموسيقى !

ولكن كانت هناك الحقيقة التى تخرق عين خبرة الخبراء ، فقد سقطت الرواية وفشل سيد دوريش فى أول خطوة يخطوها وحيدا فى الميدان ! .

ولقد تذكرت بعد ذلك تلك العبارة المأثورة التى قالها بوتشينى عندما فشلت أوبراه « حلاق أشبيلية » فى أول حفلة لتمثيلها ، إذ قال فى تصريح لاحد النقاد : « لقد نجحت روايتى .. وسقط الجمهـــــور » ! .

تذكرت تلك العبارة ، لانني آمنت بأن تلك الألحان الجريئة التى وضعها سيد درويش فى إوبريت شهر زاد كانت سابقة لأوانها ومتقدمة عن عصرها كثيرا ، فلم يهضمها الجمهور أو يتذوقها أو بعبارة أدق .. لم يفهمها !

ووضح لى أن أوبرت شهر زاد لم تفشل ، وإنما الذى فشل هو الجمهور الذى لم يستطع أن ينظر الى أبعد من أنفه ، ليتذوق موسيقى الأجيال القادمة .. ولعلنى وقتها بكيت من كل قلبى من أجل سيد درويش وموسيقاه التي ولدت قبل زمنها بكثير .

وعقب هذا الفشل حاول رفاق سيد درويش اقناعه بأن فشل الرواية راجع قبل كل شىء الى صوته الذى لا يستطيبه جمهور ذلك الزمان على المسرح ، وانه اذا كان يريد أن يستعيد ثقة الجمهور فيه وفى فنه ، فليعمل بنصيحتهم ، وكانت نصيحتهم هى أن يبحث عن مطرب آخر يقوم بدور البطولة فى الرواية ، من أصحاب الاصوات الرقيقة !

وفعلا و قع اختيار أصدقاء سيد درويش علىّ ، واستدعانى واتفق معى على العمل معه ، فوافقت مرحبا ، وان كنت ظللت على اعتقادى بأن نجاح الرواية لا يتوقف على وضعى فى مكان سيد درويش على المسرح ، وإنما يتوقف أولا وأخيرا على تذوق الجمهور لتلك الالحان الجديدة المتقدمة .

ولم يستمع لى أحد ، فقد كنت صبيا قليل التجربة فى نظرهم ، ولهذا بدأت أؤدى البروفات استعدادا لليلة الافتتاح دون أقل مناقشة !

وكان الجميع يظنون أن ليلة الافتتاح « ستفتح » لهم منجما من الذهب ، وأن الجماهير سوف تقبل من كل حدب وصوب لتستمع إلى « محمد عبد الوهاب » المطرب الصغير ذى الصوت الرفيع فى بطولة اوبريت « شهر زاد » .

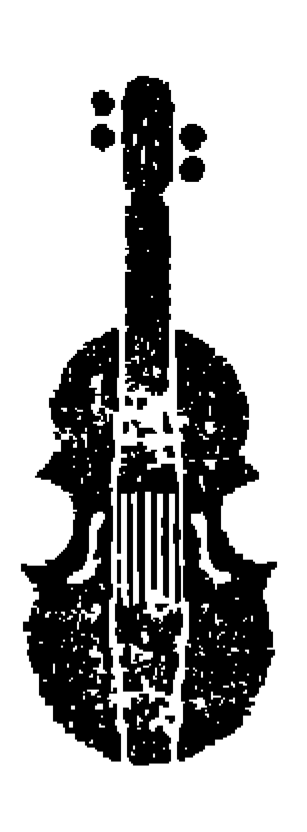
بيد أن أملهم خاب خيبة عظمى ، وتحققت نبوءتى ، فكان الفشل فى « عهدى » أكبر من الفشل فى « عهد » سيد درويش !

وهكذا وضح لكل من يبصر أن ألحان سيد درويش كانت تسبق عصرها ، وأن الجمهور قد سقط فى أول تجربة للتجديد !


نجيب الريحاني



مع الريحانى فى الشام
وأول لقاء بشوقى !



لم يـكن حظى مع نجـيب الريحـانى أفـضل من حظى مـع سـيـد درويش !

ففي حوالى عام ١٩٢٢ بدأ اسمي - رغم حداثتي - يظهر في الجو كمطرب صغير محترف، بينما كانت فرقة الريحاني تتأهب للقيام برحلة تمثيلية في الأقطار الشقيقة.

رأى الريحــانى أن وجـودى فى الفرقــة للغنــاء بين الفصـول - حـسب عــادة المسـارح فى ذلك الوقت - قـد يكون له في تلك الأقطار أثر مـضـاعف. نظرا لصـغـر سني، فـفكر فى ضـمى إلى الفـــرقة .

وبالفـعل اتصل بى الأسـتـاذ والأخ الكريم بديع خـيـرى وهو الفنان المبـدع الذى كـان يشـارك الريحـانـى فى تـأليف الروايات المسـتـوحـاة من نصـوص أجنبيـة بعـد تمصيـرها، وعـرض عليّ الانضمام إلى الفرقة بمرتب مغر، فقبلت، وسافرت مع الفرقة فعلا في رحلة طويلة إلى فلسطين ولبنان وسـوريا، ولم أكن طوال هذه الرحلة أنفـصل عن الأسـتــاذ بديع خـيـرى، الذى تعـهـد لأهلى بملازمتى وحمايتى فى مثل هذه الرحلة الجديدة على صبى مثلى ، ومازلت أدين له بالفضل ومعاملتى معاملة رجل ناضج ، وكان ذلك يشيع الثقة والاعتداد فى نفسى .

ولست فـى حــاجـة لأن أذكـر أن هـذه الرحلة - مع الأسف -

فشلت فشلا ذريعا، ولم تنجح فكرة الاستعانة بي للغناء بين الفصول في الأقطار الشقيقة، بل والريحانى نفسه فشل فى تلك الرحلة، فلقد اتضح له بعد وصوله إلى سوريا أن هناك « كشكش بك » سورى الجنسية، وأن الذى يقوم بهذا الدور هو أمين عطاالله السورى الجنسية وأنه الذى كان يمثل معه دور « الشيخ ينسون » في مسرحياته الاستعراضية بالقاهرة .

لقد استولى أمين عطا الله على مسرحيات الريحانى وارتدى « الريدنجوت » بدلا من زى « العمدة » وغير اسمه من كشكش إلى « كاشكاش »!

وكانت المصيبة الأكبر عندما اتهم الجمهور السورى الذى لم ير إلا أمين عطا الله فى هذا الدور، نجيب الريحانى بالسطو على ابتكارات الفنان السورى !.

وعاد الريحانى من تلك الرحلة خالي الوفاض إلا من سيدة جميلة هى بديعة مصابنى التى ضمها لفرقته، بينما أنا شخصيا – كمطرب ناشيء – ضعت وسط الخلافات حول من أحق بابتكار الدور كشكش أو كاشكاش بك !

إلا أن رحلتى مع فرقة الريحانى إلى الشام أثرت تجربتى المبكرة ، فقد تعرفت من خلالها على ألوان الغناء المحلية فى بر الشام ، وكنت أطرب لسماع المغنين هناك وخاصة عندما تصدح

أصواتهم بالموشحات ، وعدت من تلك الرحلة بزاد جديد فى عالم الغناء ، رغم أن طموحاتى لم تتحقق خلالها ، ولم يعرنى أثناءها الجمهور أى اهتمام !

لقد عدنا جميعا من هناك بخفى حنين !

مدرس أناشيد !

وما إن عدت إلى القاهرة حتى قررت أن أصقل موهبتى الفنية ، فالتحقت بمعهد الموسيقى ، وكان اسمه فى ذلك الوقت « نادى الموسيقى الشرقى » .

وأثناء التحاقى بالمعهد سعى لى أولاد الحلال من أصدقائى الذين كانوا يعرفون سوء حالتى المالية للعمل فى وظيفة مدرس أناشيد !

واعترف بأننى لم أفعل شيئا فى سبيل خلق جيل موسيقى من تلاميذ المدرسة . وقد وضح لى ذلك بعد قليل من بدء عملى الدراسى الجديد ، ولعل السبب يعود إلى أن إلحاقى بهذا العمل لم يقصد به سوى الانتفاع بموهبتى فى الغناء أمام كل من يزور المدرسة من الوزراء والعظماء ، شأن لاعبى الكرة ، حين تتنافس المدارس على إلحاقهم بها لتكون شهرتهم فى لعب الكرة وسيلة لمفاخرة مدرسته على المدارس الأخرى ! واعترف كذلك بأن عدم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولم يكن [illegible] أو القانون ، ولكن [illegible] يدعم [illegible] الوحيدة ويصدقها ، [illegible]

لقد كان [illegible] متيسرا إلى [illegible] هذه الهواية التى سرت في [illegible] لا أكون مجرد « فونوغراف » يردد أنغام غيري [illegible] كيف يسوغ ما يعتمل في خاطري [illegible] إلى [illegible] الموسيقى ، وبالتقاط ما يوحيه إليه الإحساس المتفاعل في قرارة النفس ، ثم يرسله نغما مصقولا إلى آذان [illegible] .

وهكذا دخلت معهد الموسيقى فى عام ١٩٢٤ لأرسى قواعد البناء الموسيقى لمستقبلى .

وفى معهد الموسيقى كنت فى حاجة للاعتماد على نفسى ، ولم يكن لدى من موارد الرزق شيئا .

ولاحظ بعض زملائى وأصدقائى الذين يعرفون أسرار أزمتى الاقتصادية شدة كبريائى التى تمنعنى عن طلب الرزق بنفسى ، فبدأوا يسعون لى بأنفسهم فى ألحاقى بعمل يساعدنى على العيش .

وتكلل المسعى بالنجاح ، إذ عينت بوظيفة مدرس للاناشيد بمدرسة « الخازندارة ».

وكان لابد لمدرس الأناشيد أن يحفظ بعض الأناشيد الحماسية كى يلقنها لطلبته ، فاستطعت أن أحفظ نشيد « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى » لسيد درويش ، وكذلك نشيد « اسلمى يامصر » لصفر على .

وكنت أحفظ النشيد فى المعهد وأستذكره ليلا فى المنزل ، فإذا ذهبت إلى المدرسة لألقى حصة الأناشيد ظهرت أمامهم وكأننى مؤلف ذلك النشيد وملحنه ، حتى أحتفظ لنفسى فى أنظار التلاميذ بالهيبة الواجبة لمدرس مثلى فى الرابعة عشرة من عمره .

واعترف بأننى لم أكن تلميذا فاشلا فحسب بل كنت كذلك مدرسا فاشلا .

لقد دخلت الفصل لأول مرة كمدرس للأناشيد وفى ذهنى تلك الصورة الجميلة لشخصية الرجل الذى سيصنع من الطلبة الأطفال عباقرة يدينون له بالفضل والولاء فى مستقبل الأيام .

وكنت اتخيل شيخ الكتاب وهو ينظر إلى بعينين ناريتين فأشعر بأن جسمى يكاد يتفكك، ثم أحاول أن أقارن بين موقفى مع تلاميذى وبين موقفى مع شيخ الكتاب ، فأجد الفرق شاسعا، وكأنه المسافة مابين السماء والأرض .

كان التلاميذ « العفاريت » يرددون الأناشيد كالببغوات وكأنهم يروون « فزورة » أو يقلدون الحيوانات من قبيل التسلية ، وكان أكثر هؤلاء الأولاد « شقاوة » وأفشلهم فى حفظ الأناشيد هو إحسان عبدالقدوس .. رئيس تحرير روزاليوسف !

ولقد تيقنت بعد قليل من ممارسة عملى كمدرس للأناشيد اننى لن أستطيع أن أمهد فى أدمغة هؤلاء الشياطين الصغار نفس الأرض الخصبة التى تولد مع الطفل ، وأقصد بها الموهبة والاستعداد.

وقد تحقق ظنى بعد عشرات الأعوام ، إذ لم أجد



واحـــدا من تلاميـذى يبـرز فى مـيدان الموسـيقى بل لقد جـعلوا رقـبـتى « قـد السـمـســـمـة » .. وخـصـوصـا صـديقى أحـسـان عبدالقدوس !

لقد كانت الأناشيد فى عرف مدارس ذلك الزمان مجرد مظهر من مظاهر الاحتـفـال . أو تقليداً من التـقـاليد التى لا مفـر منهـا لاكتـمـال الابهـة ، لم يفكر أحـد فى ضـرورتهـا لتربيـة أذواق رجال المستقبل ..

كانت مـجرد مـسـألة تسـتخـدم فى المناسبات، تماما كما نحتفل بجمل « المحمل » ، أو توزيع الحلوى فى الأعياد الدينية على كبار الموظفين !!

اللقاء مع شوقى

وفى خلال تلك الفترة – وبالتقريب فى عام ١٩٢٥ – كنت قد بدأت الغناء فى الحـفـلات الخـاصـة والأفـراح وكـان الأجـر الذى أتقـاضـاه عن الحـفلة يتراوح بين أربعة وخـمسة جنيهات ، يأخذ التخت نصفها . وأضـع الجنيهات البـاقية فى جيبى لتمثل كنزا رغم قلتهـا ، وكان لهـا فى نفسى وقـع السـحـر . فقد كان هذا المبلغ فى ذلك الوقت يسـيل له لعـاب الكثـيـرين ، أضف إلى ذلك أننى كنت مبتدئا ، وكنت كذلك خالى الوفاض !.

وحدث أن أقام نادي الموسيقى حفلة غنائية في فندق « سان استفانو » بالأسكندرية . وبصفتى من طلبة النادى المرموقين ، فقد سافرت مع اخوانى الطلبة والأعضاء للاشتراك في الحفلة وهناك غنيت قصيدة « جددى يا نفس حظك ».. وبعد أن انتهيت من الغناء وشكرت الله على أن جنبني الفشل في أول حفلة حقيقية لى ، صعدت إلى الغرفة التي كانت قد خصصت لنا في الكازينو ، ولم تمض بضع دقائق حتى جاءني أحد الزملاء وقال لى متهللا :

– عارف مين سمعك في الحفلة ؟

– مين ؟

– أحمد شوقي بك .. أمير الشعراء !

ولم أبد اكتراثاً ، فعاد الزميل يقول في لهجة من يخبرني بأنني قد ربحت يانصيب الدربى :

– ده عايز يشوفك .. تعال أعرفك بيه .

ولكنني رفضت في بادئ الأمر أن أذهب لأقابل أمير الشعراء، فلما أخذ الجميع يلحون علىّ ويغبطونني على هذا الحظ الذى أقبل نحوى دون سابق إنذار، رحت أفكر متردداً في قبول هذه الدعوة ، إلى أن إنهزمت في النهاية تحت ضغط الزملاء . وذهبت لمقابلته !

كان هناك سبب جعلنى أتردد في مقابلة « شوقى بك » بصورة

مبالغ فيها ، وهو الذى كان الكبراء والعظماء يتسابقون إلى التقرب منه ومجالسته !

كان السبب هو اعتقادى بأن شوقى بك هذا رجل مؤذ ومتعجرف وأنه ينطبق عليه المثل القائل « إبعد عن الشر وغنى له » !

أما الذى بعث فى نفسى هذا الاعتقاد بالنسبة لشوقى بك ، فهو حادث وقع بينى وبينه - ودون أن نلتقى - قبل ذلك فى عام ١٩٢١ بالتحديد !

بلاغ إلى الحكمدار

ففى ذلك العام كنت أعمل بفرقة عبد الرحمن رشدى مغنيا بين الفصول، وجاء « شوقى بك » ذات ليلة ليشهد التمثيل ، وكانت الفرقة تقدم فى ذلك المساء - على ما أذكر - رواية « الشمس المشرقة » ، وتناهى إلى سمعى من حديث الممثلين أن « شوقى بك » موجود فى أحد البناوير. ولم أكن على حداثة سنى فى ذلك الوقت أجهل من يكون « شوقى بك » ، فقد كنت ألاحظ اهتمام الناس بالحديث عنه ، ولذلك حاولت أن أجيد الغناء فى تلك الليلة حتى أحظى بإعجابه !

ولكن فى اليوم التالى فوجىء عبدالرحمن رشدى بزيارة

رسل باشا حكمدار البوليس الإنجليزى الأسبق ، الذى أخبره بأن « شوقى بك » قدم اليه شكوى شفهية ملخصها عدم السماح لصبى صغير مثلى بالغناء على المسرح لأن فى ذلك منافاة لقواعد الأخلاق وضرورة حماية النشء من الاتجاه الفاسد !

ولم يكن يوجد في ذلك الوقت أى قانون يمنع مزاولة الصغار للغناء في المسارح ، ولهذا طلب « رسل باشا » من عبدالرحمن رشدى بصفة شخصية أن يعمل على عدم إثارة القيل والقال فى هذا الشأن بمنعى من الغناء .

وبلغتنى بالطبع أخبار هذه الشكوى ، فشعرت بكره شديد نحو « شوقى بك » ، وزادت كراهيتى له عندما تطورت الأمور عقب ذلك بسبب حاجة الناس إلى اللون الفكاهى فى المسرح على أثر الكفاح الثورى ضد الإنجليز ، فتوقفت فرقة عبدالرحمن رشدى تاركة الميدان لفرقتى نجيب الريحانى وعلى الكسار ، ثم التحقت بفرقة الكسار ولم أمكث بها إلا فترة قصيرة لانعدام الانسجام بين طبيعتى الجادة وبين اللون الفكاهى الذى تقدمه !

وفى الفترة التى انزويت فيها عن الوسط الفنى من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٤، كنت أعتبر « شوقى بك » مسئولا إلى حد ما عن

حالة الركود التى سيطرت على نشاطى الفنى ، وكلما جاء ذكر « شوقى بك » أمامى ، تصورته عدواً لدوداً كل همه أن يحاربنى أو يؤذينى ، أو تخيلته طاغية مستبداً يريد أن يستعبد الضعاف أمثالى بجاهه وشهرته !

ومرت الأعوام حتى التحقت بنادى الموسيقى الشرقى وغنيت فى حفلة النادى بكازينو سان استفانو ومازال كرهى لشوقى متأصلا فى نفسى !

ولهذا السبب ترددت فى مقابلته حين أتيحت لى الفرصة الذهبية ، ثم قبلت أن أذهب اليه وفى النفس أثر من الكراهية والغضب !

وهكذا توجهت لمقابلة « شوقى بك » فى مقصورته بمسرح كازينو سان استفانو والنفس تغلى بمراجل الغضب والكراهية ، على أن تلك الأحاسيس ذابت حين صافحته ، فقد استيقظت على حقيقة حيرتنى فيه !

لقد بددت ابتسامته العريضة التى واجهنى بها كل ظنونى ، وأزالت كل أثر للكره فى نفسى دفعة واحدة ، ليحل محله شعور الإعجاب بشخصيته والزهو بلقائه !

كنت أراه لأول مرة ، ولم أر فيه خلال ذلك اللقاء عدواً ولا مستبداً، وإنما رأيت أمامى إنسانا قصير القامة وديعاً وداعة



عبد الوهاب بين الطموح ومشروع لم يكتمل

الحمل ، يبتسم فى رقة النسيم ، ولا تكاد عيناه العميقتان تستقران من فرط الخجل فى اتجاه واحد ، ذا شخصية رسمتها البساطة فى صورة محببة لقلب كل من يراه ، وبالإجمال كان فيه كل ما يدل على عمق الإحساس ودقته .. لم يكن قلبه فى جسده مثل بقية الناس .. بل كان قلبا يمشى على قدمين !

وبادرنى شوقى بك قائلا :

– أنا عارف أنك متضايق منى .. لكن تأكد انى ماعملتش كده إلا من أجل مصلحتك (يقصد تبليغ رسل باشا)

فقلت له :

– على العموم اللى كنت عايزه حصل ، لأنى امتنعت عن الغناء أربع خمس سنين !

وأحسست على الفور أننا أصبحنا أصدقاء، رغم الفارق الواضح بيننا فى السن والبيئة والمركز، وقد عمل هو على أن يشعرنى بذلك ، وقبل أن نفترق طلب منى أن أتصل به فى القاهرة فورعودتى .

الصديق والمعلم

وكنا فى ذلك الوقت فى شهر يونيو أو يوليو على ما أذكر، فعدت إلى القاهرة مع زملائى طلبة النادى لأننا لم نكن نملك من المال ما يكفى للاصطياف مثل بقية عباد الله « المبحبحين ».. أما

« شوقى بك » . فقد ظل فى مصيفه بالأسكندرية حتى بدايا شهر أكتوبر من ذلك العام .

وعندما علمت بعودته إلى القاهرة تذكرت موعده معى، ولكن طول المدة التى انقضت على لقائى به فى سان استفانو جعلتنى أتردد فى الذهاب لزيارته ، خشية أن يكون قد نسى هذا الموعد !

وكان المرحوم « حسن بك أنور » وكيلا لنادى الموسيقى ، وكان يحبنى ويشجعنى فرأيت أن استشيره فى الأمر ، وبالفعل ذكرت له ماحدث بينى وبين شوقى بك ، وسألته عما إذا كان من الواجب أن أتصل به أم أترك الأمر للظروف .

وقال حسن بك أنور :

– شوقى بك بنفسه يطلب منك الاتصال به ولا تسألش؟!.. ازاى كده ؟.. روح قابله حالا !

وعنها .. تمالكت شجاعتى وتوجهت إلى « شوقى بك » فى مكتبه – وكان يقع فى شارع جلال خلف سينما الكوزمو – فرحب بى ترحيبا زادنى اعجاباً به وتقديراً لخلقه .

ولم يكتف « شوقى بك » بهذا الاحتفال ، بل أصر على أن يدعونى للعشاء ، وصحبنى إلى مطعم الكورسال بعماد الدين الذى كان قد اعتاد أن يتناول فيه العشاء .

وفي [illegible] فضلا عن

[illegible] العبقري، تأخذ

[illegible]

و [illegible] من الأدب

والـ [illegible] العمق والدقة.

و [illegible]

فقد [illegible] حاجتي

إلى [illegible].

و [illegible]،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الكبير،

[illegible].

[illegible] كما كان

[illegible] نظرتي إلى الفن الذي [illegible] والى

الحياة [illegible].

كان من أول مبادىء أمير الشـــعراء ، الاعتداد بالشـــخصية ، وبما ينبع منهـا من أفكار، وكـانت فلسـفـتـه تدور حـول تقـديس الخلق.. يعشق الله لأنه الخالق الأكبر ويهيم باعجازه الذى يتمثل فى جمال الطبيعة ، أو فى حسن المخلوقات ، ثم كان يعشق فنه كما يعشـــق المحب فتاة أحـــلامه ، ويعتز به اعتزازه بحياته ، لأنه كـان يرى فـيـه نوعــــا من الخلق الـذى يخـتص به الله الملهمين من عبـــاده .

ويهـذه النظرة إلى الخلق الفنى كـان يبث فى نفسـى تقـديس الابتكار والخلق.

وأذكر بهذه المناسبة حكاية تدل على مبلغ احترام شوقى لملكة الابداع ، وبالتالى احترامه وتقديره لما يبدعه غيره .

فـقـد حـدث عندمـا نظـم لى أغنيـة « الليل لما خلى » أن أردت ارضاءه، وكنت أعرف أنه يحب من الغناء اللون القديم الذى اشتهر بأدائه عبده الحامولى وعبدالحى حلمي وغيرهما من كبار مطربى الجيل الماضي ، فقلت له :

– أنا حا أعمل للأغنية لحنا يعجبك ويتفق مع اللون اللى تحب تسمعه .

ولكن شوقى تجهم قليلا ، وسألنى :

– يعنى إيه اللحن اللى يعجبنى ؟

فعدت أقول له :

- يعنى تلحين قديم زى المغنى بتاعة عبد الحى حلمى ...

وهنا قال شوقى :

- اسـمع يا ابنى .. الفنان الأصيل مـايخلقش حـاجـة على ذوق غـيـره .. إنما يسـتلهم ذوقـه وإحسـاسـه وحـده .. وأنصحك بالابتعاد عن هذه الطريقة لأنى أعتبرها نفاقا وتملقا لرغبات الناس .. خلى فنك ينبع من ذات نفسك ، لأن ده يخليك تعتز بما تخلقه من الألحان .. وأنا شخصياً أصبحت أعيش فى بيئة غير البيئة اللى بتعيش فيها أنت، وربما يكون ذوقى غير متفق مع ذوقك.. ولكن إذا حاولت أن تسمعنى لحنا تعتز به وتحبه فسيكون أفضل لى .. لأنى ساعتها سأسمع فناً غير زائف أو مصطنع !

وكان هذا الدرس أثمن لدى من كل ما تعلمته، ومن كل ما قد أتعلمه . لأنه علمنى أن أقتنص الشعور بلذة الحياة من كل ما أقدمه من ألحان ..

حتى أولادى ، جعلتنى هذه الفلسفة العميقة أكثر إحساساً بهم وبجمال فكرة الله فى خلقهم ، فأحياناً يرى الأب قطعة من نفسه تمشى على الأرض مثلما يمشى أو تضحك مثلما يضحك ، أو تؤمىء كما يومىء، وربما يكون الأبناء نسخا طبق الأصل من



وبصراحة لم أقتنع وقتها بمنطق شوقى بك ولكن مع مرور الزمن بدأت أفهم عمق هذا الرجل ..

لقد كانت شجاعته الأدبية هى الحاكم المسيطر على صلاته بالناس . وقد بث فى نفسى هذه الشجاعة، وعلمنى أن المظاهر ربما تخدع العين ، ولكن الجوهر لا يمكن أن يخدع النفس .. ومنذ ذلك اليوم وأنا أجعل الاعتبار الأول فى حياتى العملية لفنى وحده .. وبعد ذلك الطوفان !

أما الدرس الثالث الذى تعلمته من شوقى فهو أن الإنسان يجب أن يكون عقلا يفكر وقلبا يحس ..

كان التأمل عنده مكملا لروح الشعر الذى ألهمه غر القصائد وفرائد المنظومات ، وأتذكر أنه كان دائما يحرص على مشاهدة فيلم فى السينما كل ليلة، وكان يصحبنى معه لمشاهدة الفيلم ، فإذا خرجنا من السينما راح يسألنى كما يسأل المعلم تلميذه ، عما فهمته من مغزى الرواية ، وما يقصده المؤلف من أهداف، وعن رأيى فى أداء البطل لدوره ... ألخ ..

كان – رحمه الله – يدربنى على إعمال الفكر والتأمل فيما أشاهده أو أراه بهذه الوسيلة وبغيرها .

وكانت كثرة تفكيره وتأملاته تساهم بالنصيب الكبير فى شفافية إحساسه، وسبقه للعصر الذى عاش فيه .

وقد صقلت هذه الدروس نظرتى إلى الأشياء . وعلمتنى أن الحياة ليست فارغة ، إلا لأولئك الذين ينظرون إلى سطحها . وأن التأمل فى صور الحياة، هو بمثابة الميكروسكوب ، الذى يكشف ما خفى من حقائقها، ويجعلها تبدو كالصورة البارزة .

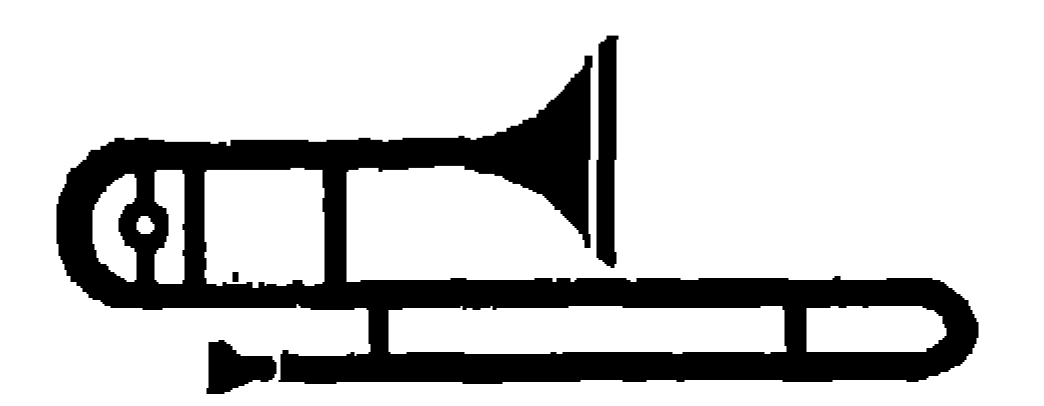
ولم يكن شوقى ليكتفى بتلقينى هذه العلوم الثمينة فى فن الحياة، بل إنه - رغم وقته الثمين - كان يعلمنى اللغة الفرنسية فى صبر عجيب ، فكان يلقننى كل يوم كلمة أو كلمتين فحسب، لكى يكون استيعابى للفرنسية أسرع وأكمل .

كان مثل الطبيب الذى يخشى على مريضه من جرعة الدواء الكبيرة ، فيؤثر أن يعطيها له داخل أقراص .



مكـــرم عبيـــد « كورس »

لأغنيتى الجـديدة





مكرم عبيد وعبد الحميد عبد الحق فى صورة تذكارية مع عبد الوهاب والمطربة رجاء عبده والمخرج محمد كريم وحلمى رفلة ومحمد عبد العظيم وعبد الحميد زكى ، أثناء تصوير فيلم « ممنوع الحب »

يظن الكثيرون أن أول كلام غنيته لشوقى كان قصيدة « ياجارة الوادى » ولكن الواقع أن أول أغنية وضعها لى المرحوم شوقى لأغنيها لم تكن قصيدة شعرية، وإنما كانت مقطوعة عامية .

كانت الأغنية بعنوان «شبكت قلبى ياعينى» والتى يقول فيها:

توحشـــــنى وانـــت ويايا

واشـــتاق لك وعنيـــك فى عنيه

واتـــذلل والحـــق معـــايا

وأعاتبـــك ماتهونـــــش علـــيّه

وكنت ألقى هذه الأغنية فى الحفلات الخاصة التى كنت أكلف باحيائها .

وبعدها بدأ يشجعنى على غناء ماينظمه، فلم يكن أحب إليه من شعره، وكان يسعده أن يستمع إليه يجرى على لسان غيره ، فما بالك حين يسمعه غناء ! .

وظل شوقى يحبنى كأحد أبنائه ، وكنت أعتز بهذا الحب أعظم الاعتزاز .

وفى أحد الأيام فاجأنى ـ رحمه الله ـ بقوله :

ـ أنا أتمنى يامحمد إنك تموت قبلى ..!

وقبل أن أفيق من دهشتي ، مضى يوضح لى هذه العبارة قـــائلاً :

– عايزك تموت قبلى علشان أرثيك بقصيدة !

وربما يندهش البعض من هذه الكلمات ، لكن الواقع أن شوقى الشاعر كان يحب فنه أكثر من أى شىء فى الوجود. كان يحبه أكثر من أولاده ومنى ، وكان يدرك مقدار ما يستطيع أن يصنعه لو أتيح له أن ينظم قصيدة فى رثاء عبدالوهاب الذى يحبه ، كان يحس أنها ستكون شيئا رائعا ، فتمنى أن أموت قبله حتى لا يحرم تراثه الفنى من هذا الأثر الخالد ..!

وأذكر بهذه المناسبة أن شوقى لم يذكرنى فى شعره إلا مرة واحدة، فى قصيدة قالها فى ذكرى سيد درويش . وختمها بهذه الأبيات الوحيدة التى نظمها فىّ :

ان فـــى ظل بلادى بلبـــــلا

لم يتـــح أمثـــاله للخلفـــــاء

ناحل كالكرة الصغـرى ســـرى

صوتـــه فى كرة الأرض الفضاء

يســـــتحى أن يهتـــف الفـن به

وجـمـال العبقريـــات الحيـــاء.

رحم الله شوقى ، كم كان يحب فنه ، حتى ليفضله على أحب الناس إليه !

وكثيرا ما كان شوقى يقول لى :

أرجوك يا محمد ألا تهمل شعرى بعد أن أموت .. تبقى دايما تغنى قصايدى !

وفى أحد الأيام قدم لى شوقى أغنية جديدة هى دور « فى الليل لما خلى » فوجدتها شيئا جديدا حقا .

إنها أغنية لا تتحدث صراحة عن العشق والهجر والصد، ولكنها أغنية وصفية تقدم لوحة فنية رائعة حافلة بشتى الألوان والظلال ، عامرة بالأحاسيس العميقة النبيلة ، إنها شىء جديد فى عالم الغناء العربى ، ولهذا قررت أن أقدم لها فى التلحين شيئا جديدا أيضا .

ومادامت القطعة وصفية فيجب أن يكون للموسيقى فيها نصيب كبير يساعد على ابراز اللوحة الفاتنة التى رسمتها ريشة الشاعر الملهم .

ولما كان التخت يتكون – حتى ذلك الوقت – من العود والقانون والكمنجة فقط، فقد رأيت أن أضيف إلى هذه الآلات الموسيقية المحدودة بعض الآلات الغربية التى تلائم أنغامنا الشرقية ،

وتنسجم مع باقى آلات التخت، وهكذا أضفت إلى التخت الشرقى لأول مرة « الفيلونسل » و « الكونترباز » .

وتصادف أن كان نادى الموسيقى الشرقى يحتفل بالانتقال من مكانه القديم الذى كان يقع فى « البواكى » خلف حديقة الأزبكية إلى مقره الجديد وقتئذ بشارع الملكة ، ولما كنت عضوا فى النادى فقد تقرر أن أغنى فى حفلة الافتتاح فاخترت هذه الأغنية وشدوت بها لأول مرة ، وقد نجحت نجاحا كبيرا .

وكان سرور شوقى عظيمـا بنجاح هـذا اللون من الغناء الوصفى . وقد شجعه ذلك على وضع أغنيات جديدة من هذا النوع. فكتب أغنية « بلبل حيران » ثم « النيل نجاشى » وغيرهما .

وهكذا خطا شوقى بالغناء العربى خطوة هامة، عندما أدخل فيه هذا اللون الجديد الذى لقى نجاحا عظيما عند الخاصة والعامة على السواء .

شوقى علمنى الحيـاة

لقد جعل شوقى من نفسه أستاذا لى ، فكان يعمل على توسيع مداركى ، ويصحبنى إلى مجالس الكبراء ، ويقدمنى فى الصالونات والمجتمعات الراقية ، ويهيىء لى فرص الغناء فى الحفلات الخاصة ، وكانت صحبة شوقى مدرسة وحدها ، وما

أكثر الدروس التى تعلمتها من هذا الرجل العظيم ، الخبير بطبائع النفوس البشرية !

أذكر مثلا أننى كنت أجلس معه يوما فى محل « صولت » الحلوانى ، حيث كان مجلسه المختار، وأقبل علينا شخص سلم على شوقى وطلب منه خمسة جنيهات ، فرفض شوقى وبعد قليل عاد الرجل يلح وينزل بالمبلغ حتى وصل به إلى خمسة قروش وشوقى يصر على الرفض . ثم قمنا للانصراف وعند الباب شاهد شوقى رجلا يلبس « ردنجوت » قديمة فناداة قائلا : « أهلا عم على .. » ثم أخرج خمسة جنيهات دسها فى جيب الرجل وانصرف .

وأدهشنى هذا التناقض فى تصرف « شوقى » فسألته عنه فقال :

– إن الرجل الأول شخص أفاق يتمحك بالصحافة ويأكل على كل مائدة، ويمد يده لكل إنسان ، وقد تركنى ليذهب إلى غيرى . أما « عم على » فهو من زملاء الدراسة ، وإذا لم أعطه أنا فلن يمد يده لإنسان !

ومن الذكريات الطريفة أننا قمنا يوما من « صولت » لنتعشى. فقال شوقى نذهب إلى « الكورسال » وطلبت أنا أن نذهب إلى الحاتى الذى أعجبنى طعامه ، وطال بيننا الجدل فضحك شوقى وقال :

ـ اسمع يامحمد نصيحة . ابقى دايماً غير المطعم اللى بتأكل فيه ، لأن هذا يقوى المعدة !

ـ ازاى ..؟!

ـ زى الطفيلى.. تعرف ليه معدته قوية؟ لأنه يأكل على موائد مختلفة كل يوم!

وكنت أجلس معه يوماً فى الكونتننتال ، فأقبل عليه أحد كبار « الباشوات » . وكان رجلا طويلا ضخما ، وأمسك بيد شوقى يريد أن يقبلها ، وهو يقول :

ـ أهلا بسيدى وابن سيدى ..!

وشوقى يسحب يده ، ويصر على عدم تقبيلها ويتجهم للرجل حتى تركه .

وبعد قليل دخل « محمد عبداللطيف » وكان يعمل معى فى التخت، فتهلل شوقى لرؤيته ، وقام فسلم عليه بشوق وسأله عن خاله ، ولاحظ « شوقى » دهشتى لتصرفه ، فقال لى :

ـ « الباشا » كان عاوز يبوس إيدى لأنه فاهم أن لى صلة بالسراى ، وهو ليس فى نظرى أكثر من زكيبة ملآنة فلوس !

هكذا كان شوقى ينظر إلى الناس والأشياء ، وكنت فى ملازمتى له أستفيد من خبرته وتجاريه وفهمه للحياة .

[illegible]

[illegible] كثيراً [illegible]

[illegible] إذا [illegible] ولم

[illegible] أن أستمع [illegible]

[illegible] في [illegible] مسجد وصيفة [illegible]

[illegible] أن [illegible] باسم أحمد [illegible]

[illegible] مرارا مفتخرين بأن اسمي محمد وليس

أ[illegible] فكان [illegible] مرة ثم يعود لينادينى باسم أحمد ثانية !

[illegible] الأغانى التى كان يحبها سعد [illegible] الأغنية [illegible]

التى [illegible] أن يسمعها منى أغنية « ياما انت واحشنى »

[illegible] أن يغنيها [illegible]

عبده الحامولى ويبدع فى غنائها فى العهد القديم ، [illegible]

[illegible] إلى [illegible] وصيف لزيارة الزعيم سعد غنيتها له

المؤلف لطفي رضـــوان مع محمد عبد الوهاب

ولا أريد أن تمر هذه المناسبة دون أن أذكر لصديقى الأستاذ مكرم عبيد موسيقية أذنه ، أو عذوبة صوته ، أو حبه وتعلقه بالغناء !

فقد كانت أغنية « ياما انت واحشنى » تحتاج إلى مذهبجية أو سنيدة بلغة العهد القديم، وهو ما يسمى فى لغة الموسيقى «بالكورس » أى الذين يرددون مذهب الأغنية وراء المغنى ، فكان مكرم يبدى استعداده ليقوم بدور « المذهبجى » ، وكان لتفهمه الفطرى الموسيقى ، وجمال صوته ، يؤدى المهمة على خير وجه ، وكان سعد يطرب للغناء فيدق بيده « على الوحدة » !

ولقد تحدثت فى بداية هذه الصفحات عن طبيعتى ونشأتى واستعدادى الخاص ، الذى جعل شخصيتى تنزع إلى الجد والوقار . وقد لازمنى هذا الطابع وصاحب تصرفاتى طوال حياتى العملية ، فلم أكن - ورغم حاجتى إلى المال - أقبل مطلقاً أن أغنى فى زفة العرائس ، وكنت أشعر بأننى غير صالح لمثل هذا العمل .

ولكن اعترافى بفضل شوقى وإعزازى له ، دفعانى إلى قبول الغناء فى زفة ابنه « على » عند زواجه .

ولقد كنت أعرف مقدار حب شوقى لابنه « على » ولذلك قدرت سعادته حين أقوم بزفة ابنه المحبوب فى حفلة عرسه .

[illegible] الأفراح
وا[illegible] .

[illegible] أن [illegible] خاصة لأغانيها في الحفل . وأذكر منها هذه الكلمات :

[illegible] الب[illegible] [illegible]

[illegible]

إن [illegible]

وإن [illegible]

وأكثر من هذه [illegible] على [illegible]
أن [illegible] رجال حكومة [illegible] إلى نفسه .

ففي حفلة زفاف «[illegible]» على شوقي، كان [illegible] الحال على رأس المدعوين، كما كان الغنى [illegible] عدلي يكن بين المدعوين .. لأن «الفرح» أقيم أيام الائتلاف الذي قام بين الوفد وحزب الأحرار الدستوريين .

وكان [illegible] مقدماً عن عدم إمكان البقاء في الحفلة إلى نهايتها ، ولكنه قبل – تقديراً لواجب الصداقة بينه وبين شوقي – أن يحضر للتهنئة في الساعة الخامسة بعد الظهر ثم ينصرف .

وكان الأستاذ الجديلى - سكرتير سعد - قد استحضر بدون علم شوقى مصوراً ليلتقط صورة تجمع بين سعد وشوقى للذكرى ، لأنهما على كثرة إجتماعهما لم يحدث قبل ذلك أن التقطت لهما صورة معاً .

وعندما حضر سعد ، إستقبلناه عند الباب ، شوقى وصهره الأستاذ حامد العلايلى ، والأستاذ الجديلى ، وأنا ..

وبعد أن هنأ سعد شوقى والعريس ، وتمنى له حياة سعيدة مع عروسه ، جلس إلى جانب شوقى ، ثم التقط المصور لهما الصورة المطلوبة .

وفى أثناء انهماك المصور فى العمل ، قال الأستاذ الجديلى :

- لقد اجتمع فى هذه الصورة الخلودان : خلود الوطنية وخلود الشعر !

وعندئذ ضحك سعد وقال وهو يشير إلى شوقى :

- لا تقل هذا .. إن هذا الرجل هو وحده الخلود فى هذه الصورة.. فبعد ٥٠ سنة لن تجدوا أحداً يذكر اسم سعد .. ولكن ستجدون إلى الأبد من يذكر شوقى ويترنم بشعره .

وأعتقد أنا ، أن سعداً لم يكن مجاملا ولا دبلوماسيا فى قوله هذا . وإنما كان يقوله عن إقتناع وإيمان .

مناقشة استاذ

وأعود إلى ذكر صداقتي لشوقي . فأقول إنها أخذت تزداد متانة وإخلاصاً على مر الأيام ، حتى أننا لم نعد نفترق إلا في القليل لدرجة أنه كان يصحبني معه في أشهر الصيف ، فنمضي بعضها في الشام ولبنان ، ثم نمضي بقيتها في أوروبا ، وكان يسعى إلى توسيع آفاق ثقافتي الفنية ، فيصحبني إلى حفلات « الكونسرت » الكبرى التي تقيمها أعظم الفرق الموسيقية في البلاد الأوروبية ويناقشني دائما في ألوان الموسيقى الأجنبية ، والطابع الذي يميز تلك الموسيقى عن غيرها .

ولقد كنت أرى بالفعل محيط موسيقانا الشرقية محدودا ، وكانت أذني تهفو دائما إلى الجديد من الألحان ، وتستمتع بالمستحدث من النغم ، وكانت مداركي الموسيقية قد تفتحت قبل ذلك بأعوام على الألحان التي ذاعت في ذلك الوقت للمرحوم سيد درويش ، والتي فتحت للموسيقى الشرقية أفقا جديدا جميلا فيه مرونة الفن ممتزجاً بالطابع الشرقي المتع .

وبدأت أفكر بصورة جدية في التجديد الذي يوسع من محيط الموسيقى والغناء ، دون أن يفقدهما الطابع الشرقي المألوف للأذن الشرقية. فالتحقت بمعهد «برجرين» للموسيقى الأجنبية لأدرس

أصول الموسيقى الأجنبية « والصولفيج » إلى جانب دراستى فى معهد الموسيقى لأصول الموسيقى الشرقية .

وبمناسبة الحديث عن رحلاتى مع شوقى بك فى أشهر الصيف، أذكر أننا نزلنا ذات مرة بلبنان ، وكان معنا الدكتور محجوب ثابت والأستاذ سليمان فوزى صاحب مجلة « الكشكول ». وكان شوقى دائماً موضع الحفاوة والتكريم من الزعماء والكبراء وعلية الناس ، الذين كانوا يحبونه ويعشقون شعره .

وبينما كنا نجلس عند أحد الأصدقاء من أبناء لبنان. قيل لنا أن مغنية جميلة الصوت ستغنى فى إحدى الحفلات. ولابد من أن نستمع إليها.

وذهبنا لنسمع تلك المغنية، فقدموها لنا مع زوجها ، وكان رجلا كثير الكلام ثرثاراً ، فراح يقص علينا قصة زواجه من المغنية - وكان اسمها روز - وكيف خطفها من بيت أهلها حباً فيها وفى فنها ، ثم تزوجها رغم أنف الأهل، وظل الرجل يروى قصته معها حتى أنقذتنا هى إذ بدأت تغنى قصيدة « مضناك جفاه مرقده » .

وقد لا يجهل واحد فى الشرق أن هذه القصيدة من شعر شوقى . ولكن سليمان فوزى أراد أن يبعث السرور إلى نفس شوقى ، فسأل الرجل عمن يكون مؤلف القصيدة ، فقال الرجل على الفور :

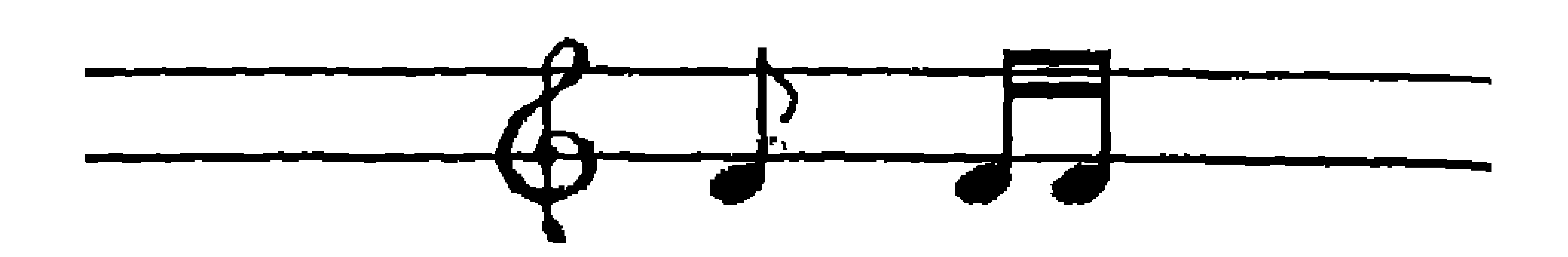
ـ الشعر إلى خيو..!!

أى أن الشعر لى ياأخى

وهنا قهقه شوقى بك وقال :

ـ معلوم .. إذا كنت خطفت مراتك .. مش راح تخطف قصيدة!

أنا وسلطانة الطرب!



أستطيع أن أقول إن حياتى العملية بدأت بصورة جدية منذ عام ١٩٢٤ .

وقد أتاحت لى هذه الفترة فرصة طيبة للتعرف على كثير من الشخصيات البارزة فى عالم السياسة والمال والمجتمع الراقى .

وما أكثر الحكايات الطريفة التى صادفتنى فى تلك الفترة التى كنت أضع فيها قدمى على الدرجات الأولى لسلم الشهرة والنجاح.

من الحكايات الطريفة التى أذكرها أننى دعيت مرة للغناء فى حفلة خاصة بمنزل أحد الكبراء ممن كانوا على صلة بالعائلة المالكة السابقة ، وكانت الملكة السابقة « نازلى » ضمن المدعوين ، ومثل هذا الأمر كان نادر الحدوث فى عهد « فؤاد » !

وبينما كنت أستعد للغناء جاءنى من يقول لى: إن « جلالة » الملكة تريد أن تسمع دور « الله يصون دولة حسنك » وهو أحد الأدوار المشهورة لعبد الحى حلمى .

وحاولت أن أعتذر بأننى لا أحفظ هذا الدور ، ولكن الرسول نظر إلىّ نظرة ذات مغزى ، وقال لى وهو يبتسم :

ـ دى رغبة « جلالة » الملكة !

وفهمت من إشارته الخفية أنها ليست مجرد رغبة ، وإنما هى « أمر ملكى » .. وأن سمعتى ، وربما مستقبلى أيضا ، يتوقف على تنفيذ هذا الأمر بلا نقض أو ابرام .

ووقعت فى حيص بيص ..

ماذا أصنع وأنا لم أكن فعلا قد حفظت ذلك الدور أو رددته من قبل ؟

وجاء الفرج فى شخص عازف الرق فى تختى ويدعى سيد كامل ، إذ أسر فى أذنى أنه يحفظ الدور عن ظهر قلب .

قلت :

ـ عال .. إذن تغنى أنت الدور وأنت تجلس خلفى مباشرة بينما أكتفى أنا بفتح فمى وغلقه متظاهرا بالغناء.. وربنا يستر بقى !

ونفذنا هذه الفكرة كما وضعناها ، فكنت أتظاهر بالغناء بينما الذى يغنى فعلا هو « الرقاق » سيد كامل المختفى وراء ظهرى !!

وكنت فى بعض الأحيان أخفى الضحكات التى تلح على . بوضع المنديل على فمى متظاهرا بالكحة !

وانتهت السهرة على خير والحمد لله !

ومن الحكايات التى أذكرها أيضا عن هذه الفترة من شبابى ، أن دعانى مرة للغناء رجل من أكبر سراة مصر وأبعدهم جاها ونفوذا ولا داعى لذكر اسمه ، وكان همزة الوصل بينى وبين هذا الكبير نادى الموسيقى الذى كنت فى نفس الوقت طالبا به، فقد كان هذا الرجل على صلة طيبة بالمشرفين على النادى .

واهتم النادى بهذه الحفلة فكلف « تختا » من أعضائه بمشاركتى فى إحياء الحفلة، وكان سرورى عظيما للغناء فى حفلة هذا الرجل ، نظرا لعلاقته بالنادى من جهة ، ولأهمية مركزه الاجتماعى من ناحية أخرى .

وبعد أن أحييت الحفلة ، أقبل على الداعى يحمل كيسا مليئا بالنقود يشبه ما قرأنا عنه فى قصص سخاء هارون الرشيد على المطربين والشعراء ، ووضع الكيس فى جيبى .

وأحسست من ثقل الكيس بالسرور لدرجة أن ازدادت ضربات قلبى، وقدرت أن ما فيه من جنيهات ذهبية لا يقل عن ألف أو خمسمائة .. وهذا أضعف الايمان !

وبعد انصرافى من بيته أخرجت الكيس بلهفة لأحصى هذه الثروة العظيمة، فإذا بى أكتشف أن ما بالكيس لم يكن سوى شلنات لا تزيد فى مجموعها على بضعة جنيهات ..!!

كيف بدأت التلحين ؟

ووسط تلك المفارقات كانت الرغبة التى تجيش فى صدرى للبحث عن أفق جديد فى الغناء يتفق وتطور العصر ، هى شغلي الشاغل فى ذلك الوقت ، وقد تولدت عن هذه الرغبة محاولة ايجابية فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

وتساءلت .. لماذا لا أشتغل بالتلحين .. حتى أجد الحرية الكافية والميدان الواسع لانتاج شيء أعتز به !

وخرجت بجواب واحد .. هو ضرورة أن أكون ملحنا أيضا .. وهكذا « حشرت نفسي » في دنيا الملحنين ، ورحت أحاول أن أجعل الناس يعتقدون أنني ملحن قبل أن أكون مغنيا . وبدأت أقوم فعلا بتلحين الأغاني لصغار المطربين والمطربات لقاء أجر تافه !

وما أن حل عام ١٩٢٦ حتى كنت قد عدت مرة أخرى إلى الريحاني، لا لأغني بين الفصول ، ولكن لأقنعه بأنني « ملحن ونص » واقتنع بكلامي وأسند لي تلحين أوبريت « قنصل الوز » وبعد نجاحها أسند لي تلحين أوبريت آخر هو « مراتي في الجهادية » وهما عن روايتين ترجمهما أمين صدقي عن نصين شائعين بفرنسا في ذلك الوقت .

وفي الفترة التي عملت فيها مع الريحاني كملحن، شعرت لأول مرة بأنني أصبحت انسانا يعتمد عليه في الأعمال الكبيرة .. وأدى ذلك إلي ازدياد ثقتي بنفسي رسوخا وثباتا .

وكان لنجيب الريحاني أثر لا ينكر في ذلك ، إذ كان من طبيعته ألا يتدخل في الأمور التي لا يحسنها ، فكان يشعرني دائما بأنه وضع ثقته كاملة في شخصي كملحن محترف، ولم يحاول مرة التهوين من عملي أو تقليل قدري !

وبالاضافة لكل ذلك فقد كنت أعرف تماما أن تلحين رواية أوبريت يعتبر عملا ضخما يحتاج إلى مقدرة وجلد بالنسبة لكبار الملحنين ، فما بالك بملحن ناشىء مثلى فى ذلك الحين ؟

كيف تعرفت بمنيرة المهدية ؟!

وقد أفادنى عملى كملحن لفرقة الريحانى فى إحراز تقدم فى الأوساط الفنية .

فبعد تلك الأعمال دعتنى السيدة منيرة المهدية لكى أقوم بتلحين أوبريت «المظلومة» التى ألفها الشيخ يونس القاضى ، فقبلت على الفور، وكان سرورى لهذه الدعوة أعظم مما يتصوره أحد، فمنيرة المهدية ـ وما أدراكم ما منيرة المهدية فى ذلك الحين ـ كانت تمسك فى يدها بصولجان الطرب، وتجلس متربعة على عرشه واضعة ساقا على ساق. ولذلك كانت فرصة لا يجود بمثلها الزمان بالنسبة للملحن الفقير محمد عبدالوهاب ، أن يدعى لتلحين أوبريت تمثلها وتغنيها منيرة المهدية !

ونجحت « المظلومة » وكان لابد لها أن تنجح بطبيعة الحال، إن لم يكن لقوة الرواية أو لجودة ألحانها ، فلصوت منيرة الذائع الصيت .

وكان نجاحها سببا فى أن تسند إلىّ تلحين عدد آخر من رواياتها .



بديعة مصابني

وكانت منيرة قد اختلفت مع المرحوم سيد درويش وهو يلحن أوبرا « كليوباترة » لحسابه ، فانقطع عن تكملة ألحانها..

وفى ذات يوم قابلتنى لتقول لى :

ـ إيه رأيك لو كملت ألحان كليوباترة وأخذت دور مارك أنطونيو فى الرواية ؟

وأجبتها على الفور وقد ملأتنى الرهبة :

ـ أنا ؟.. أعوذ بالله !؟

وعادت منيرة تلح فى هذا العرض، فلم أجد بدا من أن أعدها بالتفكير فى الأمر خلال بضعة أيام .

ولم يكن ترددى فى قبول هذه الفرصة هو عزوفى عن المجد الذى سنح أمامى كمطرب وممثل أمام سيدة عظيمة كمنيرة المهدية، وإنما كان خوفى وتهيبى من الفشل أمامها، ذلك الفشل الذى كنت أتوقعه بنسبة تسعين فى المائة ، فهى مشهورة ولها صوت يجذب الجماهير التى أصبحت لا تقبل معها شريكا !

وكنت دائما كلما ضاقت أمامى الأمور أذهب مسرعا للصديق الكبير أحمد بك شوقى لأسأله النصح والمشورة .

وفعلا توجهت إليه ، وعرضت عليه الأمر بحذافيره مستشيرا إياه فيما أفضل، فقال لى رحمه الله :

- أنصحك تقبل يا محمد !

قلت :

- ولكن إذا فشلت .. والفشل متوقع ؟

فقال :

- إذا فشلت أو لم تنل النجاح المرجو، فسيكون شفيعك وعزاؤك أنك فشلت أمام أعظم مغنية فى الشرق .. أما إذا نجحت - وستنجح إن شاء الله - فسوف يكون نجاحك مضاعفا ، لأنك ستكون قد نجحت أمام أعظم مغنية فى الشرق !

وأقنعنى منطق شوقى .. وأخبرت منيرة بقبولى العمل معها !

وتوكلت على الله ، وقررت أن أقدم على القيام بهذه التجربة .

وأعترف أننى بدأت التدريب وأنا أضع يدى على بطنى من الخوف، فقد كانت فكرة القيام بتمثيل أدوار البطولة على المسرح تثير الفزع فى نفسى .

وكان اتفاقى مع منيرة يقضى بأن أقوم بتلحين الرواية إلى جانب ظهورى أمامها كمطرب وممثل ،وكنت أدرك أن فشلى - لو حدث - سيقضى على آمالى فى المستقبل قضاء مبرما .

ولكنى أقدمت مستهينا بالنتائج !

وقد واتانى الحظ بفضل الله تعالى ، فأصبت من النجاح ما لم يخطر ببالى. وكان ذلك من أهم مراحل حياتى الفنية .

وأرى لزاما علىّ فى هذا المقام أن أصف شعورى وأنا أقطع هذه المرحلة التاريخية ، التى انتقلت بى من عهد الأمل والتمنى إلى عهد النضج الفنى ، وفتحت أمامى باب الشهرة على مصراعيه .. وأهم من ذلك كله ، علمتنى درسا قامت على دعائمه فيما بعد حياتى الفنية .

لقد تعلمت أثناء عملى بفرقة منيرة ، ذلك العمل الذى أتاح لى - لأول مرة فى حياتى - الوقوف موقف المسئولية أمام جمهور ناضج، أن الجمهور هو السلطان الذى يقبض بيده على مقاليد الحكم فى دنيا الفنون، وهو سلطان قاس لا يرحم، ولكن بقدر قسوته يكون تقديره واقباله على العمل الفنى الذى يعرض عليه .

وتعلمت من الجمهور أن العبرة ليست بما يسبق العمل من مقدمات ومراحل اعدادية، ولكن العبرة بنتيجة العمل نفسه، وأن الجمهــــور فى المسرح كالزوج الذى لا يهمه كيف تصنع له زوجته طبق الطعــــام الذى يشتهيه بقدر ما يهمه أن يكون الطعــــام على مزاجـــه !

ومن هذا الدرس تعرفت فى أول عهدى بالمسئولية الفنية وكيف أتخير من الألحان مايرضى مزاج الجمهور وذوقه .

وأقول الحق أننى لم أتخل يوما عن مبادئى ونزعاتى فى سبيل البحث عن الجديد باستمرار، ولكن ذلك الدرس كان ذا فائدة عظمى لى فى كيفية التوفيق بين ما أريده لألحانى وما تجتمع عنده رغبة الجماهير !

وقد يصعب على الفنان أن يبذل من عصارة نفسه فى سبيل عمل فني لا يصيب حظا من النجاح ، ولكن ما تعلمته من الجمهور جعلنى أوقن بأن العمـــل الفنى الكامل يجـد دائـما حظـه مـع الجماهير .

اول مقـــال عنى!

وبعد ظهورى أمام منيرة المهدية فى رواية « المظلومة » وإفلاتى من الفشل ، كتب صديقى الأستاذ محمد التـابعى مقالا مطـولا فى جريدة « الأهـرام » على ما أذكر ـ وكان يكتب فيهـا بتوقيـع « حندس » وقتـذاك ـ وقد امتدح فى هذا المقال مواهبى كملحن مـجدد ومطرب ذى مستـقبل مرمـوق ، وبعـدئذ توالت تعليقـات الصـــحف الفنيـــة التى كـانت منتـشـرة فى ذلـك الحين ، وأذكـر منهـا مجـلة « المسرح » ، ثم مجلة « النـاقد » ومجـلة « الممثـل » و « روزاليوسف » التى نشرت أخبارى وصورى ، وعندئذ شعرت بأننى انتهيت من قطع مشـوار الهواية والتطلع إلى المستقبل ، وانتـقلت إلى مرحلة الوقـوف على سلم الشـهرة ، وكـان شعـورى

كفنان معرض للنقد من الجمهور والصحافة معا ، يشبه شعور من يستعد لصعود سلم مرتفع ، وعلى كاهله أثقال وأثقال !

وأعترف بأنني، كمطرب ناشيء تعود في طفولته على التمثل بالكبرياء والتشبه بوقار العجائز ، كنت أخشى الصحف ، لا لنقد قد يوجه إليّ على صفحاتها، ولكن لأن أغلب الصحف فى ذلك الحين كانت تخوض فى الكثير مما لا يجب ذكره عن الفنانين ، وكانت حتى دعاباتها لهم من نوع « الهزار الثقيل » !

لقد كانت أخبار هذه الصحف وحديثها عن الفنانين تتناول حياتهم الخاصة فى أدق أسرارها !

وحقيقة أنه لم يكن ثمة ما أخشاه لو تعرضت الصحف لحياتى أو أخلاقى أو تصرفاتى ، ولكن كانت حرية الصحف أقوى من أن يتصدى لها مكذب ، وكانت إساءة استغلالها أسهل من أى شيء آخر، ثم كانت هناك فضلا عن ذلك مودة « الهزا ر» التى كان بعض نقاد ذلك الحين « يشاكسون » به عباد الله الفنانين ، وأنا كما سبق أن قلت ، كنت أكره الهزار منذ صغرى ، فما بالك ياسيدى بهزار ثقيل من هذ النوع ؟

وهذا لا يعنى أنه لم يكن فى الصحف نقاد يتحلون بالرزانة أو النزاهة أو الصراحة، فحتى الآن لم تكن السينما قد ازدهرت وأصبحت اعلاناتها تكمم فى بعض الأحيان أفواه الكثير من

الصحف ، أو على الأقل تقلل من أهمية النقد على صفحاتها !

وكما تعلمت من الجمهور درسا أفادني في تأدية رسالتي الموسيقية ، تعلمت أيضا من الصحف درسا آخر له قيمته ، هو أن شهرة الفنان هى عقد يعطى بموجبه الحق للجمهور والنقاد بأن يضعوه تحت « الميكروسكوب » ليكشفوا عن محاسنه ومساوئه معا ، وأن النقد النزيه الصريح من أهم مقومات نجاح الفنان ، وأنه يجب ألا يكون النقد مدعاة لكربه ، أو أن يكون المديح باعثا لزهوه، إنما يجب أن يجعل من الاثنين دافعا لاستمراره فى الطريق .

عناق فى الظلام !

وعلى كل ، فلنعد إلى منيرة المهدية ، فمن الطرائف التى وقعت لى أثناء العمل بفرقتها ، وخشيت أن تجعلها الصحف مادة لتهكمها . ما أذكره فى السطور التالية :

ذات ليلة كنت أقوم بدور مارك أنطونيو ، وكانت السيدة منيرة تقوم بدور كليوباترة ، وكان أحد مشاهد الرواية يقضى بأن تدخل الفاتنة كليوباترة على المسرح وتصيح مغنية « تركت مصر بلادى .. » فيستقبلها مارك - الذى هو أنا - بالعناق !

ودخلت منيرة فعلا وبدأت تغنى «تركت مصر بلادى»، وقبل أن أهم بأخذها بين ذراعى، انطفأ نور المسرح فجأة، وساد ظلام



أصر هذا المعجب بعبد الوهاب على أن تلتقط له صورة
تذكـــارية معه ... وقـــد حقق له عبـــد الوهاب رغبته ..

[illegible] ، ولكنى لم أهتم بهذا العارض الفجائى ، واندمجت فى دورى . وقد استطعت خلال الظلام أتحسس مكان وقوف كليوباترة لأبادلها ، وما أن عثرت عليها حتى عانقتها ورحت أغنى كما يقتضى دورى ذلك !

وعاد الضوء مرة أخرى فملأ المسرح ، وعندئذ وجدت نفسى أعانق ممثلة ثانوية جدا فى الفرقة واسمها زاهية ابراهيم ، بينما وجدت كليوباترة ذاتها فى مكان الكومبارس !

وانقلبت الرواية من دراما محزنة ، إلى فكاهة أشد حزنا .. لى أنا طبعا !

وحدث – كذلك – فى أثناء تمثيل هذه الرواية بالذات أن وقع مشهد طريف جعل المتفرجين يمسحون دموع الضحك بدلا من أن يمسحوا دموع الحزن !

كان بين مناظر الرواية منظر تموت فيه السيدة كليوباترة ، وهو منظر الختام المعروف ، وقد شاءت إرادة المؤلف أن يكون موت كليوباترة بين ذراعى حبيبها مارك أنطونيو ، الذى هو أنا !

وبينما السيدة منيرة فى أوج اندماجها وهى تمثل مشهد الانتحار بين ذراعى ، تركت نفسها فجأة وبلا سابق انذار !

وحيث إنه لا داعى للقول بأن السيدة منيرة كانت من الوزن الثقيل ، وحيث أنه من تحصيل الحاصل أيضا أن أذكر أننى كنت

وقتها في وزن الريشة ، فلا داعى كذلك لوصف كيفية وقوع كليوباترة المهدية علىّ ثم سقوطنا معا على أرض المسرح في مشهد فكاهى من النوع الذى يضحك الثكالى !

وهكذا كان ختام الرواية مسكا .. كما يقولون !

لقد كانت منيرة المهدية في ذلك الحين سلطانة الطرب بغير منازع ، ولم يكن صوتها وحدها هو الذى يهيىء لها هذه المكانة فى قلوب الناس ، وإنما كانت هناك شخصيتها القوية أيضا !

كانت منيرة مغنية من نوع ممتاز قل أن يجود الزمان بمثلها، وكانت موهبتها في جمال الصوت مطبوعة غير مصنوعة ، ولكن الموهبة الجميلة كان ينقصها شيء يكملها . هو التحصيل الفنى ، أو بعبارة أخرى درس الموسيقى وتفهم أسرارها .

حقيقة أن صوتها لم يكن ينقصه شيء ؛ وكان طوع ارادتها، بيد أن دراسة الموسيقى - حتى ولو دراسة بسيطة - كانت كفيلة بأن تزيدها فوق مجدها أمجادا .

وكانت منيرة - أيضا - إنسانة ذات شخصية جبارة ، ينطبق عليها الوصف القائل بأنها من الذين يملأون المكان الذى يجلسون فيه !

ولأن هناك من الناس من يولدون والزعامة فى دمائهم ، فإذا ما حقق لهم المستقبل رفعة الشأن بدت رفعتهم وكأنها طبع فى

خلقهم ، فإن منيرة كانت من هذا النوع، فقد كانت تضع على رأسها تاج الشهرة كما لو كانت تلبس قبعة رخيصة !

ولقد بلغ من مجد منيرة ومكانتها في القلوب، أن كان الكبراء والعظماء الذين تنحنى لهم الجباة يتسابقون إليها ، وكلهم يرجو ابتسامة منها ، أو كلمة ، أو مجرد إيماءة !

وكانت الهدايا والأوسمة الرفيعة تقدم إليها بغير حساب ، حتى أصبح لديها مجموعة من الأوسمة والنياشين تفوق ما يملكه أمبراطور !

وأشهد أننى رأيت بعينى رأسى وزيرا كبيرا يركع عند قدميها ، ورأيت ذات مرة وصيا على عرش ملك يقبل قدميها .. نعم قدميها !

وقد يكون هذا التصرف من وزير ومن وصى على عرش ملكى ، أمراً تنفر منه الرجولة ، ولكن هناك دائما المعنى المنطوى فى لفائف كل شيء ، وقد تنطوى المعانى السامية فى بطون المظاهر المزرية ..

وكان الاعجاب بصوت منيرة هو ذلك المعنى الذى جعل كبارا فى القوم ينحنون إلى موطىء قدميها بجباههم وشفاههم ، علهم يعبرون عن مدى تقديرهم لها !

وإلى جانب القوة والعظمة فى شخصية منيرة المهدية ، كانت لها عادات غريبة لم أفهمها جيدا ، وكنت لا أصدق روايتها حتى رأيتها بنفسى رؤى العين !

وكان من غرائب منيرة أنها كانت تفضل فى بعض الأحيان أن تعيش بين قبور الموتى !

لقد كنت أعرف عن السيدة منيرة حبها لحياة الترف ، فقد كانت تقيم فى عوامة فاخرة الأثاث ، حوت من أدوات الرفاهية وزخرف العيش مالم يتوافر إلا لأصحاب الملايين ، وقد بلغ شغفها (بالفخفخة) أن كانت تحلى ملابسها بأثقال من الأحجار الكريمة !

ولعل حياة الترف التى كانت تعيشها هى التى جعلتنى أرى حبها للاقامة فى « القرافة » أمراً غير مفهوم !

لقد أعدت منيرة فى مقبرة العائلة بالقرافة غرفة سفرة كاملة فاخرة وألحقت بها مطبخا « محترما » . وفراشا وثيرا ، وكانت تقضى أغلب نهارها فى ذلك « البيت » العجيب ، حيث تتناول غذاءها وتغفو ساعات القيلولة ، فما الذى كان يجذبها للحياة بين الراقدين تحت التراب ؟

هل كان السبب هو شوقها إلى أعزاء انتقلوا إلى دار البقاء ؟

هل ذلك لأنها لم تجد وفاء فى الأحياء فراحت تلتمسه من الأموات ؟

لست أدرى !

وعلى أى حال فقد كان هذا التصرف يعبر عن ناحية غريبة فى حياة سلطانة الطرب !

ولم يكن ذلك وحده كل غرائب منيرة ، فقد كانت تحب أيضا التشبه بالرجال ، لا إنكارا لأنوثتها أو حبا فى الخشونة ذاتها ، وإنما - وهذا رأيى الخاص - لأن منيرة كانت ترى فى الرجولة مظهرا من مظاهر السيادة والعظمة ، وقد كانت ترى نفسها جديرة بالعظمة وأحق بالسيادة ، وهى تتربع على عرش الطرب وحدها !

وقد دفعها هذا التشبه ، أو قل جريها وراء السيادة ، إلى أن تسند لنفسها بعض الأدوار التمثيلية « الرجالى » ، فقامت بدور « على نور الدين ».. وكذلك بدور « صلاح الدين الأيوبى » .

ولك أن تتصور أن منيرة المهدية ، السيدة الرقيقة ، تقوم بدور قائد ومحارب مثل صلاح الدين ؟!

بل لقد كانت منيرة تشتهى أن تقوم بدور « مارك أنطونيو » ولكن منعها من ذلك حبها لدور كليوباترة الذى أصبح من أشهر أدوارها !

ومن الطريف أن السيدة منيرة حصلت فى النهاية على امنيتها، فقد وقع خلاف بيني وبينها أدى إلى انفصالى عن الفرقة ، وجاءت احدى شركات الاسطوانات لتتفق معها على تسجيل أغانى الرواية فى اسطوانات الشركة ، فقبلت منيرة ، وقامت بتسجيل الأغانى كلها بصوتها ، بما فى ذلك صوت مارك أنطونيو ، فكانت تغنى حوار كليوباترة بصوت رقيق ، ثم ترد على نفسها مغنية حوار أنطونيو بصوت أجش !

ومادمت قد ذكرت خلافى مع السيدة منيرة ، فلأذكر أيضا تفاصيل هذا الخلاف .

قلت فيما سبق أن نجاحى مع منيرة والاقبال الشديد الذى لاقيناه من الجمهور قد جعلانى أحس بالزهو ، ولم أكن أقدر أننى سألقى سوى الفشل ، ولهذا السبب ، وهو عدم تقديرى للنجاح ، لم أدخل مع السيدة منيرة فى اتفاق تفصيلى على الأجر الذى سأتقاضاه .

ولكن بعد ذلك جاءت اللحظة التى كان لابد لنا فيها من تسوية الحساب والاتفاق على الأجر المطلوب .. وعندئذ طالبت بأن يكون أجرى عشرة جنيهات فى الليلة ، وعارضت السيدة منيرة رغم أن الايرادات كانت ذات أرقام يتواضع أمامها هذا الأجر الذى طلبته ، وأصرت على ألا يزيد الأجر على ستة جنيهات فقط لاغير !

وحاول بعض أصدقاء الطرفين تسوية هذا الخلاف بأن يتنازل كل منا عن شيء من شروطه ، وأن نقسم البلد نصفين ، ولكن أحدنا لم يتزحزح عن موقفه !

وإزاء اصراری من ناحية واصرار منيرة من ناحية أخرى ، اتفقنا على أن أترك الفرقة ، بشرط أن أتقاضى مرتبی عن المدة التی اشترکت فيها معها بواقع عشرة جنيهات عن الليلة .

وبصرف النظر عن السبب الحقيقی الذی شجع منيرة على عدم التمسك بوجودی فی الفرقة رغم النجاح الذی نلته فيها ، فقد كان سروری لايقدر وأنا أقبض بيدی على مبلغ لايستهان به .. هو مجموع ما أخذته من باقی حسابی لدی منيرة .. بواقع عشرة جنيهات فی الليلة « حتة واحدة » .. وكانت تلك أول مرة فی حياتی أنال أجرا بهذا القدر !

وبعد أن تركت فرقة منيرة أرادت هی أن تقلل من أهمية تركی لها ، فاسندت دور « مارك أنطونيو » إلى الأستاذ عبدالعزيز خليل ، ولم تكن للممثل صلة سابقة بالغناء ، ولهذا إضطرت منيرة بعد ذلك بقليل إلى الاتفاق مع الزميل الأستاذ صالح عبدالحی، ثم مع سيد شطا، وعبدالغنی السيد .. !

وكان الخلاف يقع فی كثير من الأحيان بينها وبين من تتفق معه من المطربين، فتعمد إلى الاتفاق مع غيره، وهكذا، حتى

اضطرت فى احدى الفترات إلى الاتفاق مع السيدة فتحية أحمد لتقوم أمامها بأدوار البطولة النسائية!

ومما يجدر ذكره في صدد حب منيرة للقيام بأدوار الرجال ، انها أسندت كيلوباترة للسيدة فتحية أحمد ، بينما قامت هى بدور « مارك أنطونيو » .

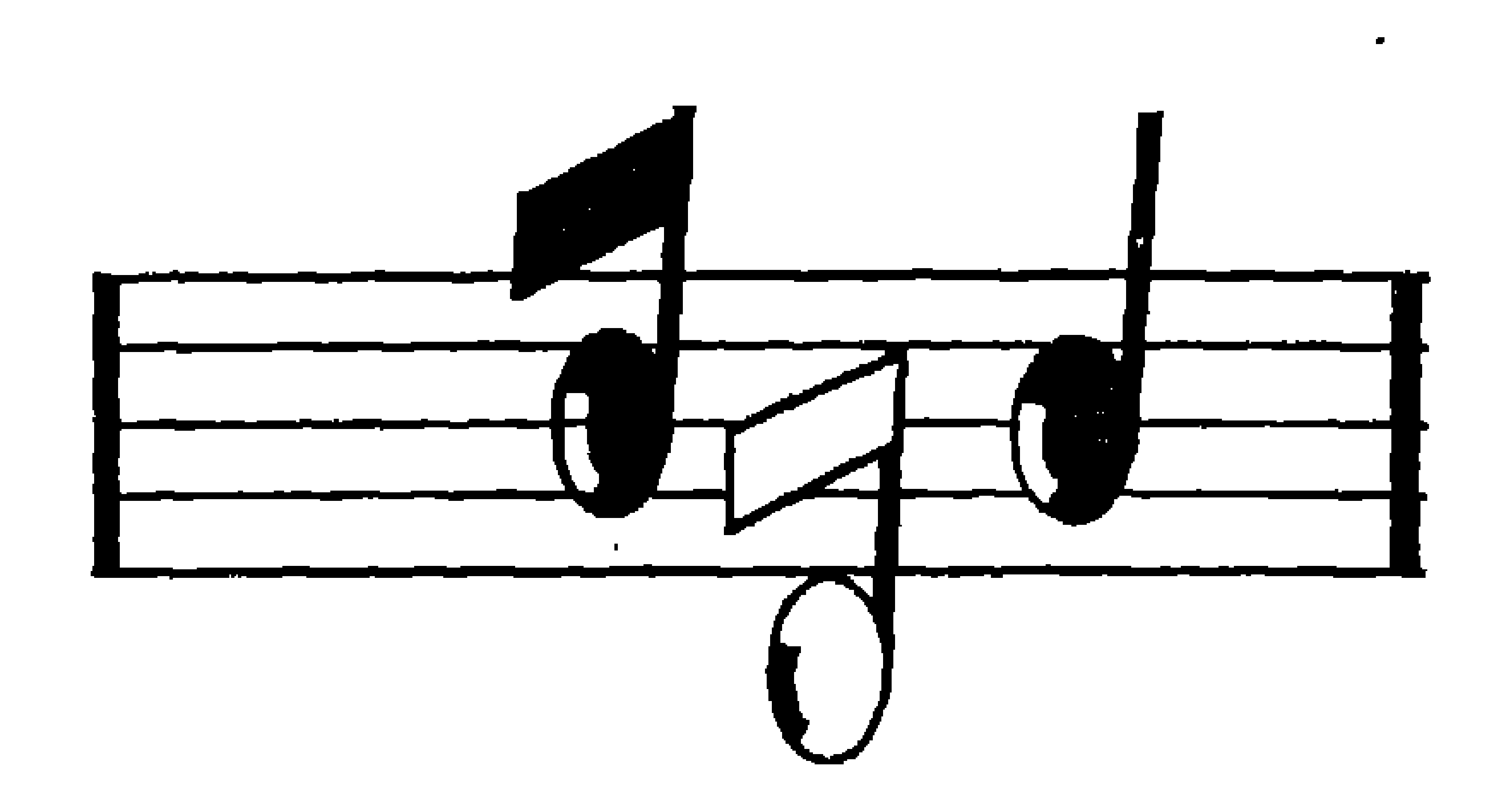
وعلى أثر خلافي مع السيدة منيرة وخروجي من فرقتها ، رأيت أن مستقبلى الفني مرهون بدوام علاقتى بجمهور المستمعين ، لا جمهور النظارة، وفرق بين الاثنين بطبيعة الحال بالنسبة لمطرب ، الأصل فى رسالته الغناء وليس التمثيل .

وكان نجاحي مع منيرة قد شجعنى على أن أغزو ميدان الحفلات العامة .

وتشجعت أكثر وأكثر عندما جاءنى متعهد حفلات يدعى « فيتاسيون » ليتفق معى على إحياء حفلة غنائية عامة فى تياترو دار التمثيل العربى .

وبعد أن استخرت شجاعتي قلت له « على خيرة الله » !

قصـــور فى الهواء





كان عبــد الوهاب مغرما بالسفر الى لبنان لقضاء مدد متفاوتة
هنـــاك .. وقد أخذت له هـذه الصورة فى ربوع لبنـــان ....

الواقع أن نجاحى مع منيرة لم يكن وحده الذى شجعنى على خوض مضمار الحفلات الغنائية عام ١٩٢٧ ، وإنما كانت هناك أيضاً القصور الشامخة التى زينها المتعهد « فيتاسيون » أمام عينى عندما ينهال الذهب علىّ من إيراد تلك الحفلات الغنائية . كنت قد « أخذت على الفلوس » ، فاعتبرت السيد فيتاسيون بمثابة « بابا نويل » الذى يهبط من السماء ليمنح الأطفال ما يحلمون به من هدايا تدخل السرور على قلوبهـــم !

ولذلك قبلت العرض، وتركت جميع التفاصيل، بما فى ذلك استئجار المسرح والفرقة الموسيقية والدعاية وطبع التذاكر وقبض الإيراد لهذا المتعهد الهمام !

وآه من الشرط الأخير.. وأعنى به قبض الإيراد !

وستعلمون لماذا كانت هذه المسألة سبباً فى تصدع بنيان القصور التى بناها المهندس القدير فيتاسيون ليسكننى فيها فيما يلى من سطور.

استأجر الرجل بالفعل مسرح دار التمثيل العربى، الذى شهد أعظم أمجاد المرحوم الشيخ سلامة حجازى ، وأرجأ دفع الإيجار إلى ما بعد الحفلة لغرض فى نفس يعقوب، ولكنه - والشهادة لله - أجاد فى الدعاية للحفلة ، فنشر الإعلانات المختلفة، وأطلق علىّ لقب الموسيقار المجدد ، وعمل كل ما من شأنه ازدياد إقبال الجماهير على المسرح .

ونجحت الحفلة نجاحاً طيباً، وكنت أشاهد بنفسي زحام الجماهير فأزداد سروراً واستبشاراً بما سيدخل جيبي من أجر يسيل له اللعاب، ولا أجد داعيا للقول بأنني لم أكن وقتئذ أملك شيئاً من النقود .

وغنيت في تلك الليلة المشهودة أغنية من تأليف « شوقي بك ومطلعها « وعد البشاير نتهنى » ..

وكنت أثناء إلقائها أحس كأنما اغني على ليلاي .. ألم يعدني فيتاسيون بالبشاير التي ستجعلني بعد الحفلة في غاية الهناء ؟!

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فبعد أن انتهت الحفلة ، بحثت عن الأخ فيتاسيون في سلقط وفي ملقط فإذا بـ فص ملح وداب !

وجعلني هروب المتعهد فيتاسيون في موقف يستحق قصيدة رثاء، فلم يكن لدى من التجارب ما يمكنني من التخلص من المسئوليات التي ارتمت على عاتقي فجأة على أثر هروب الرجل !

كان لابد من دفع إيجار المسرح ، وكان لابد من دفع أجور الموسيقيين الذين تألف منهم « التخت » أيضا ، بالإضافة الى أجور عمال وغير عمال وكنت أنا وسط هذه المعمعة يا مولاى كما خلقتني !

وتمثلت عندئذ بقول طارق بن زياد المأثور « العدو أمامكم

البحر وراءكم » ورأيت أنه لابد من انقاذ ما يمكن انقاذه من سمعتي بدفع ما هرب به المتعهد من أجور .. بما فيها أجرى أنا !

والحقيقة أن مبلغاً بسيطاً في ذلك الوقت كان ينقذ الموقف، فلم يكن أكبر عازف في ذلك الحين أجره يزيد على الجنيه ، ولم يكن أجر المسرح وقتذاك يزيد على العشرة جنيهات ، ولكن من أين لي حتى بهذا المبلغ البسيط ؟

وأحسست حينئذ بحزن شديد على الفشل الاقتصادي الذي تضاءل إلى جانبه نجاحي الفني في أولى حفلاتي العامة، وزاد غضبي كلما تخيلت فيتاسيون وهو يحصى المبلغ الكبير الذي جمعه من إيراد الحفلة .. وتضاعفت أحزاني أكثر وأكثر عندما رأيت نفسي أخرج من المولد – شخصياً – بلا حمص !

ولكن الحقائق كانت تحيط بي من كل جانب، وأوضح هذه الحقائق أنني كنت المسئول عن دفع الحقوق لأصحابها .

ماذا أفعل ؟

ولم أجد بداً من أن أقص الحكاية على المرحوم « شوقي بك » دائماً اسلامو عليكم ، وشفعتها بطلب سلفة استعين بها على حل عقدة الموقف .

ودفع لي شوقي بك المبلغ المطلوب للموسيقيين والمسرح والعمال بصفة قرض ولسان حاله يقول :

« تعيش وتأخذ غيرها » .

وبهذا القرض الحسن أنقذت الموقف ، ومعه سمعتى .

المؤمن يلدغ كثيرا

ومع أن هذا الحادث كان كفيلا بأن ينبه فى نفسى غريزة الحذر فى المستقبل، ومع أنه يقال إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فقد أعاد التاريخ نفسه فلدغت من نفس الحجر مرات ومرات، ووقعت فى المحظور رغم حذرى، وكما يقولون : « من مأمنه يؤتى الحذر » !

كان نجاح حفلتى الأولى قد عزز شهرتى فى مضمار الاحتراف، وجعل متعهدى الحفلات ينظرون إلى نظرتهم إلى دجاجة تبيض ذهبا .

وجاءنى يوما متعهد آخر يدعى حسن شريف ليتفق معى على إحياء عدد من الحفلات الغنائية ، والحق أننى كنت شديد الميل إلى إقامة الكثير من هذه الحفلات كمطرب فى أول الطريق مازال يبحث عن الشهرة والمال ، ولكن لأنه لم يكن لدى من النقود أو الخبرة أو حتى الشجاعة مايؤهلنى لتحمل مسئولية احياء مثل هذه الحفلات، فقد كان لزاما على أن أقبل عرض حسن شريف .

ونظراً إلى ماسبق حدوثه من الشاطر فيتاسيون ، فقد رأيت من واجبات الحذر أن أتلافى تكرار المأساة مع الشاطر حسن !

وتمخض الحذر عن قبولي مبلغا بسيطا من حسن شريف بصفة عربون .

وكان هذا الإجراء التحفظي من جانبي أشبه الأشياء بتصرف النعامة عند الاختفاء !

فقد تولى المتعهد المذكور أعلاه قبض إيراد الشباك الذى أربى على مئات الجنيهات فى أمن وطمأنينة أسبغهما على العربون الذى أخذته منه مقدما .

وعندما انتهت آخر الحفلات، وأصبح الباقى بعد ذلك إجراء الحساب الختامى وتوزيع الأجور على مستحقيها، كان حسن شريف قد سار على خطة سلفه فيتاسيون ، مؤثرا الهرب بغنائم شباك التذاكر !

ووقفت للمرة الثانية بين البحر والأعداء !

وللمرة الثانية أيضا ساهم المرحوم « شوقى بك » فى إبراء ذمتى من أجور الموسيقيين وغيرهم .

وتكررت مغامراتى مع المتعهدين ، وتكررت معها المقالب التى كنت « أطب » فيها بمنتهى البساطة حتى لم أعد بعد ذلك آمن

الاتفاق على إحياء حفلة إلا بعد تسلم أجرى وأجور الموسيقيين قبل رفع الستار !

ولكن مع هذا - برضه - لم أسلم من الوقوع فى « المطبات » وإليكم شىء على سبيل المثال .

حدث مرة أن دعيت لإحياء حفلة فى دمنهور ، وبعد أن غنيت وانتهت الحفلة على خير فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، جمعت أفراد التخت و « البطانة » ورحنا نبحث عن فندق نمضى فيه ليلتنا ، ولكن لم يكن فى دمنهور كلها فندق لائق ، بل لم يكن هناك حتى أمكنة لنا فى فنادقها المتواضعة فاقترح أحدنا أن نسهر بقية الليل فى بوفيه المحط، حتى يحين موعد قيام القطار الذى سنستقله إلى القاهرة .

وليتنا ما دخلنا هذا البوفيه .. أو ليتنى احتفظت فى جيبى بالأجر الذى تناولناه .

لقد كنت أخشى على النقود من أن تضيع منى، فأعطيتها لواحد من أفراد التخت ليحفظها معه حتى نستقل القطار، وجلسنا فى البوفيه نتسامر ونأكل السميط والجبن توفيراً للمال، ولم نشعر بخزينتنا المتنقلة وهو ينفلت من بيننا ليجالس بعض أصدقائه الذين التقى بهم مصادفة فى البوفيه، حتى إذا ما انبلج الصبح وسمعنا صفيرا ، تهيأنا للعودة إلى القاهرة .

ولكن أين صاحبنا .. أين « الخزينة » ؟

وفجأة رأيناه واقفاً أمامنا منفوش الشعر وعلى وجهه آيات اليأس .

وقبل أن نسأله أين كان أو نطلب إليه شراء تذاكر القطار، فاجأنا بالخبر الأليم !

لقد أغراه أصدقاء السوء الذين قابلهم فى البوفيه على قتل الوقت فى لعب البوكر، فقامر بنقودنا جميعاً وخسرها على داير المليم!

وأحسسنا عندئذ بأنه قتلنا بدلا من أن يقتل الوقت ، وكنا على وشك أن نقتله بدورنا ، لولا أن استدركنا صفير القطار، فأحصينا مامعنا من فكة ، وكانت ولله الحمد تكفى بالضبط لثمن تذاكر عودتنا إلى القاهرة فى الدرجة الثالثة .

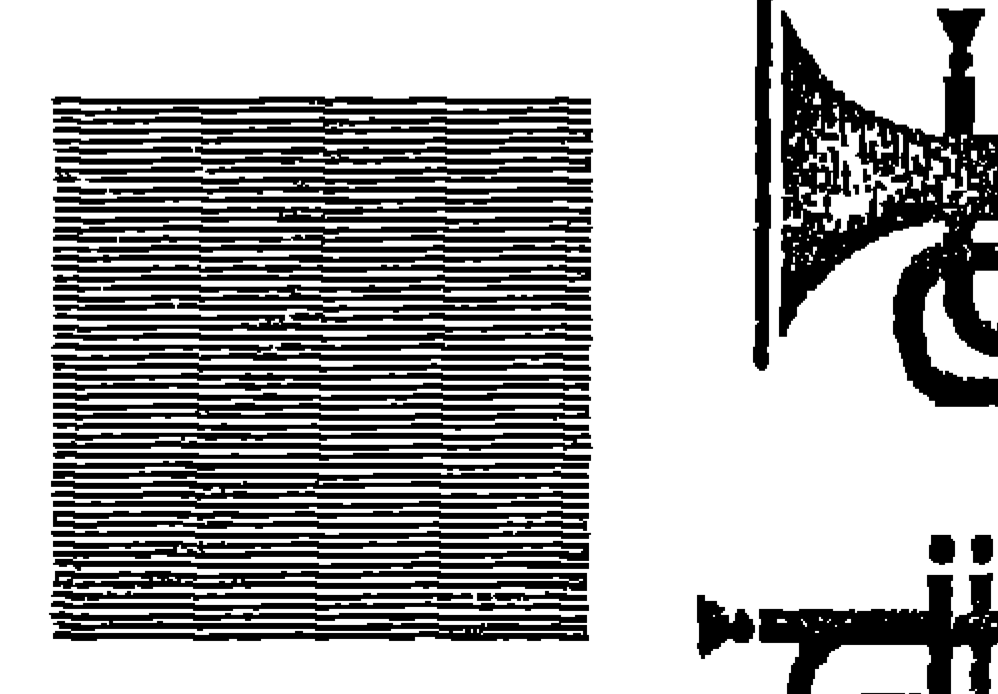
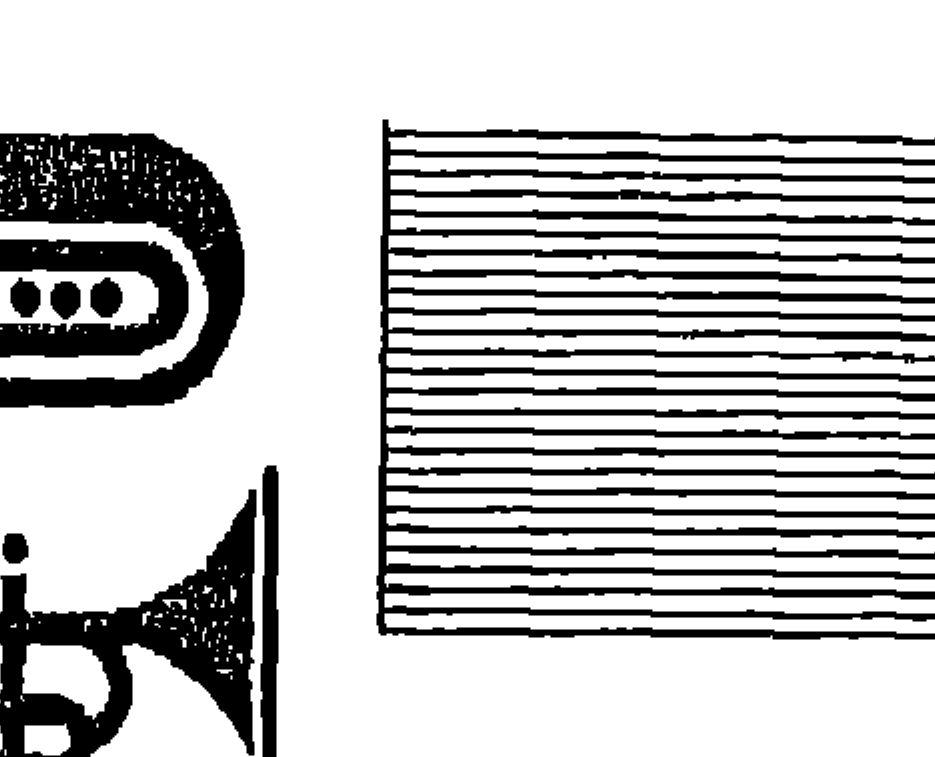
ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشير إلى أن حاجتى المزدوجة إلى إحياء الحفلات الغنائية ، وأقصد بذلك طلبى للرزق إلى جانب أننى أسعى لابتكار ألوان جديدة من الموسيقى، كانت تهون هذه الصعاب وتذللها .

وكان استقبال الجمهور الحماسي لما كنت أقدمه من جديد فى الأغانى التى كنت أشدو بها ، هو العزاء لى عن المتاعب التى كنت ألقاها من المتعهدين .

ولا استطيع أن أنكر فضل المرحوم « شوقي بك » في مساعدتي على الصمود في هذا الميدان القاسي ، فلولا مبادرته إلى إنقاذي من « الورطات » التي كنت أقع فيها آنئذ ، لآثرت الامتناع عن الغناء في الحفلات العامة منذ أول تجربة مع المتعهد فيتاسيون ، ولفضلت السلامة والتراجع منذ ثاني مشكلة مع زميله حسن شريف ، والله يعلم كيف كان المصير الذي ينتظر حماسي لخلق مودة جديدة في الموسيقى الشرقية والغناء الشرقي وأنا أخرج من باب فرقة منيرة المهدية .

ويمكن القول ، تأسيساً على هذه الحقيقة ، إن مرحلة اشتغالي بالحفلات العامة كانت هي الأخرى نقطة تحول هامة في حياتي ، وهي التي ساعدتني على نشر مبادئي في التجديد الغنائي، وشجعتني - بعد الاقبال الذي لاقيته من الجمهور - على المضي في خطتي ، وفضلا عن كل ذلك منحتني ثقة كاملة في نفسي كمطرب له جمهوره .

لست وفديا !



« خشبة باشا » يقول ردا على ملاحظة بعض الحاضرين من أن الفرح قد صادف يوم إستقالته لاشك أن الراحة من عناء العمل فرح بالنسبة لى بعد أن استنفدت الوزارة أسباب هنائى عامين كاملين .

كان تقدمى المستمر ، وصداقتى الوطيدة لأحمد بك شوقى هما السبب فى اتصالى بذوى الحيثية من الشخصيات المعروفة فى نواحى السياسة والأدب والاجتماع ، ثم كان هذا بالتالى بمثابة تذكرة تسمح لى بدخول المجتمع الراقى من الباب الكبير .. الباب العمومى !

وأصبحت وأنا فى ريعان الشباب ، من زبائن « صولت » المحترمين !

ولكى تعرف قيمة هذه الميزة ، يجب أن أذكر لك أن محل « صولت » فى تلك الأيام - حوالى سنة ١٩٢٧ - كان ملتقى الأسماء اللامعة فى سماء مصر من ساسة وأدباء وعلماء ، وهو من هذه الناحية شبيه بنادى محمد على ، وقد كانت ندوات السياسة والأدب والعلم تعقد فيه يوميا ، وكان من رواده الذين صادقتهم وصادقونى ، محجوب ثابت ، والشيخ البشرى ، والنقراشى ، وحسين هيكل ، وفكرى أباظة ، وعبد الحميد البنان ، وسعيد لطفى ، وأحمد عبد الغفار ، وعبد الحميد عبد الحق ، وغيرهم .

ولم يكن محل « صولت » محلا عاما بمعنى الكلمة ، بل كان أشبه بناد خاص يقتصر إرتياده على نفر من الوجهاء وحدهم ، وكان الناس يقفون قرب باب الدخول ليشاهدوا بأعينهم كبار

الشخصيات التي يقرأون عنها في الصحف والكتب وهم يدخلون أو يخرجون ، ومن نافلة القول أن أقول : إن وجودي بين هذه الزمرة المرموقة من علية القوم كان يثير في نفسي عوامل الزهو والفخر .

وإذا كان كتاب باب الشعرية هو مدرستي الأولى ، فإن « صولت » كان مدرستي الثانية ، أو قل الجامعة التي درست فيها علوم الحياة وأصولها !

ان الدروس التي حصلتها من ندوات الأدب والشعر والعلم في « صولت » ومن أناس لهم في هذه النواحي صولات وجولات ، هي التي جعلت مني عيناً واسعة ترى الحياة وعقلاً ناضجاً يفهمها .

وقد أهلني صغر سني بالنسبة لزبائن « صولت » لاستيعاب الكثير في وقت قصير ، فقد كنت كثير الصمت ، أستمع دون أن أتدخل في النقاش ، وكان ذلك مما ساعدني على إبتلاع ما أسمعه، وهضم ما يستسيغه عقلي وإحساسي منه .

ولعل هذه التجربة المفيدة ، هي التي جعلتني أؤمن حقيقة بأن السكوت - أو الاستماع بعبارة أصح - من ذهب !

وهكذا أصبحت في مطلع شبابي أقف على باب الشهرة كمطرب وملحن ، وأجلس على مقعد في قلب المجتمع !

ولست أدعي أنني كنت أتعمد الصمت في ندوات « صولت » تشبهاً بالحكماء أو طلباً لشعة في العلم ، ولكن ذلك جاء نتيجة

طبيعية بالنسبة لصغر سنى كما قلت ، وبالنسبة أيضاً لصغر شأنى عمن كنت أجالسهم من العظماء ، وطبيعة الخجل التى جبلت عليها منذ طفولتى .

وأذكر ذات مرة أننا كنا نجلس أنا والمغفور لهم « شوقى بك » و « محجوب ثابت » و « عبد الحميد البنان » ، ولاحظ المرحوم عبد الحميد البنان إننى ظللت صامتاً حوالى نصف ساعة فقال لى :

- مابتتكلمش ليه يا محمد ؟

فقلت له :

- لأنى عايز أسمع .

وعندئذ صاح المرحوم الدكتور محجوب ثابت وهو يضحك :

- معك حق يا ابنى .. إحنا نسمعك تغنى وانت تسمعنا نتحدث .. ودقة بدقة !

صديقى الروح بالروح

ولست أتذكر على وجه الدقة كيف كانت بداية صلتى بصديقى عبد الحميد عبد الحق ، وقد حاولت مرة أن أسأله عن كيفية تعارفنا ، فقال لى بلهجته الصعيدية المحبوبة :

- والله ما أنا فاكر يا محمد .. متهيأ لى اننا « اتخلجنا » بنعرف بعض !

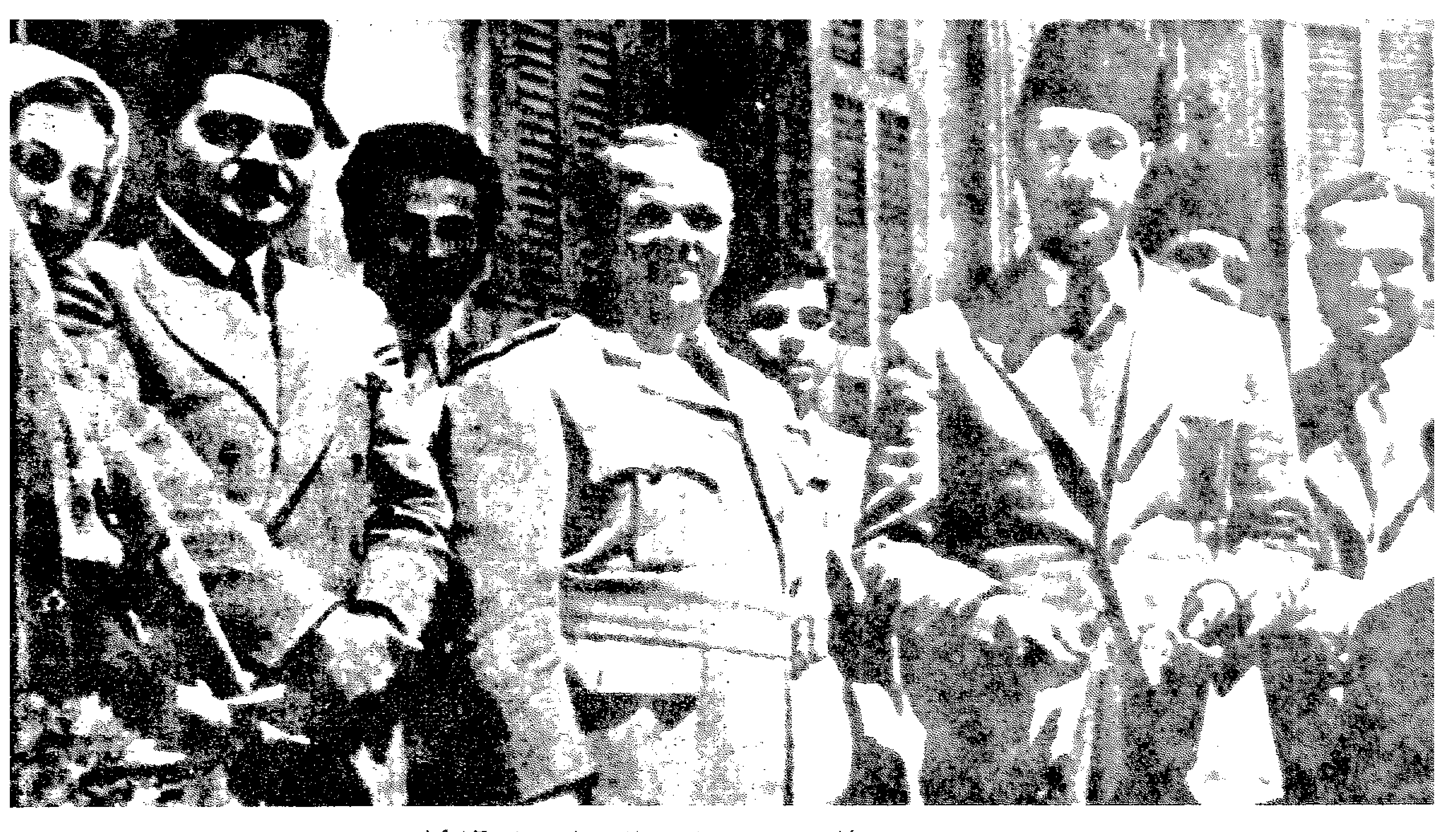
والواقع أنني شخصياً أحس بهذا دائماً ، ولذلك سألته ذلك السؤال ، فان صداقتي لعبد الحميد - من فرط التجاوب الذى يحسه كلانا نحو الآخر - قد تضرب فى الزمن الى دهور خلت ، مع أنني على الأرجح تعرفت عليه حوالى عام ١٩٢٦ !

وكان من الممكن أن تكون علاقتي بعبد الحميد عبد الحق كعلاقتي بأى صديق آخر من رجال السياسة . لولا انه فى رأيى سياسى بالتجربة ، وفنان بالسليقة !

أجل .. انني أعتقد عن يقين انه لو لم يتجه صديقي عبد الحميد عبد الحق ناحية السياسة ، لكان له مع الفن شأن كبير ، فهو يتمتع بروح الفنان وتفكيره وتصرفاته .. حتى انه يتعامل مع السياسة بأسلوب الفنان !

ولعبد الحميد صوت لا بأس به حين يغنى ، وأذكر أن المغفور له « سعد زغلول باشا » كان يروق له فى بعض الأحيان أن يسمعه يغنى ، وكان يسميه « بلبل مجلس النواب » !

وربما كانت معرفتي بعبد الحميد عبد الحق قد جاءت عن طريق « شوقى بك » الذى كان على صلة وثيقة بسعد زغلول ، وقد كان شوقى يحب عبد الحميد كثيراً ، ويرتاح الى وجوده معه ، وكان يثق فيه ثقة عمياء ، ويركن الى حسن بصيرته بالأمور ، ويقول عنه : إنه « عقل كبير » !



التقطت هذه الصورة أثناء إحدى زياراته لفلسطين عام ١٩٤٢
ووقف الى يساره عازف الطنبور المعروف محمد عبد الكريم

أنا والسياسة

وقد ذكرت صديقي عبد الحميد عبد الحق لأنه كان احدى الحلقات التى ربطت بينى وبين بعض رجال السياسة فى ذلك العهد الذى بدأت أرتاد فيه صالونات المجتمع ، فعن طريقه تعرفت بمكرم عبيد ، وعن طريق مكرم تعرفت بالرئيس السابق مصطفى النحاس .

وكانت صلات الصداقة ، التى ربطت بينى وبين أقطاب حزب الوفد منذ ذلك العهد ونمو هذه الصلات ، سبباً فى نظرة الكثيرين الى باعتبار أننى وفدى من منازلهم .

والواقع أننى لم أكن وفدياً فى يوم من الأيام ، وكذلك لم أكن منتمياً لأى حزب سياسى ، أو ميال الى الإنتماء لمثل هذه الأحزاب ، وقد كان لى أصدقاء من كل حزب ، وقد ظلت صداقتى للمرحوم النقراشى الى آخر أيام حياته ومازلت أعتبر نفسى صديقا شخصياً للأستاذ حسين هيكل .

وإذا كان لى مبدأ سياسى معين ، فهو مبدأ كل فنان يكرس وقته وجهده فى تأدية رسالته ، ولا يجد من الوقت أو الجهد بعد ذلك ما يجعله يخوض معارك السياسة .. ولقد كنت دائماً ولا أزال كبير الثقة فى إحساسى ، ولم أحس يوماً بأن واجبى يدفعنى لأكون وفدياً أو سعدياً أو أى شىء من هذا القبيل ، بل كنت أحس

بأننى سأكون أكثر وطنية من رجال الأحزاب ، لو حاولت إتقان فنى والسهر عليه !

ومادمت قد تعرضت لذكر أصدقائى من رجال السياسة ، فلابد من أن أسرد طرفاً من ذكرياتى عن اتصالى بهم .

تعرفت بمكرم عبيد عن طريق صديقى عبد الحميد عبد الحق ، وقد كسبت فى مكرم صديقاً يعتز الانسان بصداقته .

قد يرى الانسان شخصاً لأول مرة ، فيحس على الفور وكأن باب قلبه قد انفتح فجأة ليدخله ذلك الشخص ..

وقد حدث هذا عند أول لقاء لى مع مكرم ، ولم أكن فى بداية الأمر أعرف سبباً يدعونى الى حب مكرم ، ولكن عندما لمست فيه طبيعة الفنان المختفية وراء غلاف شفاف من خشونة السياسة ، عرفت فوراً أن ذلك هو السر فى حبى له .

وتعدد لقائى بصديقى مكرم ، فعرفت فيه أيضاً موسيقياً موهوباً يتذوق الموسيقى ويفهمها بطبعه الأصيل ، بل إنه أيضاً يملك صوتاً جميلاً ، وكثيراً ما أسمعنى بعض أغنيات من تلحينه وتأليفه ، وأذكر أنه أسمعنى لحناً جميلاً لأغنية من تأليفه مطلعها : « يا زهرة البنفسج » وقد عزف اللحن على البيانو وغناه بصوته العذب فأطربنى الى حد كبير !

وأعتقد أنه لولا طبيعة مكرم عبيد الموسيقية ، لما نال شهرته المعروفة كخطيب سياسي مبرز ، فهو من هذه الوجهة كالمطرب الشعبى ، الذى يعرف كيف يختار الألحان التى تهز الجماهير ، لأنه كخطيب ، يعرف كيف يختار من الألفاظ والتعبيرات الثورية ما يهز أفئدة الجماهير قبل عقولهم .

وفهم مكرم عبيد للموسيقى كمن درسها ، فهو يستطيع أن « يمسك الواحدة » كأى ضابط ايقاع مدرب .

وأذكر بالفضل لصديقى مكرم أنه هو الذى لفت نظرى الى مرحلة من أهم مراحل التجديد فى الموسيقى والغناء الشرقى ، وأعنى بها فرقة « الكورس » العصرية ، وكان ذلك قبيل إخراج فيلم « لست ملاكاً » .. فأخذت بفكرته ، وأدخلت عنصر «الكورس» لأول مرة فى أغنية « القمح » .

ولقد كان « الكورس » فى الواقع معروفاً فى الأغانى المصرية ، وإن كان معروفاً باسم آخر هو « البطانة » ومقصوراً على لون واحد هو ترديد المذهب .

ولكن الفكرة التى لفت مكرم نظرى إليها ، هى التى ألهمتنى أن أجعل من « الكورس » لوناً من ألوان « الهارمونى » .

وهكذا أصبح « الكورس » – بفضل صديقى مكرم – يعبر عن مرحلة جديدة فى حياة الغناء الشرقى !

من هو مصطفى النحاس ؟

وعن طريق مكرم عبيد تعرفت بالرئيس السابق مصطفى النحاس ، ومنذ أن عرفنى أحبنى وأخذ يسأل عنى كل يوم ويبدى رأيه فيما أنتجه من ألحان كأى ناقد صريح !

ويخطىء من يظن أن النحاس كان رجل سياسة عزوف عن الحياة والناس ، فالنحاس رجل سهل ، يحب الحياة السهلة الرغدة ، ومنذ أن عرفته وأنا أعرف فيه إهتمامه « بالفخفخة » والأبهة فى الملبس والمسكن والطعام ، وكل ما له صلة بالحياة .. وأهم من ذلك أنه يحب الجمال .. الجمال فى كل شىء ، سواء فى بذلة يرتديها ، أم صورة يقتنيها ، أم فى شعر وموسيقى يستمع إليهما .. وبالاجمال يمكن القول إنه رجل طيب ؛ يعيش بقلبه ومشاعره !

أما أغرب ما كنت أراه فى النحاس فهو تقلبه بين شخصيتين متنافرتين تماماً ، إحداهما لرجل ضاحك بشوش « بحبوح » يمزح ويمرح فى براءة الشباب ، والأخرى لرجل عابس مكفهر يغضب بلا سبب ويقسو بغير داع !

ومع ذلك كان إعجابنا بمصطفى النحاس لا حد له ، لأن طيبته كانت تتغلب دائماً على غضبه الوقتى !



محمد عبد الوهاب أثناء تسجيله نشيد « وطنى الاكبر » مع شادية ونجاة وفايزة ووردة الجزائرية

وكنت كثيراً ما أذهب إليه فى بيته مع عبد الحميد عبد الحق ،لكى نمضى معه بعض الوقت ، ونكون حينئذ من السعداء إذا كان مزاجه رائقاً ، فهنالك نستمتع بحديث شهى ، وقد تطول السهرة أحياناً الى ما قبل الفجر ..

وأستطيع أن أقول إن الرئيس السابق مصطفى النحاس كان يحب السهر ، وقلما كان ينام قبل الثانية صباحاً !

وأبرز الصفات التى لمستها فى النحاس ، هى الأمانة والصراحة ، الأمانة التى تبلغ حد السذاجة ، والصراحة التى تبلغ حد الايلام ، وهو فى أمانته « على نياته » على خلاف مكرم عبيد الذى كام من إسرافه فى النزاهة أن رفض نقل أخى من وزارة المواصلات الى وزارة المالية خوفاً من إتهامه بصداقتى !.. وليس معنى هذا أننى أشكك فى نزاهة النحاس ، ولكننى أحاول أن أصف ثقته الزائدة على الحد فيمن يحبهم .

أما صراحته فحدث عنها ولا حرج ..

حدث على أثر إذاعة أغنية « الجندول » لأول مرة أن دق جرس التليفون فى منزلى ، وسمعت النحاس يصيح :

– إسمع يا محمد .. غنوة الجندول دى بايخه خالص .. ولا يصح أن تذاع !

وكانت مفاجأة لى .. بل صدمة قاسية ، وقلت له :

- إزاى يا « باشا » ؟ ..

- كده باقول لك .. دى سخيفة خالص .. خليهم يبطلوا إذاعتها !

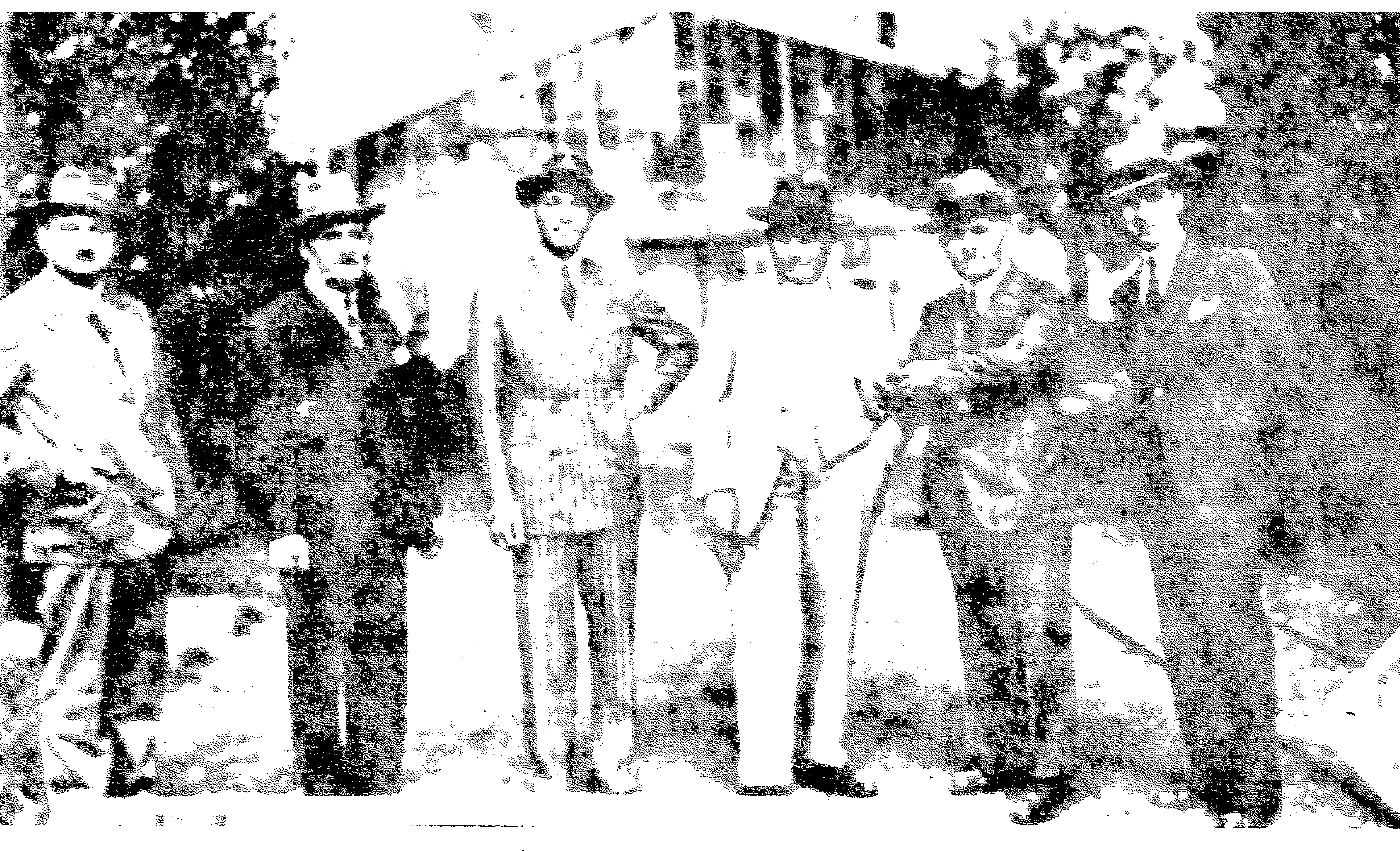
وكان الدكتور طه حسين قد حدثنى من قبل ، وهنأنى على « الجندول » وقال لى إنه يعتبرها أحسن ما أنتجته من ألحان .. ولكن نقد النحاس المر الذى ساقه إلى فى هذه العبارات الصريحة الساذجة طغت على تهنئة الدكتور طه وأحزنتنى جداً ، خصوصا وقد كنت شخصياً أعتبر لحن الجندول من أحسن ألحانى .

ومن الغريب أن مصطفى النحاس قابلنى بعد ذلك بشهر تقريبا ، فإذا به « يأخذنى بالحضن » ويقبلنى مهنئاً إياى على أغنية الجندول بالذات !

ولم أدر وقتئذ إن كان قد نسى نقده لها ، أو أنه قد هضمها بعد الاستماع إليها أكثر من مرة !

ومن طيبة قلب النحاس أروى تلك الواقعة .

حدث عند عرض أول أفلامى « الوردة البيضاء » أن حضر حفلة العرض الأولى ، وبعد إنتهاء العرض ذهبت إليه فى المقصورة التى كان يجلس بها ، لكى أقدم له واجب الشكر على تشريفه الحفلة .. وعندئذ إحتضننى وقبلنى مهنئاً .. ثم قال لى :



محمد عبد الوهاب يتوسط بعض الأصدقاء في باريس أثناء تسجيل أغاني فيلم « الوردة البيضاء »

- ألف مبروك .. هيص بقى يا عم حايخش جيبك الليلة ٥٠ ألف جنيه !

فدهشت طبعاً وتساءلت :

- منين يا « باشا » ؟

فقال :

- من إيراد الحفلة طبعاً .. السينما مليانة والزحام شديد زى ما انت شايف !

وضحكت ثم قلت له :

- ياريت يا باشا .. دى الحكاية كلها ماتزيدش على ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه .

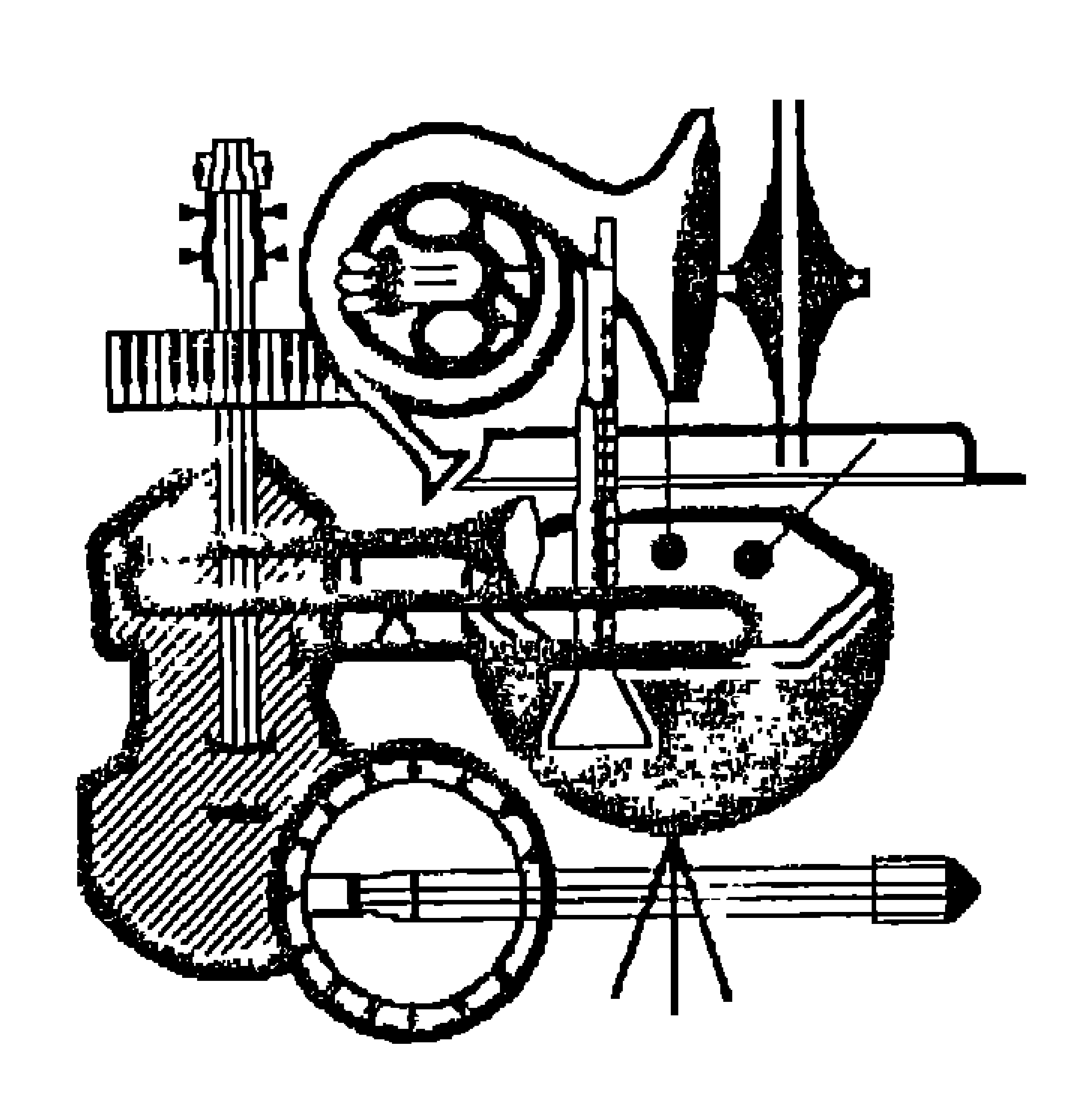
وبدا عليه الذهول وقال :

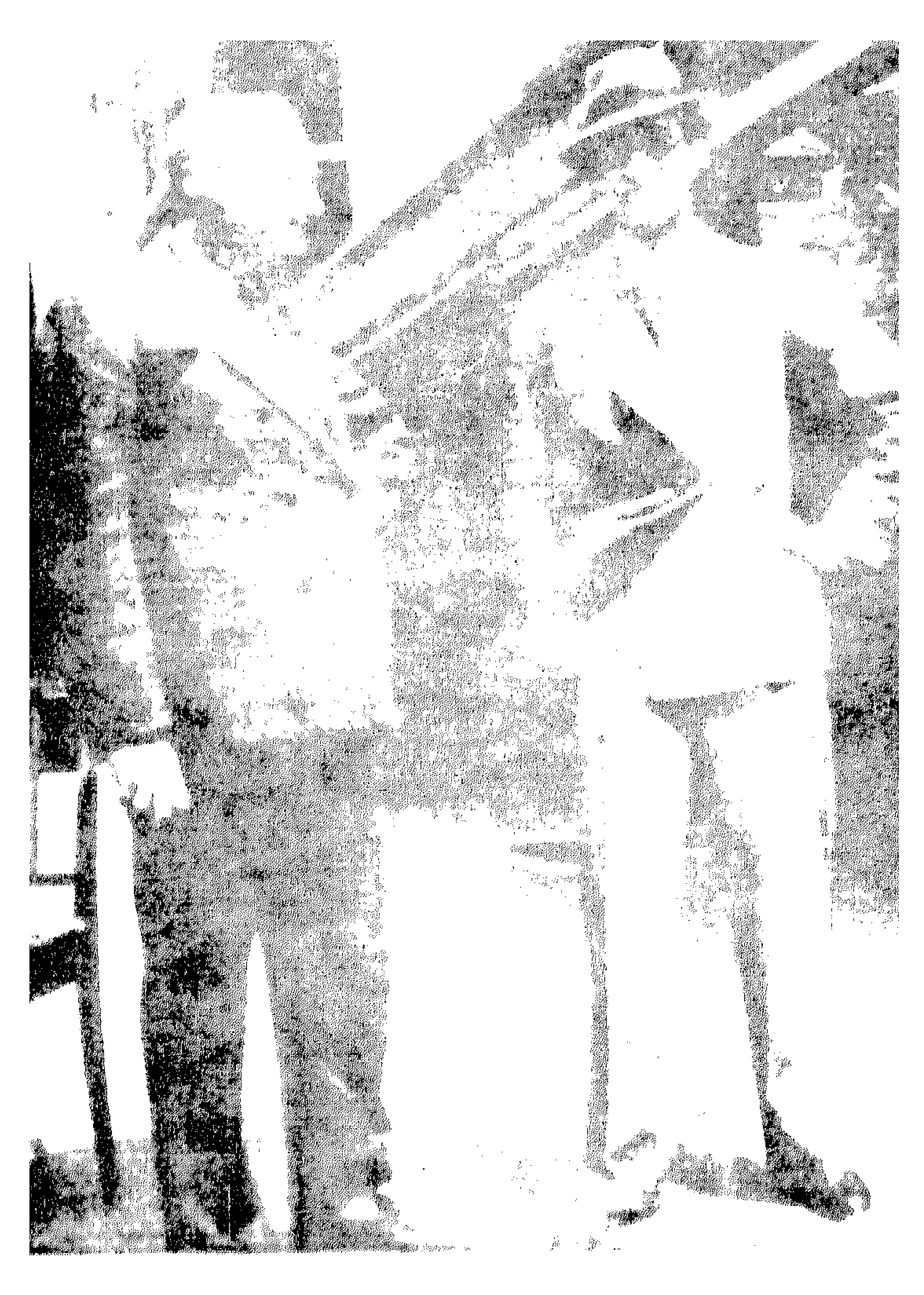
- مش معقول .. إزاى الكلام ده ؟

وبعد أن حسبت له عدد المقاعد التى تحتوى عليها دار السينما ، وضربتها فى أثمان التذاكر التى لم تكن تزيد وقتها على خمسة أو ستة قروش ، وأثبت له أن الإيراد لن يزيد على حوالى الأربعمائة جنيه فى الحفلات الأربع على فرض أنها جميعاً كاملة .. بعد هذا دهش النحاس دهشة بالغة .

ولعل تلك الرواية توضح مقدار ما يمتاز به النحاس من طيبة وبساطة فى الحكم على الأشياء !

فى « بلاد بره »
لأول مرة !





عبد الوهاب على باب الفندق الذى كان يقيم به فى باريس

كانت أول رحلة سافرت فيها مع شوقى إلى فرنسا عن طريق البحر عام ١٩٢٧ . وكانت تلك أول مرة أسافر فيها إلى تلك البلاد التى يسمونها « بلاد بره » ، والتى كانت زيارتها تراود خاطرى فيما يشبه الأحلام . ولذلك كنت أشعر بسعادة لاتوصف وأنا على ظهر الباخرة أتطلع إلى الأفق ، وأتخيل نفسى فى قلب مدينة النور.

وعلى ظهر الباخرة التقيت للمرة الأولى بملك العراق السابق فيصل الأول .

وكنت وقتئذ شغوفا إلى رؤيته من كثرة ما سمعت عن بطولته ، فلما قدمنى شوقى اليه ، ازداد حبى له ، إذ لم أجد فى حديثه صلفا ولا عنجهية ، بل وجدت شخصية رقيقة ، وعظيمة يزينها التواضع الجم .

وقد ملأنى ذلك الملك الكريم زهواً عندما حدثنى عن بعض ماسمعه من أغنياتى المسجلة ، مبديا اعجابه بصوتى والحانى .

وفى نفس المساء ، كنت أجلس مع شوقى والملك فيصل إلى مائدة عشاء واحدة ، ثم صعدنا إلى ظهر السفينة ، حيث غنيت لهما إحدى قصائد أحمد شوقى ، مرتجلا لها لحناً ، وبدون أى آلة موسيقية !

وكان تعرفى بالملك فيصل الأول ، فى تلك الليلة ، بداية صداقة أتاحها لى ، إذ دعانى بعد ذلك لكى أغنى أمامه فى حفلة عيد

جلوسه ، ووضع شوقى لهذه المناسبة قصيدة « ياشراعا وراء دجلة يجرى .. » التى نالت إعجاب هذا الملك العراقى الراحل .

وقبـــل تلك الحفلة كان متعهـدو الحفـلات يطلقــون علىّ لقب « الموسيـقـار المجدد » وغيره من الألقاب ، فلما غنيت أمام الملك فيصل، ثم أمام الملك أمان الله خان ملك أفغانستـان السابق ، ثم أمام الملك السابق فؤاد الأول ، أطلق المتعهدون علىّ فى اعلاناتهم لقباً جديداً أوحت به إليهم عقلية ذلك العهد ، وهو لقب « مطرب الملوك والأمراء » !

ومن الطرائف التى أتذكرها عن رحلتى الأولى مع « شـوقى » بالباخرة فى طريقنا إلى فرنسا ، أتذكر حادثا لا يزال عالقا بذهنى حتى اليوم .

حدث ذات صباح ، قبل وصولنا إلى مرسيليا بيومين ، أن دخلت « قمرة » شوقى بالباخرة ، فوجدت مظاهر الإعياء على وجهه فسألته عن سر ذلك !

وقال لى إنه كان فى فراشه عندما شعر عند منتصف الليل بحركة غير عادية فى الباخرة ، فنهض يستجلى الأمر ، فعلم أن عطباً حدث بالباخرة ، وأنها ثقبت من سطحها ، وأن البحارة قد هرعوا إلى مكان العطب لاصلاحه دون تنبيه الركاب ، حتى لا تحدث حالة ذعر تعرقل عملية الاصلاح !

وقـال شـوقى إنـه وجد نفسـه مشـرفـاً على الموت غـرقـاً ، فظل طوال الليل فى إنتظار المصير المحتوم !

ولست فى حـاجـة إلى أن أتحـدث عن أثر هـذه القـصـة فى أعصابى . وحسبى أن أقول إنها أفسدت علىّ بقية الرحلة ، ولم أصدق بالنجاة حتى أشرفنا على مرسيليا !

فى مدينة النور

قضـينا يومـاً فى مـرسـيليـا ، ثم واصلنا الرحلة إلى باريس . ودخلت باريس ليـلا ، فـتذكـرت كلمـة الشـيخ البـكرى شيخ السـادة البكرية عنـدما دخلها ليلا فقال : « وجدت ليلهـا كسـواد العين كله نور ..! » .

وكـان شـوقى إذا سـافـر إلى باريس يكره الإقـامـة في الفنادق الكـبرى . فبينمـا ينزل المصريون من متوسطـى الثراء فى فنـادق « كـلاريدج » و« الكونتننتال » وغـيـرهمـا حـيث يدفـع الواحـد أجـراً لنومه جنيهين في ذلك الوقت ، كان شوقى يقصد لوكاندة « سلكت » فى ميدان السوربون ، حيث يدفع ثلاثين قرشاً أجراً للمبيت !

ولم يكن ذلك بخلاً منه ، ولكنه كان يفضل هذا المكان فى الحى اللاتينى ، حيث كان يقيم عندما كان طالباً فى باريس ، لكى يعيش بين ذكرياته وشبابه !



صورة تذكارية لمحمد عبد الوهاب عام ١٩٣٧
امام الفندق الذى كان ينزل به فى سويسرا

ومن الغريب أنني لم أكد أستـ.. فى باريس ، حتى أخذت أبحث
ن السبيل إلى أكلة ملوخية أو فو.. ..س ، ولست أدرى لماذا ؟ هل
اشتقت الى طعامنا الشرقى بعـ.. ..ساء خمسة ايام على الباخرة ؟
أم أن وجـودى فى وسط جـو أ.. ..نجى جـعلنى أتحـصن ضـده
بالتعصب لطعام بلادى ؟

المهم أننى عـثرت على محل لرجل أرمنى اسمـه « حـاجـجيان »
بجوار دار الأوبرا يقدم الطعام الشرقى ، فأقنعت شوقى بالذهاب
إليه حيث أكلنا باذنجاناً مطبوخاً على أصناف مختلفة وكانت أكلة
مشئومة ، لأن شوقى أتعبه الطعام الثقيل ، فقضى أياماً يشكو
المرض !

وأحب هنا أن أتوقف قليـلا عند أثر زيارة باريس على نفـسى
وهل أعطتنى زادا جديدا فى حياتى ؟ .

كـــانت هـــذه هى أول مـــرة أزور فـيـهـــا بلاداً أوربيـة ،
فحـــاولت أن أتعلم وأســـتفيد من كل شىء أراه فى بلـــد الحرية
والجمـــال .

ولاشك أن التنقل والسفر والترحال إلى البلاد المختلفة . أكبر
مـدرسـة فى الحـيـاة . وقـد أخـذنى شـوقى إلى الأوبرا والاديون
والمتاحف ، كما أخذنى لسماع « الكونسير » فبهرنى مدى التقدم
الذى وصل إليه الفرنسيون فى عالم الفن .

إن هؤلاء الناس لا يعتبرون الفن شيئا كماليا ولكنهم يعتبرونه جزءا هاما فى حياتهم مثل قوتهم اليومى .

ولعل أخص ما لاحظته عليهم هو الإحساس بالجمال ، وعمق هذا الاحساس الذى يتغلغل فى كل كيانهم .

ولقد رأيت مظاهر هذا الجمال في كل شيء ، فى واجهات المحلات ، وفى ملابس النساء ، وفى الشوارع فكل شارع يفضى بك إلى أثر هام أو تمثال جميل ، أو ميدان كبير ، أو غير ذلك من المعالم الهامة ، مما يجعل تخطيط الشوارع فنا له هدف وفلسفة !

الحرية والجمال ، هما التوأمان اللذان التصقا بذهبى وقلبى منذ زيارتى الأولى لباريس . فأهم خصائص تلك المدينة أنها ترضى كل ذوق ، وتروى ظمأ طالب العلم والفن ، كما تروى ظمأ طالب المتعة واللهو والسرور !

ولقد صدق شوقى عندما قال فى باريس :

زعموك دار خلاعة

إن كنت للشهوات ريا فالعلا

شهواتهن مرويات فيك

وقد قابلت فى باريس فى تلك الرحلة كثيرا من المصريين أذكر منهم لدكتور صلاح الدين والأستاذ توفيق الحكيم وكانا يدرسان

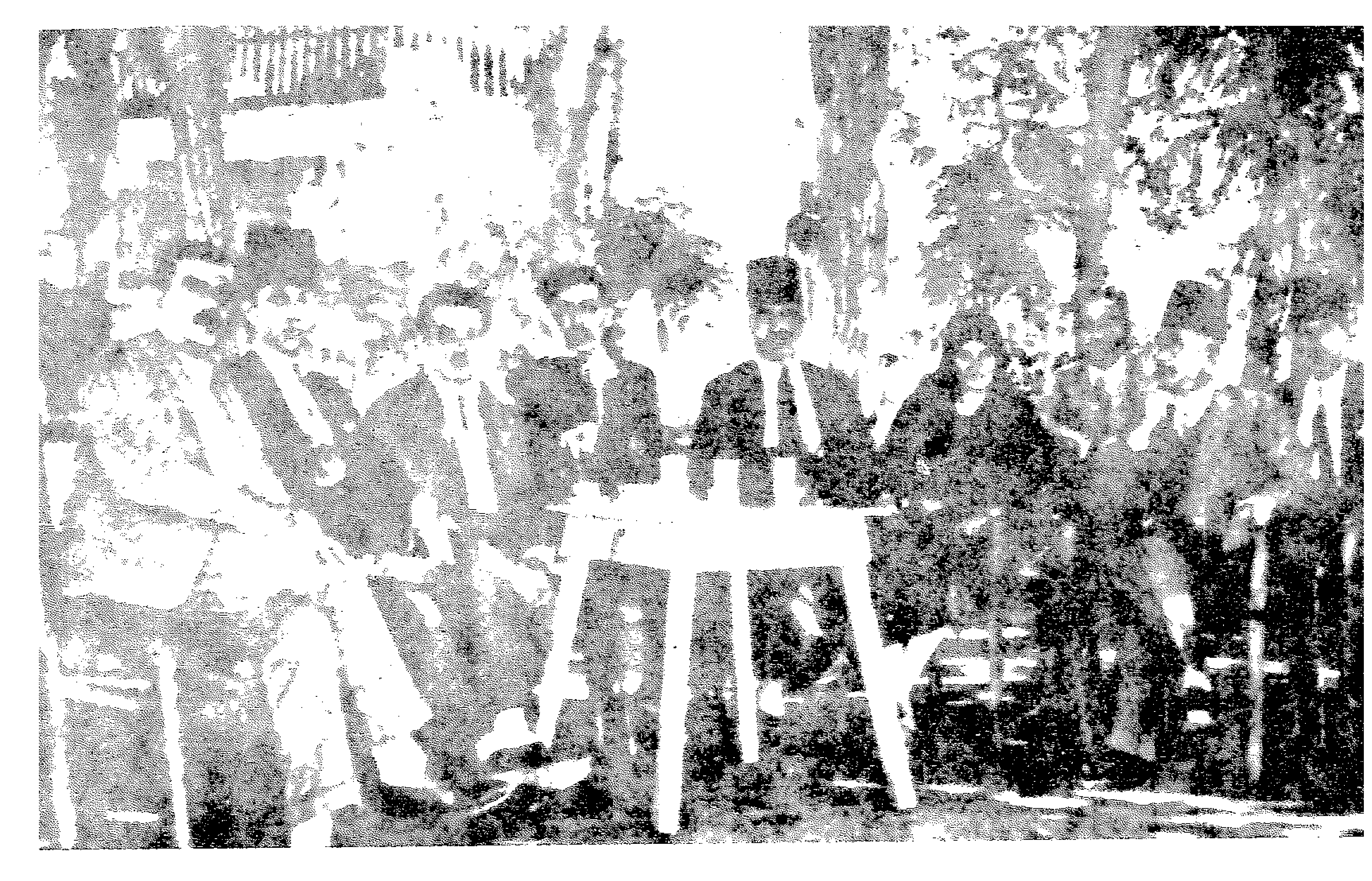
للدكتوراه في ذلك الوقت. والأخ وهيب المصرى والأستاذ الكبير فكرى أباظة ، والمرحوم الأستاذ أمين يوسف الذى دعانا لأكلة مصرية فى جامع باريس . وقد وجدت بالجامع مطعما أنيقا ملحقا به ، يؤجره رجل كريم هو « السيد حمودة » يقدم الطعام الشرقى ، ويغنى فى المطعم فنانون من شمال أفريقيا ، فينشدون بعض القطع الجميلة .

وقد اجتمعنا - نحن المصريين - فى الجامع على مائدة المرحوم أمين يوسف الذى قدم لنا « ألوانا شرقية » ، وهناك تناولت العود وغنيت ، وانضم إلينا بعض السياح من الأمريكان يسمعون ويطربون .

وكان شوقى فى ذلك الوقت مشغولا بدراسة تاريخ كليوباترة لكى يضع عنها روايته الشعرية الخالدة . وكان يقول لى أريد أن أنصف هذه المرأة .

وكان من عادته إذا أراد كتابة رواية عن إحدى الشخصيات التاريخية أن يقرأ كل ما كتب عن تلك الشخصية، ولهذا فقد أنفق وقتا طويلا من تلك الرحلة فى التردد على مكتبة السوربون وغيرها مطلعا على ما كتب عن الملكة المصرية الجميلة .

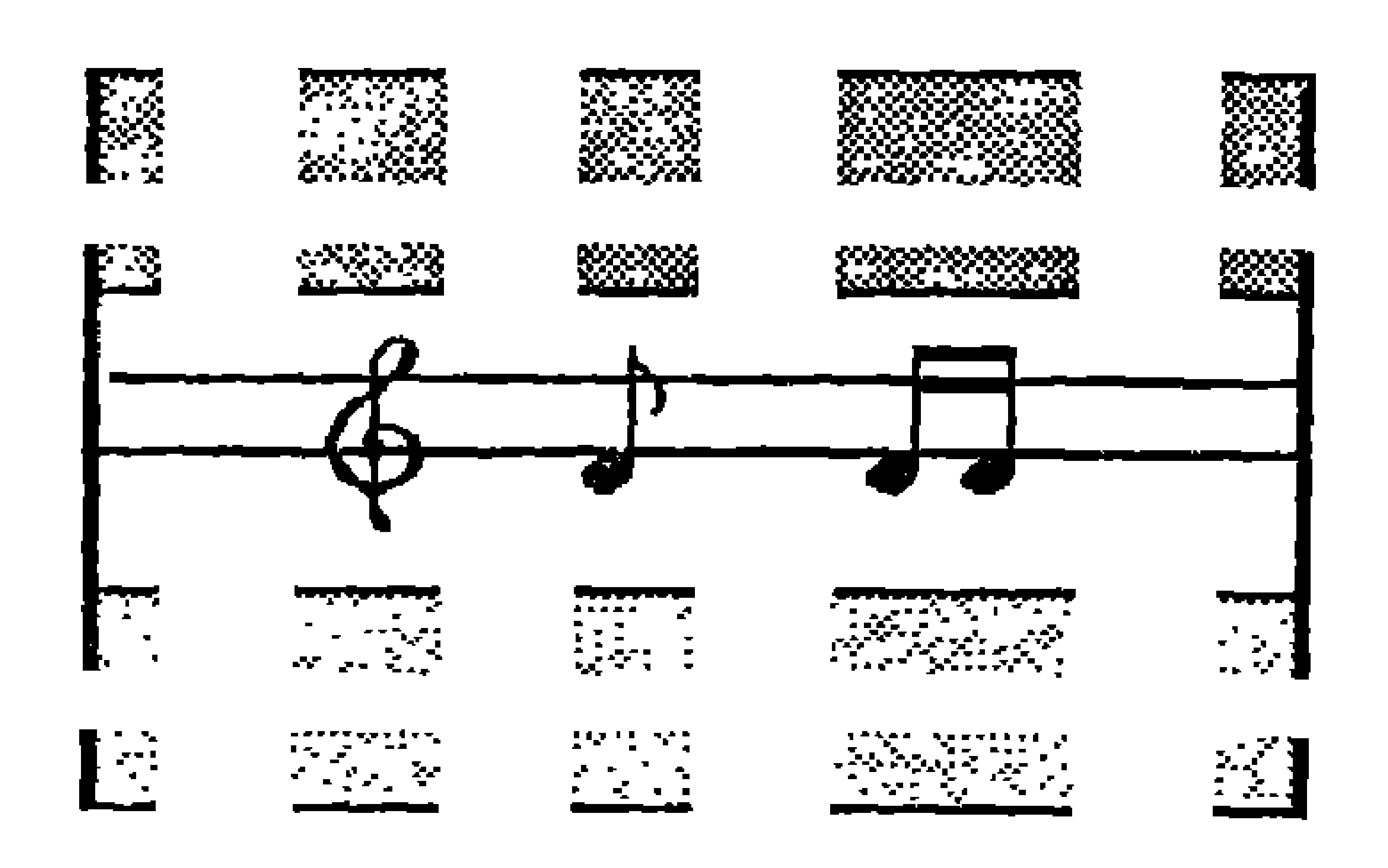
وقد طلبت إليهّ أن يكتب لى شيئا يمكن أن أغنية دون انتظار



كان المرحوم شوقى (بك) يصطحب صديقه الشاب عبد الوهاب فى رحلاته
الى الخـــارج .. والصورة أخذت لهمـــا مع بعض الأصدقاء في لبنـــان ..

لكـــتـابـة الرواية كلـهـا ، فـوضــــع لى قـصـيـدة « أنا أنطـــونيـو وأنطونيـو أنا .. » وقد لحنتها فى باريس وسـمـعـهـا شـوقى فى تلك الرحـــلة .

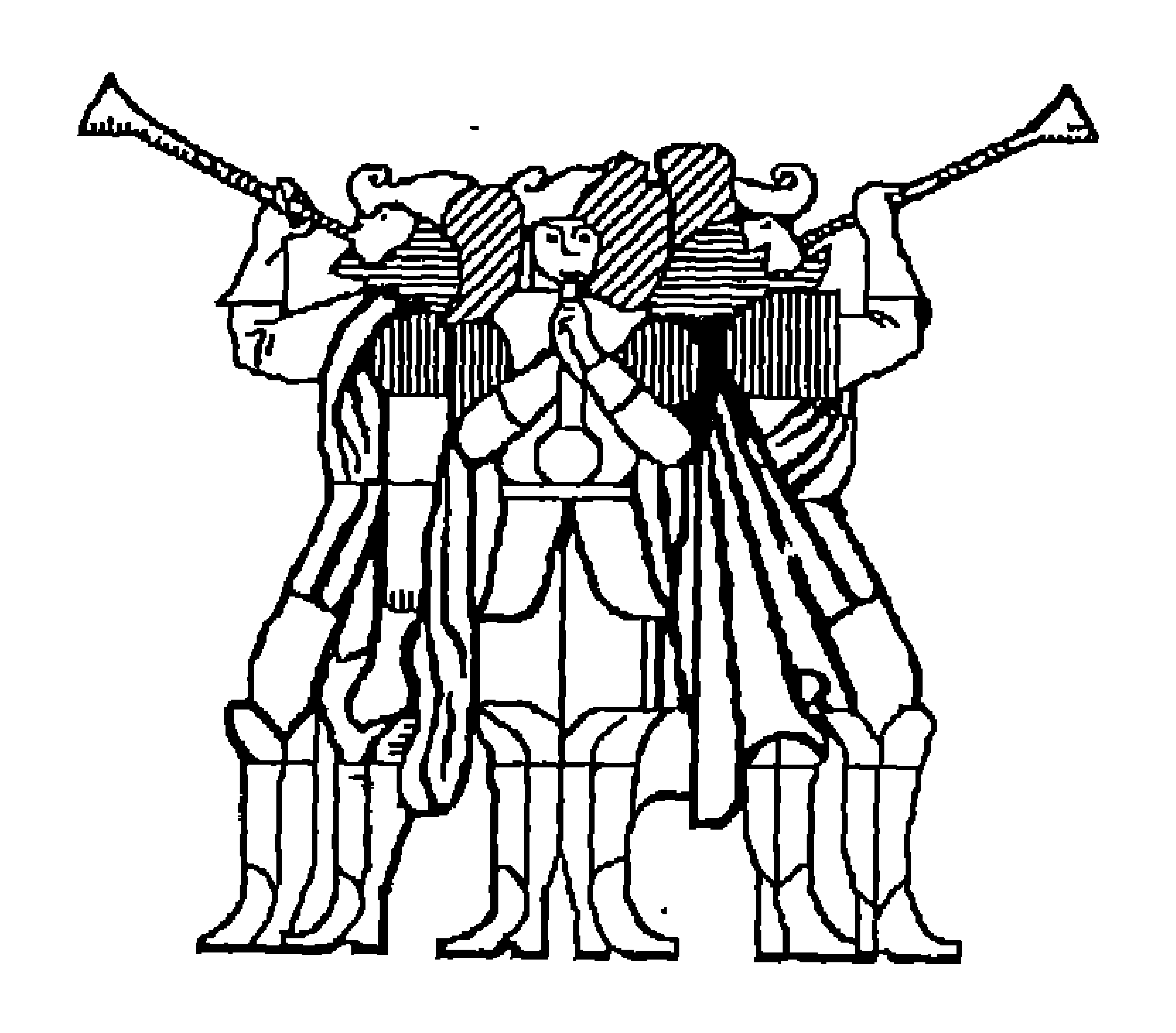
ودامت رحـــلتنا فى باريس نحـو شـهـرين . ولقـد زرت باريس بعد ذلك أكثر من عشر مرات ، ولكن ذكرى تلك الرحلة الأولى مازالت تترك فى نفسى أثرها العميق .





عبد الوهاب مع المخرج محمد كريم فى باريس أثناء تصوير فيلم « دموع الحب » الذى مثلت فيه نجاة على دور البطولة النسائية

التجديد فى الطرب
وميكروب محمد كريم!





عبد الوهاب بعد وصوله إلى البيت ، يضحك على « نكته » من نكات صديقه الشاعر كامل الشناوى . لقد كان كامل ينتظره مع شلة الأصدقاء فى البيت

كنت أهفو دائما إلى الخروج بفن الطرب الشرقى من حدوده الضيقة إلى حيز جديد واسع، فأنا لم أتعلق بفن سيد درويش إلا عندما شعرت بأنه يتطرق إلى نواح جديدة فى أفق الموسيقى الشرقية .

وقد حدث أن زار مصر فى سنة ١٩٢٨، على ما أذكر ، الملك « أمان الله خان » ، ملك أفغانستان السابق الذى أقصى عن العرش ، وكان من بين برامج الاحتفال بزيارته حفلة موسيقية غنائية يقيمها معهد الموسيقى.

وظننت أن هذه فرصة طيبة أقدم فيها شيئا من ألحانى التى راعيت فيها الخروج على مألوف الأنغام لشرقية القديمة ، إذ كانت الحفلة رسمية ، والمفروض أن يحضرها الكبراء والعظماء من رجال الدولة والسلك السياسى الأجنبى ، وأعددت فعلا عدتى لذلك.

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

فقد وقف المعهد أمام رغبتى يدافع عن القديم ، وأصر على أن أغنى شيئا من الأغانى القديمة ، وكانت حجة المشرفين عليه أنهم لا يضمنون استقبالا طيبا من المدعوين – الذين هم من أخطر الشخصيات – لما قد أعرضه من الألحان العصرية ، وعلى أساس أن « اللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش » !

واحترت ماذا أفعل ؟! هل أترك الحفلة واعتذر عن الغناء !

ولكن قد يكون فى ذلك تصرف « جليطة » إزاء ضيوف يجب تكريمهم ... ثم – وهو المهم – كيف أفوت فرصة الغناء فى حفلة كبرى كهذه ، وأمام مثل تلك الشخصيات الهامة .

وأخيرا لم أجد مناصا من الرضوخ لمشيئة المعهد، فأنشدت قصيدة «جددى يا نفس حظك» للمرحوم شوقى بك ضاربا عرض الحائط برغبتى العارمة فى التجديد !

انتصـــار الجـديد

ولكن لما كان الشىء بالشىء يذكر ، فإن تقاليد المعهد لم يكتب لها الدوام بعد ذلك ، واستطاعت أمواج المدنية أن تفتت صخرة التعصب للقديم !

ففى عام ١٩٣٠ أقيم فى القاهرة مؤتمر دولى لترقية الموسيقى الشرقية ، اشتركت فيه كل الدول التى يتميز فيها طابع الموسيقى الشرقى المعروف كتركيا والبلاد العربية .

وأقام معهد الموسيقى ، الذى كان وقتئذ مركز المؤتمر ، حفلة موسيقية غنائية للضيوف ، حضرها الملك السابق فؤاد بوصفه راعيا للمعهـــد .

وفى هـــذه الحفلة قبـل المعهد أن أقدم لونا جديدا من ألوان الغناء الشـرقى ، فـغنيت أنشـودة « فى الليـــل لما خلى » التى وضـعها « شوقى بك » ليرفع بها مستوى أغانى الشعر العامى ويخلق بها لونا جديدا فى دنيا الشعر الغنائى وهو شعر الوصف،

كى تكون فكرة ممثلة فى اللحن والنظم معا .

وإذا كان نجاحى فى تلك الحفلة يذكر فى هذا المقام، فإنه يكون أجدر بالذكر نجاح فكرة « توليف » الآلات الموسيقية الأوروبية مع آلات التخت فى عنصر موسيقى واحد ، حتى إن هذه « البدعة » ما لبثت أن انتشرت فى الوسط الموسيقى المصرى ، وأصبحت هذه الآلات الموسيقية - بخلاف ما استجد منها - عنصرا أساسيا فى التخت الشرقى منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا .

وعقب نجاح تلك الأغنية بدأت مودة التجديد فى فن الغناء والموسيقى تلاقى أنصارها من أهل الحرفة بعد أن وجدت من وعى الجماهير المتعطشة أرضا صالحة ، وكان الفضل فى ذلك يرجع إلى سيد درويش الذى وضع بألحانه - قبل ذلك بأعوام - نواة التجديد والخلق فى الموسيقى الشرقية .

ومضيت فى طريقى على هذا النجاح من محاولة البحث عن الجديد الشائع لأقدمه إلى الجمهور الذى كان يقابل عملى بالتقدير والتشجيع المستمر ، فلحنت أغنية « بلبل حيران » التى تعتبر تحفة تصويرية رائعة فى الشعر الغنائى الدارج ، الذى كان المرحوم شوقى بك يكاد يتفوق فيه على نفسه كناظم للشعر الفصيح .

ولم أجعل الابتكار فى الألحان وقفا على هذا اللون من النظم ، بل أستطعت - بفضل الله - أن أفوز برضاء الجماهير عن مواصلة خطة التجديد فى الألحان بالنسبة للقصائد أيضا ، إذ

لحنت « يا ناعما رقدت جفونه » و« يا جارة الوادى » بأسلوب لم يكن مطروقا فى لحن القصيد .

وأخذت أنتقل من نجاح إلى نجاح، ومن بلد إلى آخر ، أغنى تارة لحساب المتعهد الفلانى، وتارة لحساب المتعهد العلانى ، وفتحت لى دار الأوبرا أبوابها على مصراعيها لأغنى فيها ، وتهافتت علىّ شركات الأسطوانات بعروض سخية ، وباختصار وجدت نفسى فى المكان الذى كنت أتمنى أن أقف فيه عندما كانت تراودنى أحلام الصبا ، فالشهرة فى يمينى والمال فى جيبى ، ولكن شيئا واحدا لم يكن مكتوبا فى صفحة أحلامى ، ذلك هو الشعور بثقل المسئولية كلما أمعن حظى فى الصعود .

ورغم أننى ظهرت على المسرح قبل ذلك بأعوام قلائل مع منيرة المهدية كممثل ومطرب معا ، ومع ما لاقيته من اقبال الجماهير ، فلم أكن أتوقع أن يأتى يوم يكون لى فيه مع التمثيل شأن من أى نوع .

ولكن جاء ذلك اليوم دون تقديرى، وأصبحت ممثلا لا على المسرح فقط ، وإنما على الشاشة البيضاء ..

كيف أصبحت ممثلا ؟

فقد حدث حوالى عام ١٩٣١ أو ١٩٣٢ أن ذهبت إلى الزقازيق لأغنى فى إحدى الحفلات، وكنت قد اعتدت حين أهبط إلى الزقازيق أن أجعل من منزل الصديق فكرى أباظة « لوكاندتى » الخاصة ،

فوقتها كان كرمه الأباظى المشهور لا يسمح لى بأن أزور الزقازيق دون أن أكون ضيفا على بيته العامر ..

وتدعونى الصراحة إلى الاعتراف بأننى كنت أذهب إلى الزقازيق قبل موعد الحفلة بيوم ، حتى أجد من الوقت ما يكفى « لاستيعاب » المائدة الأباظية فضلا عن الاستمتاع بنزهة ريفية يصفو بعدها البال ويروق الحال .

وبينما كنا نمضى يومنا قبل الحفلة فى منزل فكرى، إذا بالصديق حسن مراد المصور السينمائى المعروف يفد علينا بآلته السينماتوغرافية ومعه المخرج محمد كريم .

ولم أكن أعرف محمد كريم ، وإنما كنت قد سمعت باسمه فقط كمخرج سينمائى ، ولذلك قام حسن مراد بمهمة التعارف بيننا، وفهمت منه أنهما جاءا إلى الزقازيق لالتقاط بعض الأفلام الثقافية عن الريف ، موفدين من شركة مصر للتمثيل والسينما ، التى كان قد أنشأها وشيكا المغفور له طلعت حرب .

وبعد أن تم التعارف بينى وبين محمد كريم ، أخذنا نتجاذب أطراف الحديث عن صناعة السينما ، وفجأة وبلا سابق انذار سألنى كريم :

– ليه يا أستاذ ما تعملش فيلم سينمائى ؟

ورأيت نفسى أحملق فى محمد كريم فى ذهول ودهشة لهذا السؤال الغريب ، وربما كانت دهشتى أقل لو أنه سألنى مثلا لماذا لا أجعل نفسى رئيسا للولايات المتحدة ، أو لماذا لا أحترف

المصارعة ، ولكن لماذا لا أنتج وأمثل فيلما سينمائيا فهذا ما لم يكن يخطر لى على بال .

وقلت له :

- أنا .. أعمل فيلم ؟

فعاد محمد كريم يؤكد اقتراحه ويناقشنى فى مزايا ظهورى على الشاشة ، حيث يتاح لعدد كبير من الناس فى شتى الأقطار أن يرونى ويسمعونى فى وقت واحد ، وحيث أستطيع أن أضمن لموسيقاى وأغانى الخلود .. وحيث .. وحيث الخ .

ولكننى رغم كل هذه « الحيثيات » المقنعة ، لم أجد أمامى سوى حقيقة واحدة استطيع أن « اتشعلق » بها ، وهى أن بينى وبين التمثيل ما صنع الحداد ، وأننى لا أستطيع أن أتصور أن أظهر على الشاشة مثل بقية عباد الله الممثلين ، بل إننى حتى لو حاولت فسيكون الفشل رائدى بغير نزاع ، وافترقنا دون أن اقتنع بوجاهة فكرة التشبه بنجوم هوليود !

ولكن هل فارقتنى فكرة السينما عندما فارقنى صديق الصدفة محمد كريم ؟

لقد كان باقتراحه مثل الطبيب الذى يحقن شخصا بميكروب مرض عضال لا يستطيع أن يقاومه بأى دواء !

حاولت مرات عديدة أن اقنع نفسى بأن الغناء والتلحين شىء والتمثيل فى السينما شىء آخر ، خصوصا بالنسبة لشخص مثلى



كان الوجيه مصطفى فودة ، ولا يزال ، من أقرب الأصدقاء الى عبد الوهاب .. وفي الصورة عبد الوهاب ومصطفى فودة والمخرج محمد كريم وحسن عبد الوهاب ...

طبعت نفسه على الوقار ، ولكن كانت جرثومة السينما قد تمكنت من عقلي ، وراحت تجبره على المقارنة بين المسرح والشاشة .. المسرح بحدوده الضيقة وجمهوره المحدود ، والشاشة بمحيطها الواسع ، وجماهيرها التى لا يحصرها العد ..

وكان هناك دافع قوى يطاردنى من أجل تنفيذ تلك الفكرة ، هو أن الأفلام سجل دقيق يحفظ أعمالى الفنية فى الأيام القادمة ، ومادمت قد آليت على نفسى أن أقدم جديدا باستمرار ، وما دمت كذلك أحترم انتاجى الموسيقى ، فلابد من أن أتيح له سجلا يبقيه .

ومن هنا بدأت الفكرة البعيدة تقترب من رأسى ، وما إن جاء عام ١٩٣٣ ، حتى كانت قد تربعت فى « مخى » الفكرة واختمرت فيه ، ولم يبق إلا تنفيذها !

وهكذا اتصلت بالأستاذ محمد كريم وأبلغته قبولى لاقتراحه ، واستعدادى لانتاج وتمثيل فيلم غنائى ، يكون للموسيقى والغناء فيه المقام الأول . فوافق كريم ، ولكنه رأى أن تعطى للقصة أهمية كبيرة ، حتى يكون للفيلم وحدة فنية ، ترضى جمهور السينما ، إلى جانب عشاق الموسيقى والغناء .

واخترنا قصة « الوردة البيضاء » وتم اعداد كل شىء للعمل واستأجرنا قطعة من أرض المعرض اقيمت عليها بعض المناظر للتصوير الخارجى ، وشاركنى فى بطولة الفيلم سميرة خلوصى .

وكانت بعض مناظر القصة تجرى فى إحدى العزب ، فسافرنا إلى عزبة صديقى الأستاذ مصطفى فودة بالسنبلاوين ، حيث قمنا

بتصوير المناظر الخارجية المطلوبة ، وقد أصبحت أستبشر بهذه العزبة ، بعد نجاح فيلم « الوردة البيضاء » فحرصت على أن أذهب إليها بعد ذلك كلما احتجت فى أفلامى إلى تصوير مناظر خارجية فى الريف .

وكانت القصة – كذلك – تحتوى على مشاهد لابد أن تصور فى أوربا ، ولهذا سافرنا لاستكمال الفيلم وتسجيل الصوت فى أحد الاستديوهات الأوروبية .

وكانت هناك فكرة للسفر إلى برلين ، حيث يقيم ميشيل بيضا أحد أصحاب شركة بيضا التى كانت شريكتى فى انتاج الفيلم ، ولكننا تهيبنا صرامة النظام الذى عرف عن الألمان ، وفضلنا أن نقصد باريس ، حيث نجد بعض « البحبحة » التى تلائم مزاجنا المصرى .

وكان أهم ما يشغلنى فى هذا الوقت هو نوع الألحان والأغانى التى تلائم السينما .

لقد كنت أغنى على التخت فى الحفلات والأفراح، وكان لهذا الغناء أسلوب خاص يقوم على التطريب والمط والاعادة ، فهل يوافق هذا النوع من الغناء ما يطلبه مشاهدو السينما ؟

لقد فكرت كثيرا وانتهيت إلى أن الغناء فى السينما يجب أن يكون كمناظر السينما نفسها ، يقوم على التركيز والسرعة واعطاء الجو الملائم مباشرة دون تمهيد أو لف ودوران ، وهكذا لحنت أغانى فيلمى الأول ، كأغنية « يا وردة الحب الصافى » ، وأغنية

« يا لوعتى ياشقاى » و« نادانى قلبى إليك » و« ضحيت غرامى » .

وبالإضافة لكل ذلك أردت أن يتضمن الفيلم لحنا من ألحان التخت ، فصنعت لحن أغنية « ياللى شجاك الأنين » كلون يلائم الجو العام فى القصة ، إذ كان البطل فى الرواية يظهر - بعد أن أحترف لغناء - مع أفراد تخته وهو يعمل بروفة فى منزله .

والعجيب أن هذا اللحن لم ينجح فى السينما ، ولكنه نجح كاسطوانة بعد ذلك . وهذا يدل على أن من أهم أسباب النجاح أن نضع اللون المناسب فى المكان المناسب .

ذكريات الوردة البيضاء

المهم بدأنا العمل فى الاستديو بباريس، وكان عملا شاقا مضنيا مرهقا للأعصاب ، والسبب فى ذلك أن السينما لم تكن قد عرفت بعد استخدام الـ « بلاى باك » Play ` Back كما نفعل الآن ، إذ نسجل الأغانى وحدها أولا بغير تصوير ، ثم تدار بواسطة الـ « بلاى باك » ويجرى تصوير المشاهد الغنائية فيحرك الممثل شفتيه مع النغمات التى يسمعها وكأنه يغنى !

أما فى تلك الأيام ، فكان علينا أن نصور المشاهد الغنائية فى نفس الوقت الذى نسجل فيه الغناء ، أى أننا كنا نسجل الصوت والصورة مباشرة فى وقت واحد . فكنا نخفى الأوركستر خلف

المناظر، وأقف أمام الكاميرا ، فى مواجهة الأضواء المرهقة ، لكى أمثل وأغنى وأتحرك وأتابع أنغام الأوركستر المختفى !

إننى لن أنسى الارهاق الذى كابدته فى تلك الأيام ، والذى كان يحطم أعصابى ويفوق احتمالى فى بعض الأحيان .

ومع ذلك فقد كان لتلك الأيام ذكرياتها الباسمة .

أذكر مثلا أننا كنا ما نكاد نسجل مشهدا غنائيا حتى نعيد كل شيء مرة أخرى ، وما تكاد تدور الكاميرا حتى نسمع مهندس الصوت يصيح من مقصورته خلال الميكرفون مطالبا بالوقوف ، ليخبرنا أنه سمع صوتا غريبا يسبق الغناء ، وهكذا نعد كل شيء وتدور الكاميرا ، فيصيح المهندس مرة أخرى ويقف العمل ، ويحضر المهندس إلى « البلاتوه » حيث يبحث طويلا عن هذا الحيوان الذى يصدر منه الصوت الغريب . ويعود المهندس إلى مقصورته ، ويتكرر نفس الأمر ، حتى ضاق الرجل ذرعا ، فترك مساعده مكانه ، وجاء ليقف معنا عسى أن يكتشف سر هذا الصوت الغريب !

وما إن بدأ العمل تحت سمعه وبصره حتى رأيناه يقفز من مكانه ، ويمسك بى وهو يصيح :« لقد وجدته .. ! » !

وتبين أننى شخصيا هذا الحيوان العجيب الذى يفسد على الرجل عمله ، فقد كان من عادتى عندما أتهيأ للغناء ، أن أتنحنح بصوت مكتوم « هيه .. هيه .. » بطريقة عصبية ، كما لو كنت أحاول تسليك زورى .. !



عبد الوهاب محتضن عوده ليستعيد به بعض الألحان قبل تسجيلها

وضحكنا واستراح المهندس بعد أن ضبط صاحب الصوت الغريب !

وبمناسبة ذكرياتى فى ذلك الوقت ، فقد طلبت من الشاعر اللبنانى الأستاذ بشارة الخورى المعروف بالأخطل الصغير قصيدة لتلحينها ، فأرسل قصيدة « جفنه علم الغزل » ، ولكنها لم تدركنى أثناء عملنا فى باريس ، وإنما وصلتنى بعد أن سافرت من باريس إلى برلين لكى أسجل أغانى الفيلم على اسطوانات ، ووضعت القصيدة فى جيبى ونسيتها ، وشغلت بعملى فى الاسطوانات مع ميشيل بيضا !

وفى آخر يوم لى فى برلين، كنت أعد حقائبى فعثرت على القصيدة ، وجلست أطالعها ، ثم أمسكت بعودى ، وإذا بى أنتهى من تلحين القصيدة فى ساعة واحدة ، ولم أرد أن أترك برلين بغير أن أنتهز هذه الفرصة وأسجل القصيدة فى اسطوانة .

وطلبت من ميشيل بيضا أن يحضر لى شخصا من الموسيقيين ليدق « بالشخاليل » اللازمة للحن ، فأحضر لى أحد الألمان ، ولكنه لم يستطع أن يدق معنا النغمة المطلوبة ، ولم أجد حلا سوى أن أمسك « الشخاليل » بنفسى وأترك العود ، ولكى لا يكون صوتها عاليا أمام الميكروفون الذى أغنى فيه ، فقد لفونى فى بطانية كى تكتم صوت الشخاليل ، وهكذا سجلت هذه الاسطوانة ، وغنيت القصيدة وأنا ملفوف فى بطانية !

وقد أعجبنى اللحن بعد أن سمعته فى الاسطوانة ، وعرضت

الفكرة على كريم .

ولكن كيف نحقق هذه الفكرة ؟

إننا نستطيع أن نضيف إلى السيناريو مشهدا يمشى فيه البطل فى الحديقة ويغنى القصيدة ، ولكن كيف نسجل غناءه وقد عاد أفراد الأوركستر إلى مصر ؟

جمعنا بعض الموسيقيين من إخواننا التونسيين والجزائريين الذين يعملون فى باريس ، وبعد جمعهم تبين لى أنها محاولة فاشلة ، ولن أستطيع الاعتماد عليهم !

وقلت لكريم :

- اسمع .. إن معى اسطوانة قد سجلت عليها القصيدة فلماذا لا نستغلها بدلا من محاولة تسجيل القصيدة من جديد ؟!

- وكيف ذلك ؟

- إننا نستطيع أن ننقل الاسطوانة على شريط الصوت ، ثم يدار هذا الشريط فى « المافيولا » بينما أحرك شفتى مع اللحن وكأننى أغنى فى الوقت الذى يجرى فيه تصوير المشهد ، فتسجل الآلات الصورة والصوت معا !

وقد كان . وسجلنا المشهد الذى أغنى فيه قصيدة « جفنه علم الغزل » فى الفيلم بهذه الطريقة .

وهكذا يمكن القول بأننا أول من استخدم طريقة « البلاى باك» وفكر فى اختراعها ، ولا عجب فالحاجة أم الاختراع !

وانتهى العمل فى فيلم « الوردة البيضاء » وعرضناه فى

سينما « رويال » التى كانت فى ذلك الوقت أفخم دور السينما فى القاهرة .

وكان شعورى وأنا أتسلل أثناء الحفلات لأجلس بين المتفرجين يجتمع فيه مزيج عجيب من الفرح والسعادة والتأثر .

إننى قبل ذلك كنت أسمع صوتى وموسيقاى مسجلة فى الاسطوانات ، ولكن عالم السينما أتاح لى أن أرى عبدالوهاب وأسمعه يغنى كما يراه ويسمعه الناس !

وكان ذلك يشعرنى بلذة خفية شجعتنى على الاستمرار فى هذا الاتجاه !

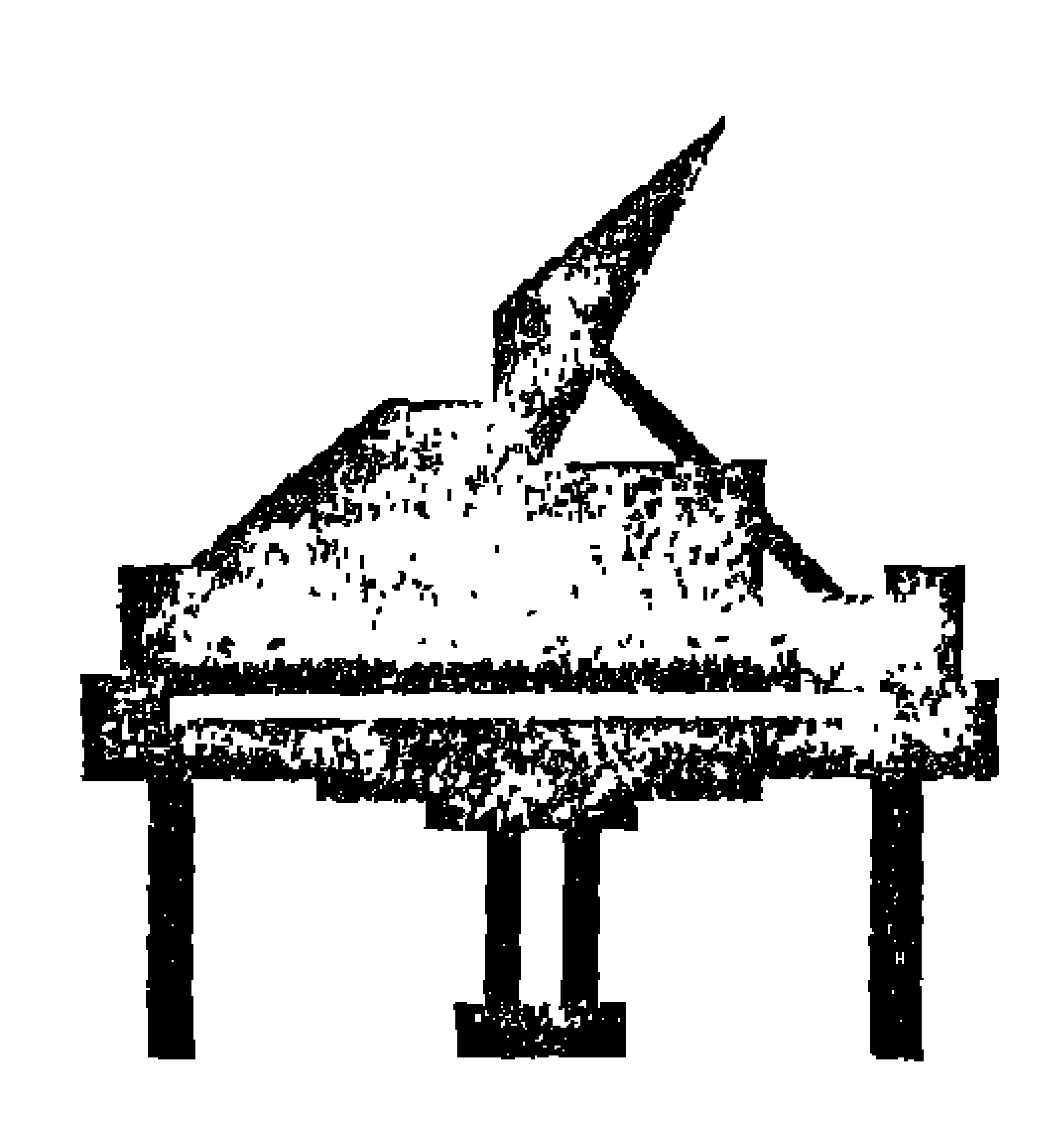
وهكذا كان نجاح « الوردة البيضاء » ، والتشجيع الكريم الذى لقيته من الجمهور ، والحماس الذى قوبل به الفيلم ، بداية لمرحلة جديدة فى حياتى الفنية .



عبد الوهاب بين أفراد تختــه يقدم بعض أغانى
فيلم « ممنوع الحب » على مسرح سينما كوزمو

بين « يوم سعيد »

وعفاريت الأقصر !





جلسة فنية تجمع عبد الوهاب والدكتور مصطفى محمود وجلال الشرقاوى

كان نجاح فيلمى الأول « الوردة البيضاء » مشجعا على متابعة العمل بالسينما . وكنت قد تركت للأستاذ محمد كريم مطلق التصرف في كل ما يتعلق بهذا الفيلم ، فالعمل الذى أقتحمه جديد بمعنى الكلمة ، وأخشى أن أتحمل مسئولية أى فشل قد يصيبه !

إلا أن نجاح الفيلم جعلني أتحرر من هذا الخوف وأبدأ في التدخل في اختيار قصة الفيلم الثانى الذى مثلته بعد عام ونصف عام من الفيلم الأول !

كنت أحب كتب المرحوم مصطفى المنفلوطى ، وكنت أقابله كثيرا فى السيدة زينب ، وقد لقيته مرات وتحدثت إليه فى صباى ، ومرة قابلته وأنا أمشى مع المرحوم الأستاذ حسن الأنور وكيل نادى الموسيقى الشرقى فى ذلك الوقت، والذى كان بمثابة ولى أمرى .

وكانت أحب كتب المنفلوطى إلى نفسى رواية « مجدولين » فاقترحت على كريم أن تكون مجدولين هى موضوع فيلمى الثانى، وقد تبين لنا أن الرواية مترجمة عن الفرنسية ويجب الحصول على إذن من ورثة المؤلف الأصلى ، واستطعنا أن نحصل فعلا على الإذن المطلوب نظير مبلغ بسيط !

وكانت تتسلط علينا فى ذلك الوقت فكرة أن نقدم فى كل فيلم بطلة جديدة، وهذا ما فعلناه فى أفلامي الأولى كلها .

وانني لاتساءل الآن : أيهما أجدى على الفن ، أن نقدم فى أفلامنا وجوها جديدة نغذى بها السينما بدم

جـــديد ، أم أن نســـتـخـدم الوجوه القـــديمة المتمرنة المعروفة للجمـــهور؟

ثم فكرنا في مسألة أخرى . هل تكون البطلة ممثلة فقط كبطلة فيلم « الوردة البيضاء » أم تكون مطربة ؟

وكان هناك رأيان : أحدهما يرى أن البطلة المغنية سيتحول إليها بعض اهتمام المتفرج وتنتقص من التركيز الذى يجب أن ينصب على البطل المطرب ، بينما هناك رأى آخر يقول إن استخدام مطربة يتيح لنا إدخال الديالوج الغنائى فى السينما .

ولست في حاجة إلى القول بأننا أخذنا بالرأى الثانى ، واخترنا « نجاة على » لتكون بطلة فيلم « دموع الحب ».

وأذكر بهذه المناسبة شيئا طريفا عن السيدة نجاة فكل من يعرف محمد كريم يعلن أنه عدو للبدانة ، ولهذا فإنه اشترط أن يكتب فى العقد المحرر مع نجاة شرطا بخصم عشرة جنيهات عن كل كيلو جرام زيادة فى وزنها أثناء تصوير الفيلم ، وكان هذا الشرط الصارم شيئا جديدا بالنسبة إلينا .

وعندما سافرنا إلى باريس - كما كانت عادتنا لتصوير المناظر الداخلية وتسجيل الصوت - وجدنا كريم يفرض على نجاة أن يقتصر طعامها على اللحم المشوى والسلطة والخبز « التوست » لكي تحتفظ بوزنها ، ولا تتعرض للخصم ، إلا أن الشيء المفاجيء هو زيادة وزن « نجاة » رغم هذا الريجيم القاسى !

وحقيقة كان هذا الأمر يثير دهشتنا . إلى أن سمعت فى صباح أحد الأيام ضجة وصياحا بينما كنت أرقد فى فراشى بالفندق ،

وخرجت لأرى الحكاية ، فإذا بكريم يجر نجاة من يدها وهو يصيح معلنا الاكتشاف الخطير !

لقد ضبطها متلبسة بالتهام قطعة من «الجاتوه» وتبين أنها كانت كلما قرصها الجوع تتسلل إلى محل حلوانى يقع أسفل الفندق وتشترى ما لذ وطاب من أصناف « الجاتوه » ، لتلتهمها في غفلة من الجميع !

الحب والخيال والحشرات

والآن ، هل يحق لنا أن نتوقف قليلا لنسأل المتفرج الذي يجلس في مقعده الوثير بقاعة العرض ليشاهد منظر عاشقين يتناجيان فى ضوء القمر الحالم بين الأزهار الجميلة وعلى ضفاف الغدير؟

أقول هل يعلم كيف صنع له هذا المنظر ، وأى شقاء احتمله العاشقان فى إخراجه بهذا الشكل الشاعرى الخلاب ؟!

لقد كان ضمن مشاهد الفيلم منظر لي مع نجاة نتناجى فيه على شاطىء الترعة ثم أركب معها زورقا يسبح بنا على صفحة الغدير الهادىء، تحف بنا أغصان الصفصاف المتهدلة ، ثم ننطلق نغنى الديالوج المعروف «ما أحلى الحبيب بين المية وبين الأغصان»!

وكنا قد ذهبنا إلي عزبة صديقى الأستاذ مصطفى فودة حيث تعودت تصوير المناظر الخارجية لأفلامى .

وكان ذلك في الصيف ، فجلست فى الزورق مع نجاة ، وإذا بجميع أنواع الحشرات والهوام من الجراد إلى الناموس والذباب

وغيرها ، تهجم علينا فى شبه غارة حربية . وأنا بطبعى موسوس وأخاف هذه الحشرات إلى أبعد حد ، فقمت منزعجاً وألقيت بنفسى فى الماء بملابسى !

ولن أنسى ماحييت الشقاء والعذاب الذي تحملته في تصوير هذا المشهد العاطفى الرقيق، الذى كان المتفرج يراه ويحسدنى بغير شك على النعيم والهناء الذى استمتع به !

وكما تعرفون فقد كانت نهاية قصة الفيلم حزينة مفجعة ، فمع نهايته أغنى على قبر حبيبتى « أيها الراقدون تحت التراب .. » وهى أغنية حزينة تجعل الدموع تقفز من العيون !

وحدث عند عرض الفيلم أن وجدنا بعض المتفرجات يغمى عليهن من التأثر، ولذا فكرنا بعد ذلك فى جعل نهاية الأفلام سعيدة مفرحة ، وهذا مافعلناه فى فيلمى الثالث « يحيا الحب » فى عام١٩٣٨ !

مع ليلى مراد

وقبل العمل فى فيلم « يحيا الحب » قابلنى صديقى المرحوم زكى مراد يوماً ، وقال لى إنه يريد أن يقدم إلىّ هدية فى شخص ابنة له اسمها « ليلى » تصلح للغناء معى فى السينما ، فوعدته ببعض عبارات المجاملة وأنا أعتقد أن كلامه من قبيل حماس الوالد ، ، ثم حدث أن رتب لنا جلسة عائلية خاصة ، سمعت فيها « ليلى » تغنى ولم أتردد فى اختيارها لبطولة فيلمى الثالث « يحيا الحب » .

وأحسن ما فى ليلى أنها لم تقلد أحداً ، وأن لها شخصية مستقلة متميزة ، والواقع أن فى صوت ليلى ما يسميه أهل الصنعة « عرب » أى ذبذبات خاصة تميز صوتها ، فلا يشتبه على السامع ، فصوتها يشير إليها فور سماعه !

وبعد نجاح فيلم « يحيا الحب » توالت الأفلام فجاء فيلم « يوم سعيد » .

وطوال حياتى لم أنس فيلم يوم سعيد لأكثر من سبب .

فيوم بدأنا فى تصويره كانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، فتركنا « البلاتوه » لنسمع الراديو الألمانى يعلن الحرب !

ولن أنسى هذا الفيلم لأننى سافرت من أجله إلى لبنان لكى أقابل الأستاذ بشارة الخورى الذى كتب لى أغنية « يا ورد مين يشتريك » وقصيدة « الصبا والجمال » وقد غنيتهما فى الفيلم !

ولن أنسى هذا الفيلم لأننى أشركت فيه المرحومة « أسمهان » التى سجلت معى غناء المشهد الخاص بأوبرا « مجنون ليلى»، فكانت هذه أول مرة تقدم فيها السينما أوبرا غنائية .

وإننى لأذكر أيضا . أننا كنا قد سجلنا أغنية « ما أحلاها عيشة الفلاح » بصوت بديعة صادق التى كنت معجباً بصوتها ، فلما اشتركت أسمهان بالغناء فى الأوبريت ، أعدنا تسجيل الأغنية بصوت أسمهان !

اعتذار سببه أغنية الجندول !

وفى تلك الأيام بدأت تلح على نفسى فكرة .

كنت أذهب لأغنى فى الحفلات والأفراح ، فتستغرق الوصلة ساعة أو أكثر ، وكنت أغنى فى الوصلة دوراً من أغانى الأفلام أو الأسطوانات التى تستغرق دقائق قليلة ، فامط الدور فى ساعة. ولهذا فاننى أضطر إلى ترديد العبارة الواحدة بألحان جديدة .

وبدأت أسأل نفسى : لماذا لا تصل هذه الأنغام الجديدة إلى أذن السامع مع كلمات جديدة؟ لماذا لا يتلازم هذا التوأمان: اللحن والمعنى ؟

إننى فى سبيل التطريب واستكمال الوصلة، أرتجل الأنغام الكثيرة المختلفة للجملة الواحدة، فلماذا لا تصاحب هذه الأنغام الجديدة جمل جديدة ومعانٍ جديدة ؟

كانت هذه الأفكار تراودنى فتترسب فى عقلى الباطن ، وتتراءى لى كحلم ينتظر تفسيراً !

ولكن كيف يكون تفسيره ؟

كيف أحقق هذا الخاطر الذى يلح على نفسى ، فأحقق الاتجاه الجديد الذى أريده للغناء ؟

إن الفنان لا يجلس إلى مكتبه ، ويقرر مرحلة جديدة فى حياته الفنية .

إنه ليس رجل أعمال يدرس ميزانيته وإمكاناته،، ثم يقرر إنشاء فرع جديد لشركته !

كلا.. إنها أحلام وأفكار وخواطر، تطوف بنفسه، وتنضج على مهل، ثم تتبلور، حتى تجيء اللحظة المناسبة .

كنت أقرأ « الأهرام » فوجدت « الجندول » منشورة لأول مرة لشـــاعـر لم أكن أعـــرفـه فى ذلك الوقت ، وهو المرحـوم « على محمـــود طه » .

وقرأت القصيدة فأعجبتنى إلى أبعد حد ، وقلت فى نفسى لماذا لا أغنى هذه القصيدة ؟ إنها تحقق الفكرة التى تراودنى فى الأيام الأخيرة ، فأستطيع أن أغنى كلاما طويلا دون أن ألجأ إلى الترديد والإعادة نصف ساعة لجملة واحدة، ثم إن فى القصيدة قصة وحوارا، وقد كنت أتمنى دائما أن أغنى شيئا كهذا، يحفل بالحركة والصور المتجددة ، فضلا عن عذوبة اللفظ ورشاقة الوزن ، مما يجعل القصيدة أصلح ما تكون للتلحين والغناء .

وقطعت القصيدة من الجريدة ، وحملتها فى نفس الليلة إلى صديقى الأستاذ مكرم عبيد ، الذى كنت أتردد عليه كثيرا فى تلك الأيام ، وقرأ مكرم القصيدة فأعجبته ، وسألنى عن مؤلفها ، فقلت له إنه الأستاذ محمود حسن إسماعيل ..!!

فقد حدث أنني عندما قطعت القصيدة، لم أقطع معها إسم المؤلف ، ولست أدرى لماذا اعتقدت أنها من تأليف محمود حسن اسماعيل!

وفى تلك الليلة ، بينما كان الأستاذ مكرم عبيد يتحدث فى شئون السياسة مع صديقى عبدالحميد عبدالحق ، كنت أدندن وحدى « الكوبليه » الأول من أغنية الجندول !

ووجـدت من الضـرورى أن أتصـل بالمؤلف ، فطلبت من الأستاذ « سعيد لطفى » الذى كان مشرفا على الإذاعة فى ذلك الوقت ، أن يدلنى على محمود اسماعيل، فأعطانى رقم تليفون مكتبه.

وطلبته بالتليفون ودار بيننا هذا الحديث :

ـ الأستاذ محمود اسماعيل ؟

ـ أيوه يا افندم .. مين حضرتك ؟

ـ أنا محمد عبدالوهاب .

ـ أهلا وسهلا .

ـ الحكاية أنى قرأت لحضـرتك قصـيدة عظيـمة ويسعدني أن ألحنها وأغنيها .

ـ ده أنا اللى سعيد خالص ومتشكر .

ـ بس وحياتك فيه عبارة فى القصيدة عاوز أسألك عنها .

ـ اتفضل تحت أمرك .

ـ فى الكوبليه اللى بتقول فيه «ذهبى الشعر شرقى السمات» هل قصدك يعنى .. وقاطعنى محمود اسماعيل قائلا :

ـ لكن أنا مش فاكر إنى قلت الشعر ده !

ـ مش معقول يا أستاذ دى القصيدة فى يدى الآن.

ـ قصيدة إيه ؟

ـ قصيدة الجندول كانت منشورة فى الأهرام من كام يوم !

ـ أنا متأسف القصيدة دى مش بتاعتى !

ـ أمال بتاعت مين ؟

ـ أفتكر بتاعت الأستاذ على محمود طه !!

ورحت أعتذر للرجل وأنا فى أشد حالات الخجل !

ثم حصلت على تليفون « على محمود طه » وطلبته . وبدأت بسؤال عما إذا كان هو صاحب قصيدة « الجندول » فلما أكد لى أنه صاحبها ، استأذنته فى غنائها ، فرحب بذلك ، والتقينا وأصبحنا صديقين !

طه حسين مستمعا !

وانتهيت من تلحين « أغنية الجندول » وسجلتها فى شريط طويل للاذاعة .

ومن الذكريات العزيزة لدى أننى دعوت الدكتور طه حسين فحضر تسجيلها فى محطة الاذاعة ، وأعجبه اللحن والغناء ، وشجعني على المضى فى هذا الطريق .

والواقع أن أغنية « الجندول » تعتبر مرحلة جديدة فى حياتى الفنية. ولقد لحنت من هذا النوع بعد ذلك «الكرنك» و«كليوباترة» وغيرهما وأذكر أن الأستاذ سعيد لطفى اقترح علىّ بعد نجاح الجندول أن أقدم صورة مصرية ، فطلبت إليه أن يختار قصيدة من هذا النوع، فقدم إلىّ قصيدة الكرنك، للأستاذ أحمد فتحى فأعجبتنى وشرعت فى تلحينها .

وكنت قد زرت قبل ذلك معبد الكرنك بالأقصر، وامتلأت نفسى بروعة هذا الأثر الخالد، وشعرت وأنا أطوف بين أبهائه الضخمة،

أن أصداء أصوات الكهنة وترتيلهم مازالت تتردد بين جنبات المعبد !

ولكنى لحنت القصيدة وسجلتها فى القاهرة ، ثم سافرت إلى الأقصر فى يناير عام ١٩٤٢، حيث سمعتها تذاع لأول مرة ، فى إحدى الليالى بفندق ونتربلاس ، من «راديو» أحضره لنا الدكتور زكى ميخائيل بشارة.

عفاريت الأقصر

ومازلت أذكر بعض الحوادث المرحة التى وقعت لنا فى تلك الفترة بمدينة الأقصر .

لقد كنا مجموعة كبيرة تضم النحاس ومكرم عبيد وعبد الحميد عبدالحق والمرحوم فخرى عبد النور وآخرين .

والمعروف عن صديقى عبدالحميد عبدالحق أنه لا يمكن أن ينام وحده ليلا، لأنه يخاف من العفاريت !

وجلسنا ليلة فى صالون الفندق نتحدث فى هذا الموضوع ، ونناقش عبدالحميد فى سبب خوفه من العفاريت، فقال إنه يؤمن بوجودها لأنه رآها فى بلدته !

وأراد المرحوم فخرى عبدالنور أن يستغل الموقف ليضحك من عبدالحميد، فدبر له مقلبا طريفا قام بتمثيله « حسن كمال » سكرتير النحاس !

ففى تلك الليلة قمنا لننام بعد انتهاء السهرة ، وكعادة عبد الحميد أخذ يلح على لكى أشاركه النوم فى غرفته ، وطبقا

الخطة الموضوعة رفضت ذلك بحجة أن شخيره يزعجنى . واضطر عبدالحميد أن يقنع بأضعف الايمان ، فاكتفى بأن يفتح الباب الذى يفصل غرفتى عن غرفته ، وكانتا متجاورتين !

وكان « حسن كمال » قد التف بعباءة سوداء واختبأ خلف الستارة التى تغطى نافذة حجرة عبدالحميد ، ثم انتظر حتى نام وبدأ ينقر زجاج النافذة ، وتقلب عبدالحميد فى فراشه ثم قال بعد أن ظن أن أحدا يطرق الباب :

- أدخل ..!

واستمر النقر دون أن يدخل أحد ، فقال متصورا أنها الخادمة الأجنبية :

- « أنتريه » .. أى أدخلى بالفرنسية !

ولم يدخل أحد ، فارتاب فى الأمر ، وقام فى حذر إلى غرفتى ، فتظاهرت بالنوم !

- محمد .. أنت صاحى ؟

- عاوز إيه ؟

- لازم « تجوم » تنام معاى !

- يا راجل اعقل وسيبنى أنام !

- مستحيل .. الأودة بتاعتى مسكونة !

- بلاش وهم وكلام فارغ.

- ماهو إذا ما كنتش رايح تنام فى أودتى ، رايح أنام أنا فى أودتك!

وخشيت أن ينكشف المقلب فقمت معه إلى غرفته ونمت فى

سريره وبعد قليل سمعنا صوت حركة وهمهمة ، فجلس عبد الحميد في الفراش وهو يرتعد ، وهمس قائلا لى :

- أنت سامع ؟

- سامع ايه ؟

- صوت العفريت !

- لأ مش سامع حاجة .

- لازم يكون « جاصدنى » لوحدى !

وزادت الهمهمة ، والنقر على الزجاج ، فقام عبدالحميد وهو في حالة ذعر شديد ، وتقدم إلى الستارة فى حذر وخوف ، وأزاحها فظهر له شبه عملاق فى عباءته السوداء ، أخذ يقفز ويصيح فى وجهه ، فارتعد عبد الحميد وجرى مذعورا وهو يصرخ :

- يلعن أبوك يا عفريت ... ايه اللى جابك هنا ..؟!

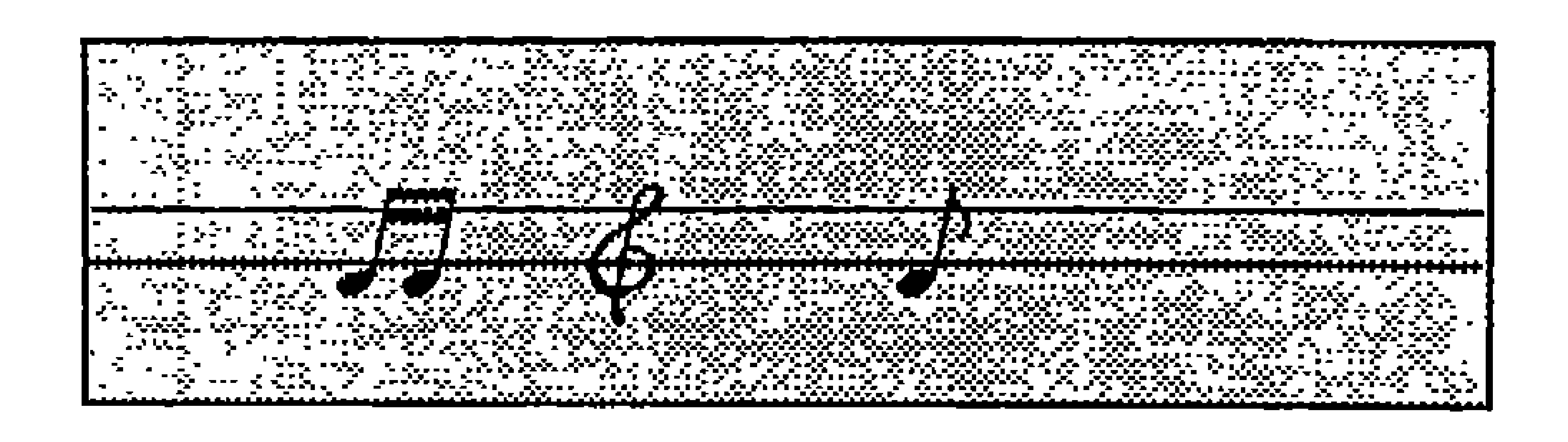
ثم انطلق يجرى من الغرفة بجلباب النوم وهو يصيح :

- يا بوى .. العفريت جاى ورايا من البلد !!

وكانت ليلة ..!

لست ملاكا ..

والأغانى المعتقلة !



عشنا أيام الحرب العالمية الثانية وكأننا فى حلم يسيطر عليه الكابوس .

كانت فترة عصيبة !

كانت الحرب فى أوج شدتها ، وجيوش المحور تطرق أبوابنا ، والغارات الجوية تهدد العاصمة بين ليلة وأخرى !

كانت فترة غامضة لا يشعر الإنسان فيها بالاستقرار الذى يساعد عى الابداع والإنتاج . ..

وكنت أخشى الغارات الجوية وأفزع منها فزعاً شديداً ، وكنت أعتبر صفارة الانذار بغارة جوية إنذاراً من القدر بإعدام مجهولين ، فلماذا لا أكون أحد هؤلاء المجهولين ؟

هكذا كنت أفكر ، ولهذا كان خوفى من الغارات ، خوف من يواجه القدر ليتلقى منه حكماً بالبراءة أو الإعدام !

وكنت أقيم فى منزل أملكه بالعباسية ، وهو منزل قديم ، مكون من طابقين وبدروم .

وكانت العباسية هدفاً للغارات الجوية فهى تجاور المعسكرات البريطانية ، ولهذا أرسلت والدتى – مع العائلة إلى البلدة ، وبقيت وحدى فى القاهرة أواجه أحداثا غريبة من بينها ما حدث لى ليلة الغارة الجوية الكبرى التى ألقيت فيها القنابل على حى العباسية وغمرة ، وكانت أكبر غارة شهدتها القاهرة خلال الحرب الماضية !

لقد أطلقت صفارات الإنذار فى تلك الليلة المشئومة فأشار على

« الأوسطى على » سائق سيارتى أن أنزل إلى البدروم ، فارتديت « الروب » فوق البيجامة وجلست معه فى بدروم المنزل أنتظر أنتهاءها بسلام .

واستمرت الغارة ساعات قضيتها فى حالة سيئة من الإنزعاج وأنا أسمع صوت الطائرات المغيرة ، وانفجار القنابل ، ودوى المدافع المضادة ، وقد تشنجت أصابعى وهى تضغط على مصحف صغير ، كان ملاذى الوحيد وسط هذا الهول الكبير .

وانتهت الغارة فى الساعة الرابعة صباحاً ، فخرجت من البدروم محطم الأعصاب ، وقد بدأ نور الفجر يتسلل إلى الشوارع المقفرة ، ووجدت أنه من المستحيل أن يطرق النوم أجفانى وأنا فى هذه الحالة من توتر الأعصاب ، فطلبت من السائق أن يخرج سيارتى من « الجراج » لكى يذهب بى إلى الجزيرة أو الهرم حيث أشم الهواء ، وأستعيد هدوء نفسى .

ووقفت بالبيجامة والروب أمام البيت فى إنتظار السيارة ، وعند ذلك أقبل المتطوعون الذين يعملون فى الحى وقت الغارات ، وكان من عاداتهم أن يطمئنوا علىّ بعد كل غارة . ووقفت أتحدث معهم وأسألهم عن الأخبار ، فذكروا لى ما أحدثته الغارة من دمار وحريق فى بعض الجهات .

وجاءت السيارة فركبت وعرضت عليهم أن أوصلهم إلى وجهتهم ، وقالوا إنهم ذاهبون إلى قسم الوايلى القريب من البيت ، فركبوا معى . ولاحظت أنهم يحملون « قفة » وضعوها معهم فى السيارة ، فسألت عما فيها ، فقال أحدهم ببساطة :

– دى قنبلة لم تنفجر ..!

وصحت :

– يا نهار إسود ..!

ووجدت نفسى أفتح باب السيارة وأقفز منها وأجرى فى الشارع ، ولم أتوقف حتى أصبحت على بعد كيلو مترين من السيارة .. !!

ولم أستطع بعد ذلك البقاء فى منزلى بالعباسية ، فانتقلت إلى شقة مفروشة فى عمارة ايموبيليا ، لأنها بعيدة عن الثكنات من جهة ، ولأن بدرومها يعتبر أحسن مخبأ للوقاية من الغارات من جهة أخرى !

وكان المرحوم نجيب الريحانى يسكن فى شقة بنفس العمارة ، وقد اختارها فى دور متوسط حتى يكون فى مأمن من القنابل كما قال ، وقد سألته عن سبب ذلك فقال :

إذا وقعت القنبلة فوق السطح تهد الأدور اللى فوقى

وماتحصلنيش . وإذا وقعت تحت فإنها تصيب الأدوار السفلى ولا تصل عندى !

وسألته يوماً ماذا يفعل وقت الغارة فقال :

– أقف بجوار حائط النجاة !

– وإيه هو حائط النجاة ؟

– دا حائط المطبخ وأنا اخترته لأنه بعيد عن الواجهة وعن الشارع ، ومفيش فيه أى شباك إلا على المنور اللى فى وسط العمارة !

وقلت للريحانى :

– طيب وإذا وقعت القنبلة فى المنور ؟

فانزعج الريحانى ثم قال بلهجته الظريفة :

– والله يا محمد .. دى ماعملتش حسابها !!

المهم كان أهم أعمالى الفنية خلال سنوات الحرب التى تحدثت عن مضايقاتها ، هو تمثيلى لرواية « رصاصة فى القلب » عام ١٩٤٤ والتى كان من نجومها راقية إبراهيم وسراج منير وعلى الكسار .

وبداية هذا الفيلم أن محمد كريم كان يبحث عن قصة



صورة طريفة التقطت للموسيقار عبد الوهاب والكاتب الكبير توفيق الحكيم أثناء اجتماعهما لمناقشة بعض تفاصيل فيلم « رصاصة في القلب »

تصلح لفيلمي الجديد ، فجاءني ذات يوم وأخبرني أنه قرأ رواية « رصاصة في القلب » التي كتبها المؤلف الكبير الأستاذ توفيق الحكيم ، وأنه يقترح أن تكون هي موضوع الفيلم . وقرأت الرواية فأعجبتني ، وحدثت توفيق الحكيم في الأمر ، فقال إنه كتبها لتمثل على المسرح ، وإن دور البطل مكتوب للأستاذ سليمان نجيب . ولكني استطعت إقناعه بالموافقة على إخراجها في السينما ، وبدأنا العمل في إعداد السيناريو والحوار .

غرائب توفيق الحكيم

ويستطيع الأستاذ محمد كريم أن يروي الكثير مما لقيه من غرائب صديقنا توفيق الحكيم في خلال الفترة التي اشتغل معه فيها في وضع السيناريو وكتابة الحوار ، وأخص غرائب الكاتب الكبير هو « سرحان » الفكر أثناء العمل ،الأمر الذي كان يحتار فيه كريم ويحاول أن يجد له علاجاً !

ومن الحكايات الطريفة في هذا الصدد أن كريم جلس مرة يقرأ لتوفيق بعض مشاهد السيناريو ويستطلع فيها رأيه ، وتوفيق يهز رأسه ويقول بين حين وآخر :

- تمام .. مضبوط .. وهو كذلك .

ولكن الأستاذ كريم لاحظ أن الحكيم غائب عنه بذهنه وإن

تحركت شفتاه بالتأكيد والموافقة ، فأراد أن يتأكد من الأمر ، فاندفع يقول :

- وبعدين يدخل البطل محل شيكوريل وهو زعلان ، ونشوفه طالع بعد كده من المحل وهو لابس فستان سواريه ...إيه رأيك ..؟!

وقال توفيق الحكيم ببساطة وهو يهز رأسه :

- تمام .. فى محله ..!!

ومع ذلك فإن توفيق الحكيم ليس بالانسان الساذج أو الذى يسهل إقناعه أو التأثير عليه كما قد يظن البعض ، أو كما يحلو له أن يوحى بذلك أحياناً للناس !

إنه قد يغفو وأنت تحدثه ، ولكنها غفوة تعقبها صحوة ، فإذا به يناقش ويهدم كل ما توهمت أنك أقنعته به ، وإذا بك تتبين أنه فى حقيقته إنسان واع ، لماح فى ذكائه ، عميق فى فهمه !

ومن الذكريات الأخرى التى تحضرنى عن هذا الفيلم أننى كنت قد قرأت قصيدة « لست أدرى ..» للشاعر اللبنانى « أيليا أبو ماضى » وهى من الشعر الفلسفى فأعجبتنى وتمنيت أن ألحن بعضها ، ولكننى كنت حائراً كيف أغنيها ؟

إن شعراً كهذا لا يعقل أن يغنى فى فرح أو حفلة عامة ، فلابد إذن من مناسبة تصلح لغناء كلام يدور حول فلسفة الحياة والوجود .

وقد سنحت الفرصة عند إخراج هذا الفيلم ، فخلقنا المناسبة التى يغنى فيها البطل هذه القصيدة !

وبمناسبة الغناء فى الفيلم أذكر أن « كريم » وضع فى السيناريو مشهداً أدخل فيه الحمام وأغنى أثناء الاستحمام ، وأصر كريم على أن أظهر وأنا أخلع ملابسى ، بحيث يبدو نصفى الأعلى عارياً تماماً ، ولكننى رفضت ، وقامت خناقة بينى وبينه وقال وهو يحاول إقناعى إن الناس يظنون أن عبد الوهاب صاحب الأغانى العاطفية الناعمة شخص ليس له حظ كبير من مظاهر خشونة الرجال ، مع أن صدرك يغطيه الشعر الكثيف الذى يوحى بالفحولة والقوة ، ولهذا يجب أن نصورك عارياً فى هذا المشهد .

ونزلت أخيراً على رأى المخرج ، ثم قامت العقبات فى سبيل هذا المشهد . هل نبنى الحمام فى الاستديو ؟ ولكن الدنيا برد ، وأنا « موسوس » وأخاف البرد ، ولا يمكن أن أخلع ملابسى وأغطس فى « بانيو مكشوف » داخل البلاتوه الكبير !

ولكن « كريم » فى سبيل تحقيق فكرته ، صور المشهد فى حمام المنزل الذى كنت أقيم فيه فى شارع الهرم ، ونقل المعدات والآلات إلى حمام مسكنى ، وبذل مجهودا كبيراً للتغلب على الصعوبات الفنية التى تحول دون التصوير فى مثل هذا المكان الضيق المقفول .

والعجيب أن هذا المشهد الذى تعبنا فى تنفيذه ، وأرهقنا أنفسنا من أجله ، واعتقدنا أننا سنبهر به الناس ، كان بالذات موضع سخط الأستاذ أحمد الصاوى محمد فى النقد الذى نشره عن الفيلم ، فقد هاجمنى بشدة من أجل « قلة الذوق » التى جعلتنى أظهر عارياً ، وقال إننى كنت مع ذلك كالقرد الذى يكسو جسمه بالشعر الغزير ..!!

مقياس النجاح

وقد أثار الفيلم عند عرضه ضجة كبيرة ، وكان ذلك يرجع إلى الأسماء اللامعة الكثيرة التى اشتركت فيه ، وبخاصة توفيق الحكيم الذى كان يدخل ميدان السينما للمرة الأولى .

ورغم نجاح الفيلم من الناحية المادية ، فإنه لم يحقق النجاح الأدبى الساحق الذى كان منتظراً فى أول عرضه ! .

وليس معنى هذا أن الفيلم لم يكن ناجحاً من الناحية الفنية ، ولكن الذى حدث أن الناس اختلفوا فى أمره ، وبدأت ترتفع بعض الاصوات متصايحة بأن الفيلم لم يصل إلى الذروة الفنية التى كانوا يتوقعون أن يصل إليها ، ولست أدرى كيف تولد هذا الشعور عند الناس ؟ ولكنى أعتقد أن الأسماء الكبيرة التى تحشد فى فيلم

واحد ، قد تضر بهذا الفيلم فى بادىء الأمر عند مشاهدته ، وتفسير ذلك أن الناس يتوقعون فى هذه الحالة أن يشاهدوا معجزة كبرى ، فإذا تمخض لهم الأمر مثلاً عن نصف معجزة ، شعروا بشىء من خيبة الامل ، واعتبروا ذلك نوعاً من الفشل !

إلا إنه بمرور الزمن ، وذهاب هذه العوامل النفسية الوقتية ، واستقرار الأمور تتضح القيم الحقيقية للأشياء ، فيعرف الناس قيمة العمل الفنى بعيداً عن المؤثرات النفسية التى تدخلت فى تقديرهم أول الأمر .

وهذا هو ماحدث لفيلم (رصاصة فى القلب) الذى مازال إلى الآن أكثر أفلامى حظاً من الحياة والبقاء ، مع أن لى أفلاماً أخرى نالت فى أول عرضها نجاحا يفوق نجاح هذا الفيلم !

فى دنيا الزواج

وقد كان فيلم « رصاصة فى القلب » أقرب أفلامى إلى نفسى لأنه يمثل فى حياتى ذكرى خاصة ، فهو أول فيلم يعرض لى وأنا زوج وأب لطفلة ، إذ كان عرضه مع مولد ابنتى « إش إش »

أجـل ، فى تلك الأيام كان الله قد أراد لى أن أودع حياة « العزوبية » لأدخل فى دنيا الزواج . وكان الزواج بالنسبة لى تجربة سعيدة كفنان .

والواقع أن الناس يختلفون فى أمر زواج الفنان ، وتأثيره على فنه وإنتاجه ، ولكننى أعتقد أن الأمر يختلف فى حالتى الرجل والمرأة ، فزواج الفنان قد يكون أمراً لازما له ، لأن الرجل محتاج إلى إنسانة تشرف على شئون طعامه وشرابه وملبسه ، وتهيىء له الجو الملائم لانتاجه الفنى ، وذلك بشرط أن تفهم رسالتها ، فتعرف متى تتكلم ومتى تصمت ، ومتى تتركه لعمله . وبذلك يتخفف الفنان من عبء كبير هو المسئولية المنزلية ، ويجد من يدبر له شئون حياته اليومية ، فيتفرغ لفنه فى جو هادىء تسوده الرعاية والحنان .

أما الفنانة فإنها قبل كل شىء امرأة ، فإذا تزوجت وقع على كتفيها عبء المسئولية المنزلية التى تجعلها تقتطع مساحة عريضة من الوقت الذى تخصصه لفنها فتضطر إلى توزيع جهدها بين مقتضيات الفن ومسئوليات الزواج !

ومهما يكن الرأى فى زواج الفنان، فإن زواجى كان نعمة لأنه هيأ لى الاستقرار المنزلى ، وأتاح لى التمتع بأكبر سعادة فى الحياة ، وهى أن أكون أبا لخمسة أولاد ، هم أعظم نعم الله تعالى فى هذه الدنيا .

وهناك أمر آخر غير شعورى بالسعادة لتكوين أسرة ، يتلخص فى قرارى بألا أظهر فى فيلم واحد إلا مرة كل عامين .

كانت هذه قاعدة ثابتة بالنسبة لى منذ مثلت فى السينما !

والواقع أنها كانت نتيجة فكرة خاطئة تسلطت على ذهنى ، وهى أن الفيلم الجديد يؤثر من الناحية التجارية على الفيلم السابق له ، فيصرف الناس عنه إلى الفيلم الجديد .

وتطبيقاً لهذه القاعدة مثلت « لست ملاكا » بعد عامين من ظهور فيلم « رصاصة فى القلب » .

وكنت أشعر فى تلك الأيام أننا بقدر ما نقوم فى الغناء والموسيقى بخلق ألوان جديدة ، فإننا نتقدم فى استعمال الكورس !

فالكورس – وقتئذ – كان يستخدم فى ترديد مذهب يغنيه المطرب . ولكنه كان ترديداً لا يتخذ شكلا فنياً ذا قيمة ، فلم يكن « الكورس » شيئاً مستقلا له شخصيته وكيانه الخاص فى اللحن بحيث إذا ألغى حدثت فجوة فى البناء الموسيقى .

ولم نستعمل فى الكورس « الهارمونى » الصوتى ، الذى يغنى فيه المنشدون فى نفس الوقت ألواناً مختلفة تنسجم كلها فى إطار اللحن الواحد .

كنت أشعر بهذا النقص فى غنائنا ، وأفكر فى استخدام الكورس على وجه جديد ، بحيث يكون جزءاً من اللحن له مهمة خاصة يؤديها ، وقد نفذت ذلك فى « أغنية القمح » فى فيلم « لست ملاكا » وكنت راضياً عن التجربة ، وأسعدنى أن يعجب المتفرج بها ويتجاوب معها من أول وهلة .

وكان « لست ملاكا » آخر الأفلام التى مثلتها ، فقد بدأت بعد ذلك أساهم بالتلحين فى أفلام يقوم ببطولتها نجوم غيرى .

بين المطرب والملحن

لقد كنت طول حياتى الفنية أفضل عملى كملحن على غنائى كمطرب ، وأشعر أن رسالتى الفنية فى التلحين قبل أن تكون فى الغناء ، ولعل هذا الشعور قد استقر فى نفسى لأن الناس اعتبرونى مجدداً فى الموسيقى ، وحملونى مسئولية إستحداث خطوات هامة فى عالم الموسيقى والتلحين .

وكانت تدور فى رأسى بعض الأفكار :

هل من الضرورى أن يقتصر عملى على الألحان التى أغنيها بنفسى ؟ ولماذا لا أصنع ألحاناً من الأنواع والألوان التى قد لا تلائمنى ولكنها تلائم غيرى ؟

والواقع أننا فى مصر لا نعرف المتخصص ، فيجب أن يقوم المغنى بأداء الألحان العاطفية والحزينة والمفرحة والهزلية والأناشيد الحماسية ، وإلا اعتبر ذلك نقصاً فى كفاءته الفنية ، وهذا مقياس خاطىء للحكم على مقدرة المغنى وقيمته .

ولهذا رحبت بالاشتراك مع الأستاذ أنور وجدى فى تلحين أفلام لا أمثل فيها ويغنى فيها غيرى ، ولم أكن أهدف بذلك إلى تحقيق

أى غرض تجارى ، وإنما كنت أريد تحقيق انتشارى فى تلحين ألوان متعددة من الغناء .

وهكذا وضعت موسيقى وألحان فيلم « عنبر » عام ١٩٤٧ ، وفيه ألحان هزلية من النوع الكاريكاتورى للمرحوم عزيز عثمان وشكوكو وغيرهما ، وأدخلت « الجاز » فى الأوركسترا والغناء ، وقد نجحت التجربة وانتشر « الجاز » بعد ذلك فى الأفلام .

وكذلك وضعت ألحان فيلم « غزل البنات » عام ١٩٤٩ وفيه من هذا النوع من الألحان « أبجد هوز » و « عينى بترف » التى اشترك فى غنائها ليلى مراد والفنان العبقرى الراحل نجيب الريحانى .

الريحانى يبكى

ولن أنسى تلك الأيام التى عملت فيها مع المرحوم نجيب الريحانى فى فيلم « غزل البنات » .

كنا نجتمع فى شقته بعمارة إيموبيليا لإعداد السيناريو ، ونحن نقضى ساعات حلوة نستمتع فيها بأحاديثه وقفشاته .

والواقع أن الريحانى كان يعيش فى حياته العادية كما يعيش على المسرح أو بالعكس ، ذلك لأنه لم يكن يمثل ، وإنما كان يترك

نفسه على سجيتها ، وعندما يعتلى المسرح فإنه يندمج فى دوره بكل أعصابه وفكره وعواطفه ، فيصبح هو نفسه الشخصية التى يمثلها ويعيش فى الدور ببساطة صادقة .

ولعل هذا هو السر فى عظمة نجيب الريحانى كممثل ، حتى لقد قلت عنه مرة إنه فشل فى أن يكون « ممثلا » لأنه لم يكن « يمثل » وإنما كان يعيش بغير تكلف ، سواء فى الحياة أو على خشبة المسرح .

وأذكر أنه عندما حان موعد تصوير المشهد الذى يقف فيه الريحانى فى فيلم « غزل البنات » ليسمعنى وأنا أغنى دور «عاشق الروح» ثم تنحدر دموعه كما يقضى الدور ، أن أقبل عامل الماكياج ليضع فى عينيه بعض نقط من الجلسرين كما هى العادة ، ولكن الريحانى رفض ، وقال :

– مفيش لزوم للجلسرين .. إنتظروا علىّ دقيقتين بس !

وخلا الريحانى بنفسه ، وهو يسمع اللحن الحزين ، ثم قال :

– أنا مستعد !

ودارت الكاميرا ، وإنحدرت دموع الريحانى الحقيقية ، وكان مشهداً من أروع المشاهد التى سجلتها السينما .

وسألت الريحانى كيف استطاع أن يبكى هكذا ببساطة ، فقال :

افتكرت موقفي وفشلي في الحب فصعبت عليّ نفسي ..!

وهكذا لم يكن الريحاني يفرق بين موقفه في الحياة ، وموقفه في الفيلم .

رحمه الله .. لقد كان فنانا عظيما صادقاً .

اعتقلوا ألحاني

ولم يكن نشاطي الفني في تلك الفترة مقصورا على بطولة الأفلام والتلحين لغيري ، فقد سجلت أغنيات كثيرة للإذاعة ، كان لبعضها قصة مع السلطات الرسمية !

فقد حفلت هذه الفترة بالأحداث السياسية التي كان لهاأثرها في شئون الفن والموسيقى .

حدث في أعقاب الحرب الأخيرة أن ثار إخواننا السوريون مطالبين بالاستقلال فصبت القوات الفرنسية المحتلة غضبها على أهالي دمشق ، وضربتها بقنابل الطائرات والمدافع .

وأردت التعبير بلغة الفن عن شعور المصريين ، فلم أجد خيراً من قصيدة شوقي التي نظمها في مناسبة مماثلة ، عندما ضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل في ثورتها الأولى . وهكذا لحنت قصيدة :

سـلام مـن صبـا بـردى أرق

ودمع لا يكفكف يادمشق

وسـجلتـهـا للإذاعـة ، التى أخـذت تذيعـهـا فـتـرة لم تطل ، إذ سرعان ما تقدمت السفارة الفرنسية باحتجاج كان من أثره وقف إذاعة القصيدة التى ظلت « معتقلة » حتى قامت الثورة المباركة .

وعقب فشل قضيتنا فى مجلس الأمن ، شعر الناس بوجوب جمع الصفوف ، وتوحيد الكلمة ، إذ كان التناحر الحزبى على أشده ، ولكن الأحزاب رفضت أن تنسى أحقادها ، وظلت فى صراع وخلاف لم يكن يستفيد منه سوى المستعمر ، فلحنت أبياتاً من قصيدة قديمة لشوقى جاءت تعبيراً عن الشعور العام ، وعن شعورى الخاص كمواطن يتمنى الخير لبلاده ، وهى قصيدة « إلام الخلف بينكموا إلا ما ؟ » .

وسجلتها الإذاعة وأذاعتها فكان لها صدى بعيد عند الناس .

ولكن المرحوم فهمى النقراشى الذى كان رئيساً للحكومة ، أمر بوقف إذاعتها ، بحجة أنه لا يجوز أن نعترف أمام العالم بأننا مختلفون ..!!

أما اللحن الثالث الذى اعتقل بعد تسجيله وإذاعته ، فهو قصيدة فلسطين ، ففى أثناء حرب فلسطين طلبت من الأستاذ بشارة الخورى أن يكتب لى قصيدة لكى ألحنها وأغنيها عن

فلسطين ، ولكنه تأخر فى الرد على فلجأت إلى صديقى المرحوم الأستاذ على محمود طه ، فكتب لى قصيدة « أخى جاوز الظالمون المدى ..»

ولم أكد أفرغ من تلحينها حتى أرسل إلىّ الأستاذ بشارة الخورى قصيدته ، ولكنى كنت قد انتهيت من تلحين قصيدة على محمود ، فسجلتها وأذاعتها المحطة .

وفجأة أوقفت المحطة إذاعة القصيدة ! لماذا ؟ .. لست أدرى !

فقد ظل الأمر بالنسبة لى لغزاً حائراً إلى اليوم ، لأننى لم أعرف سببه الحقيقى .

قيل لى مرة من جهة رسمية إن الحكومة ترى أن إذاعتها تتنافى مع الهدنة التى كانت قد أعلنت فى ذلك الوقت !

ثم قيل لى مرة أخرى إن السبب هو أن القصيدة تحتوى على بيت جاء فيه « يسوع الشهيد على أرضها » وأن كلمة الشهيد تتنافى مع عقيدة المسلمين ، فرجعت إلى المؤلف الذى قال إنه قصد بالشهيد من تحمل الألم والعذاب والاضطهاد ، بل إنه أخذ إقراراً بهذا التفسير من بعض علماء الأزهر !

ومع ذلك فقد ظلت القصيدة معتقلة إلى أن قامت الثورة .

وفى يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ كلمنى من الإذاعة أحد ضباط الجيش يسألنى إن كنت أوافق على إذاعة القصيدة ، فوافقت

مرحباً بالفرصة السعيدة التى أتاحت الإفراج عن ألحانى التى اعتقلتها العهود الماضية .

وأضيف إلى قصة الألحان الثلاثة السابقة ، قصة لحن رابع هو « نشيد الحرية » .

كان الأستاذ كامل الشناوى قد نشر هذا النشيد قبيل الثورة ، واتفق معى على تلحينه وتسجيله للإذاعة .

ولحنت النشيد الذى كان مطلعه « أنت فى صبرك مكره ..» ، وإذا بوزارة الداخلية تمنع تسجيله بحجة أنه يثير الشعور العام !

وترامى إلى أن هناك من نقل إلى « السراى » أن عبد الوهاب يلحن نشيداً ثورياً يتعرض فيه للظلم والاستبداد والاعتداء على الحريات !

وطبعاً لم يسجل النشيد ، حتى قامت الثورة ، فتم تسجيله ، وأذيع « نشيد الحرية » مع مولد الحرية فى العهد الجديد .

وبمناسبة الحديث عن « السراى » أذكر للتاريخ حقيقة قد لا يعرفها الكثيرون ، وهى أن الملك السابق فاروق لم يكن يحبنى أو يرتاح إلىّ . ولست أدرى السبب على وجه التحقيق !

ولقد قيل لى فى تعليل ذلك إنه كان يكره كل رجل يسمع أن النساء معجبة حتى بفنه ، وأن السبب فى ذلك هو ما كان يشعر به من نقص فى هذا المجال ، مما جعله يتهافت على النساء لكى يظهر بمظهر الدون جوان الخطير !

وأذكر أننى كنت فى الاسكندرية منذ أربعة أعوام ، فاتصلت بى مطربة ونجمة سينمائية معروفة ، وطلبت أن ترانى فى مكان بعيد منعزل لأمر خطير هام ، وقابلتها فأخبرتنى وهى منزعجة أن فاروق إستدعاها وقال لها :

– إنتى بتحبى عبد الوهاب .. أنا رايح أنفيه لك من مصر !

هكذا كان يفكر الملك السابق ، وهذه هى الأمور الخطيرة التى كانت تشغل باله ووقته !

الحب فى حياتى وألحانى

وقد يتساءل البعض : لماذا لم أسرد شيئاً عن حياتى العاطفية ، ولماذا لم أسجل فى هذه المذكرات تاريخ قلبى ؟

وأرد على هذا التساؤل بالقول إننى أعتبر هذه الناحية من حياتى ملكا لى وأن حياتى الفنية هى التى يجب أن تهم القارىء . فليعذرنى إذا رأيت أن من اللائق أن أطوى هذه الصفحات !

ومن حق القارىء على مع ذلك أن أذكر له شيئاً عن أثر الحب فى ألحانى وإنتاجى . إننى أعتقد من تجاربى الخاصة أن الحب يلهم الفنان فى حالتين ، فى بدء دخوله إلى القلب عندما تبدأ قصة عاطفية جديدة ، وعندما ينتهى ويصبح ذكرى ، فالحب فى هاتين المرحلتين يثير الخيال ، فينشط الفنان لتسجيل خواطره وذكرياته !

فالحب يلهم الفنان ، حين تلتقى العيون ، وتضغط اليد على اليد ، ويكون الحديث همساً واستطلاعاً ، والإحساس رعشة وشكا ورغبة لم تتحقق ، فى هذه الفترة التى يحاول الإنسان فيها أن يفسر كل كلمة وحركة وابتسامة ، ويخلو إلى نفسه فيستعيد ما كان بينه وبين الحب ، ويمنى نفسه بالهناء القريب ينشط خياله ويتهيأ له من صفاء الذهن وخصوبة العاطفة ما يساعده على تسجيل خلجات نفسه وأماله وشعوره بالموسيقى والألحان . فإذا بلغ الحب ذروته وحقق غايته ، وانغمس الفنان فى هذه الحمى التى تعصف بهدوئه وسلام نفسه ، فإنه لا يكون أكثر من إنسان خامل تتعطل فيه ملكة الخيال ، فلا يعود قادراً على إنتاج شىء رفيع . وإذا إنتهى الحب وأصبح مجرد ذكريات ، عاد الخيال إلى نشاطه واستطاع أن يجتر هذه الذكريات ليحيلها مرة أخرى إلى ألحان وأنغام !

هكذا كان شأن الحب معى فى حياتى وألحانى

نصيحتى للناشئين

والآن وقد انتهيت من سرد أهم ما مر بى فى حياتى الفنية ، وسجلت فى هذه المذكرات مراحل كفاحى ، والعقبات التى صادفتنى ، وكذلك الظروف الحسنة التى مرت بى وعاونتنى ، أرجو



عبد الوهاب فى جلسة إسترخاء فى حجرة نومه يستمع الى الراديو .. والى التليفون والى مداعبات نجليه محمد وأحمد

أن يجد فيها الجيل الناشىء من أهل الفن بعض الفائدة والعبرة.

وإذا كانت لى نصيحة أوجهها إلى هؤلاء الناشئين ، فاننى أقول لهم إن هذه النهضة قامت على أكتاف قوم كانت مواهبهم أكثر من تحصيلهم . فعبده الحامولى وسلامة حجازى وسيد درويش وغيرهم ، وكذلك نحن ، كهول الفن المعاصرين ،قام عملنا على الموهبة ، ولم يتح لنا التحصيل أو الدراسة العلمية التى تساير هذه الموهبة !

هكذا كانت ظروفنا ، فقد إقتحمنا ميدان الفن فى وقت كان لا يقدم فيه على ذلك إلا المغامر . ولم تكن السلطات الرسمية تهتم بالفن أو تمد له يد التشجيع والرعاية .

ومع ذلك فقد أدى كل منا واجبه كما تيسر له .

إلا أننى فى النهاية أقول إن العصر الحديث الحالى يقوم على الثقافة والتحصيل ، ولهذا يجب على الجيل الناشىء أن يؤمن بأن الموهبة وحدها لا تكفى ، فالموسيقى علم وفن ، ونحن محتاجون فى عصرنا الحاضر إلى العلم أكثر من حاجتنا إلى الموهبة .

إننا بحمد الله أمة موهوبة ، فنحن لا ينقصنا المواهب ، ولكن ينقصنا العلم .



إحدى الصور التذكارية التي التقطت له أثناء زيارته لأوربا

ولعلى أكون متجنياً على الناشئين لو حملتهم وحدهم مسئولية التحصيل وتدبير وسائله ، فهذا واجب الدولة التى عليها أن تهيىء لهم المعاهد الفنية ، وتضع له البرامج الصالحة ، وتكثر من إرسال البعثات إلى الخارج ، حتى تحقق لأصحاب المواهب كل الوسائل التى تصقل مواهبهم ، وتجعلهم أقدر على التجديد والإبداع .

ونصيحتى الثانية للناشئين هى أن يعتمدوا على أنفسهم فى شق طريقهم . فإننى ألاحظ - مع الأسف الشديد - أن الناس يظنون أنه يمكن الوصول إلى النجاح والشهرة عن طريق الوساطة !

هذه الرغبة فى الوصول السريع تدفعهم إلى الاتجاه لأساليب صناعية ، كالوساطة والتماس الوسيلة عند أصحاب النفوذ !

إن هذا من أكبر الأخطاء لأن أى شىء قد تنفع فيه الوساطة إلا الفن .

إن رئيس الدولة قد يستطيع أن يجعل من شخص ما رئيسا للوزارة لأنه يحبه ويثق فيه ، ولكنه لا يستطيع أن يجعل من شخص ما مغنياً مثلا ، بأن يصدر بياناً أو مرسوماً يطلب فيه إلى الشعب أن يسمع المغنى الفلانى لأنه شخصياً يحبه !

وليس معنى هذا أننى أنكر على الناشىء حقه فى الكفاح

والسعى لكى تتاح له فرصة كفيره ، ولكن يجب عليه أن يعتمد بعد ذلك على جهده وفنه .

وعليه أن يتذكر أن الفنانين الكبار حقاً لم يصلوا إلى مكانتهم إلا بعد صبر طويل ، وكفاح مرير ، ذاقوا فيه طعم الحرمان ، وعرفوا الجوع والعرق والدموع .

وأخيراً ألاحظ أن الجيل الناشىء يتحدث عن كل شىء قديم باحتقار وترفع ، ويتمنى أن يقطع صلته به ويتبرأ منه .

وهذا أيضاً خطأ كبير .

إننا لا نستطيع أن نصدر قراراً بإعدام القديم !

هذا شىء غير ممكن .

فالجديد هو التطور الطبيعي لهذا القديم الذى يعطينا الطابع والشخصية الأصيلة .

إذن يجب ألا نحتقر القديم ، لأنه تراثنا ، وبدلا من ذلك علينا أن نبنى على أساس القديم ما شئنا من فن جديد .

هذه نصائحى الصادقة التى سأظل أذكر بها كل الناشئين .



مبارك مع عبد الوهاب

عبد الوهاب
وقادة مصر



كانت تلك هى مذكرات محمد عبد الوهاب حتى عام ١٩٥٤ التى حصلت عليها بعد أن تجاوز سن الخمسين بقليل وأصبح متربعاً على عرش الموسيقى والغناء بلا منازع ، فقد كان فى ذلك الوقت مطمئناً الى أن مجده الفنى وصل الى القمة وأنه لن يصاب بخدش من أى نوع ، فصفحته الفنية تملأ الأسماع والأبصار ، وهى منتشرة على امتداد العالم العربى .

وعقب تلك المذكرات إنتهج عبد الوهاب نهجاً آخر مع الكتاب والمؤلفين والصحفيين ، فقد أحاط نفسه لفترة طويلة بسياج من الصمت ، تاركاً الحرية لكل من يريد التحدث عنه وعن فنه وتجديداته في الموسيقى والألحان .

وطوال تلك السنوات التي تلت المذكرات ، لم أكن بعيداً عن عبد الوهاب ، فقد ظلت علاقتى به وطيدة حتى آخر يوم فى حياته ، وأتاحت لى تلك العلاقة أن أقف على تفاصيل عديدة فى حياته وعلى الكثير من آرائه فى شتى الأمور بداية من علاقاته بالسياسيين والمثقفين والكتاب إلى رؤيته الخاصة للطب والأطباء والمرأة والحب !

فقد كان مثلا عبد الوهاب صديقا حميما لرجال الوفد رغم أنه نفى من قبل إنتمائه للحزب الأقوى والأكثر شعبية فى الحياة السياسية ، وكانت علاقته المميزة بهم تجعل الكثيرين يتصورون أنه

وفدى بالإحساس والوجدان رغم إنكاره لذلك فى مناسبات عديدة بحجة أن الفنان يجب أن يكون إنتماؤه الأول والأخير لفنه !

وقد قال لى عبد الوهاب إنه كان مفتوناً بسعد زغلول منذ صغره و يجرى مع الصبية خلف كل حشد يحضره هذا الزعيم ويخطب فيه خطبه الثورية التى تندد بالاستعمار البريطانى والقصر الملكى المساند للإنجليز .

ثم تعرف فى شبابه بصوت الثورة « مكرم عبيد » أفصح خطباء حزب الوفد ، وكان يملك صوتاً رخيماً ، قال لى عنه عبد الوهاب إنه أجمل صوت سياسى سمعه فى حياته !

وكانت عايدة هانم مرقص حنا زوجة المجاهد الكبير مكرم عبيد من أشد المعجبات بصوت عبد الوهاب ، وكثيراً ما كانت تفخر بصداقته لزوجها .

ومن خلال علاقته بمكرم عبيد توطدت علاقاته بالكثيرين من رجال الوفد وخاصة عبد الحميد وعبد المجيد عبد الحق باشا وهما وزيران وفديان لهما مكانة كبيرة داخل الحزب ، وكان يلتقى بهما دائماً إما فى منزل مكرم باشا أو بيت عبد الحميد عبد الحق باشا أو منزله بالعباسية فى ذلك الوقت !

والذى جذب عبد الوهاب إلى رجالات حزب الوفد هو كراهيته لرجال القصر ، وقد روى الفنان كيف كان من عادة الحرس الملكى



محمد عبد الوهاب يتسلم الدكتوراه الفخرية من السادات

أيام فاروق أن يقيم فى ثكنات عابدين حفلاً سنوياً بمناسبة عيد ميلاد الملك ، وإتصل به تليفونياً عمر فتحى باشا كبير الياوران ليطلب منه الاستعداد لإحياء الحفل فاعتذر له بحجة أنه مريض ، ولم تقنع هذه الحجة كبير الياوران بل جعلته يغضب ويأخذ سيارته مسرعاً إلى بيت عبد الوهاب ليقول له بصوت كله تهديد ووعيد :
إنت عارف إيه اللى بتعمله يا أستاذ ؟

– باعمل إيه يا باشا !

– بترفض الرضوخ للأوامر الملكية .. وعارف ده معناه إيه ؟

– لا أعرف بالضبط !

– جــلالة الملك يغضب ، وإذا غضب جلالته تبقى مصيبة هتــنزل عليك !

– يا سيادة الباشا أنا راجل عيان ، وجلالة الملك حفظه الله لازم هيقدر الأمور دى !

– طيب ، مادامت المسألة كده يبقى ذنبك على جنبك !

وإنصرف عمر فتحى وهو يغلى بالغضب !

ورغم أن عبد الوهاب روى لى تلك القصة فى جلسة جمعتنى معه فإننى إستمعت إليه يرددها مرة أخرى أمام عبد الحميد باشا عبد الحق فى جلسة أخرى جمعت ثلاثتنا ، وعلق عليها عبد الحميد بقوله : لقد ظنوا برفضك للغناء فى المناسبة الملكية أنك

وفدى متعصب تناصب الملك العداء مثل كل الوفديين !

ولهم حق فى هذا التصور ، فقد كان عبد الوهاب يحرص على أن يوجد فى أى حفل فيه مصطفى النحاس باشا ، وكان عبد الوهاب يقول عن علاقته بالنحاس : كنت أروح عنده ، وأنام عنده ، وألبس جلابيته الحرير ، وكان يحبنى ويحب يسمعنى جداً ، ومن كثرة علاقتى الشخصية بالنحاس ومكرم عبيد قالوا إنى وفدى ، رغم أننى لا وفدى ولا حاجة !

وكان أكثر ما يوجه إلى عبد الوهاب فى تلك الفترة أنه غنى للملك مرة واحدة بأغنية « إنته اللى أكرمت الفنان ورعيت فنه » غير أن عبد الوهاب يقول إن فاروق فى تلك الفترة كان محبوبا فى بداية حكمه ، ولكنه إنحرف بعد ذلك !

علاقته بثورة يوليو

كان عبد الوهاب يعرف محمد نجيب شخصيا ! وكان نجيب يزوره فى بيته مع زوجته .

وعندما قامت ثورة يوليو غنى من شعر محمود حسن إسماعيل « كانت الدنيا ظلا ما قبله » .

لقد انحاز عبد الوهاب لثورة يوليو منذ اعلانها بعد أن أثلج صدره ما نادت به من مبادئ وطنية و خاصة عندما رأى أصدقاءه من رجال الوفد يباركونها .

غير أن بعض ما شابها بعد ذلك بشهور من أدران جعله يتريث فى تفكيره نحو ما يجب عليه أن يفعله وهو فى ركابها !

فقد ذهب إليه بعض رجالها قائلين فيما يشبه الأمر : إذهب إلى القيادة لتقديم الشكر والتبريك ، فاتصل بأم كلثوم التى قالت له إن نفس الأشخاص قد جاءوا إليها وبنفس الأسلوب تحدثوا إليها وإنها لن تذهب إلا إذا جدت مناسبة تستدعى ذهابها إلى القيادة ، واستحسن عبد الوهاب رأيها وقرر أن يكون هذا هو نفس رأيه .

وظلت علاقته بالثورة متأرجحة فهو يباركها بعقله وفكره ولكنه يستهجن ـ فى نفس الوقت ـ الأسلوب الذى طبعه فى وجدانه البعض من الصفين الثانى والثالث ، إلى أن صفا الجو تماماً وظهر زعيم الثورة متحليا بالاتزان والفكر الداعى لمصالح الأمة وعندئذ طلب هو وأم كلثوم مقابلته ، وبعد المقابلة خرجا مسرورين ليعلنا تأييدهما الكامل للثورة وأهدافها .

قال عبد الناصر لعبد الوهاب : اننى سعيد أن أراك رأى العين وكنت أواظب على سماعك ومشاهدتك على خشبة مسرح رمسيس فى الحفلات التى كنت تقيمها كل شهر على ما أظن !



وسامان لأم كلثوم وعبد الوهاب من عبد الناصر

وضحك وهو مستمر فى مخاطبة عبد الوهاب : بس ثمن التذكرة كان غالى علينا شوية يا أستاذ محمد .

وقال له عبد الوهاب : أصل متعهد حفلاتى يا ريس كان طماع شوية .

وطلب منه جمال عبد الناصر أن يغنى فى عيد الثورة فى سلاح الفرسان عام ١٩٥٤ ، ورغم قراره القديم بعدم الغناء فى الحفلات ، فقد قبل ذلك مشاركة منه فى ذلك العيد الوطنى .

وظل عبد الناصر فى هذه الحفلة يصفق لعبد الوهاب بحرارة أثناء وصلته الغنائية « كل ده كان ليه » وكثيرا ما كان يبدى إستحسانه بين المقاطع بكلمات « الله . الله »وعندما انتهى من الغناء ذهب عبد الوهاب ليسلم عليه فقبله قائد الثورة وهو يقول يا محمد أنت رجعتنى لشبابى ، وقال له عبد الوهاب وهو فى قمة سعادته : يا ريس إنت لسه شباب .

ثم غنى عقب ذلك لجمهور الشارع وفى ميدان عابدين أمام عشرات الألوف من كل طبقات الشعب نشيد « ناصر . . كلنا بنحبك ناصر » ، وألقى هذا النشيد فى ميدان عابدين ، وكان « الكورس » هو الشعب كله مجتمعا فى الميدان .

وإزدادت علاقة عبد الوهاب بالثورة ، وشارك فى الغناء لبداية التصنيع والمصانع الحربية والجيل الصاعد وغيرها ، إلى أن حدثت النكسة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وكان عبد الوهاب وقت النكسة فى بيروت ، وكنت أنا كذلك هناك على مقربة منه .

وقد رأيت عبد الوهاب فى حالة من الهلع عندما سمع بهزيمة الجيش خاصة أن كبار الصحفيين اللبنانيين كانوا يكثرون أمامه من سرد وقائع غير صحيحة عما يحدث فى القاهرة وفى مصر كلها .

وكانوا سامحهم الله شامتين !

كان عبد الوهاب فى فندق « المارتينيز » يقيم فى جناح أنيق . وكنت أسكن فى إحدى غرف الفندق .

وعندما تصدت قواتنا البحرية للعدو وقامت بتدمير الباخرة « إيلات » الإسرائيلية أتصل بى عبد الوهاب وطلب منى أن أصعد إليه لأمر هام جداً !

ووجدته فى حالة من الذعر لاتوصف ، كان يرتجف ويمشى حول نفسه ، وكان فى الحجرة الأستاذ سعيد فريحة صاحب جريدة الأنوار اللبنانية .

وبادرنى بقوله سمعت حكاية إيلات يا لطفى ؟

وقلت له : طبعاً ، وهى ضربة ترفع معنويات مصر .

وسألنى وإيه صدى الحكاية دى فى مصر ؟

وقبل أن أجيب قال سعيد فريحة ، رحمه الله : طبعاً الصدى

معروف يا أستاذ . سوف ينتقم اليهود ويدخلون مصر ويبهدلون كل مكان فيهـــا ؟! ..

وقلت لن يجرؤ اليهود على السير خطوة واحدة داخل مصـر ، ربما يحاولون الاشتباك مع البحرية المصرية ولا أكثر من هذا !

وارتاح عبد الوهاب لهذه الإجابة وقال : لو دخلوا حى باب الشعرية لدفنهم أهل باب الشعرية فى الشوارع والبيوت . . مصر مش سايبة يا أستاذ سعيد .

وعاد يسألنى : طيب والرئيس جمال راح يعمل إيه ؟!

ولم يتلق أجابة عن هذا السؤال : لأن الأجابة كانت وقتئذ فى ضمير الغيب ؟!

وظلت علاقة عبد الوهاب بعبد الناصر مستمرة عقب النكسة ، وكان يرى دائما أن مصر قادرة على تضميد جراحها والصمود من جديد .

وعندمارحل عبد الناصر وتولى الحكم نائبه الرئيس أنور السادات رافعاً شعار العلم والإيمان ، غنى عبد الوهاب لصالح جودت « حنكمل المشوار »

وطلب منه السادات أن يستبدل النشيد الوطنى « والله زمان يا سلاحى » بنشيد « بلادى . . بلادى » لسيد درويش بعد إعداده قبل زيارة الرئيس الأمريكى كارتر للقاهرة .

وأذكر أن عبد الوهاب قادنى إلى حجرة نومه وقال لى : راح أسمعك حاجة بس أحلف ما تقولش لحد أبداً أنك سمعت حاجة . . وحلفت له وإذا به يسمعنى من شريط كاسيت . . نشيد « بلادى . . . بلادى » فى ثوبه الجديد . وعلمت بعدها أنه صحب إلى حجرة نومه إكثر من صديق وأخذ منهم نفس الوعد وأسمعهم ما سمعته !

وقد قاد عبد الوهاب فرقة موسيقى القوات المسلحة وهو يرتدى بذلة اللواء عندما عزفت النشيد للمرة الأولى بعد عودة السادات من "كامب ديفيد" .

ثم كان أن طلب السادات من الشاعر الغنائى حسين السيد الذى كان على صلة قوية به ، أن يسمع من عبد الوهاب ألحانا جديدة فى الوطنيات . . وقد كان . .

ورحل السادات وجاء حكم الرئيس محمد حسنى مبارك الذى قال عنه فى الحفل الذى أقيم له فى قاعة " ألبرت هول " : إنه رجل إنتاج ، يعرف أن كل عيوبنا عيوب إنتاجية .

وقد قال لى مرة إن الرئيس مبارك يحب الاستماع إلى أغانيه كلما أتيحت له الظروف .

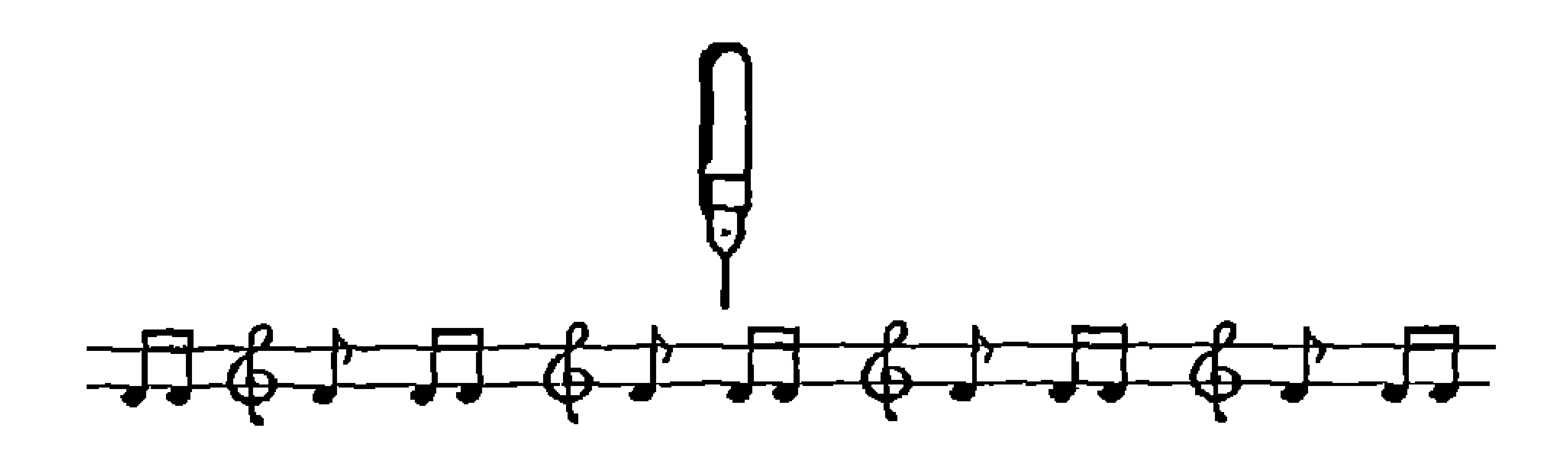
وقال لى مرة أخرى : زرت مبارك . . إنه رئيس ذكى ، وطنى يحب بلاده إلى أقصى الحدود .

وقد نال عبد الوهاب فى عهدى السادات ومبارك أكثر من وسام ، غير أن الوسام الأخير كان له وقع كبير فى نفس الشعب المصرى كله ، عندما أمر مبارك بأن تشيع جنازة عبد الوهاب رسميا وعسكريا وشعبياً .



عبـــد الوهـاب يصـافح أم كلثوم
شـــاكرا لهـــا تلبيـــة الدعـــوة .

المطربون والملحنون والشعراء فى رأيه !



كثيراً ما كان عبد الوهاب يهرب عندما أسأله عن رأيه في المطربين والمطربات والملحنين ، رغم أنه كان « السميع » الممتاز لكل مطرب !

سألته يوماً عن أم كلثوم ما رأيه فيها وفي صوتها وأدائها فتنهد وقال :

أم كلثوم تعتبر الاحترام صفة لازمة لها ، وكان سلوكها محل تفكيرها ، أى كانت تفكر في كل تصرف لها ، كانت تعرف متى تتكلم ومتى تنصت ومتى تسكت ، وكانت تحترم فنها ، تحترم صوتها وتحترم كلمات الأغنية التى تشدو بها واللحن الذى صاغ الكلمات ، ثم هى أولا وأخيراً تحترم جمهورها وتطلب منه أن يحترم أداءها ووقفتها أمامه .

أم كلثوم مطربة نقلت الفن من مرحلة الأداء إلى الفن الراقى ، فن الفكر ، وهى التى أضفت على الأغنية صفة الاحترام .

وقال : إن محمد القصبجى هو صاحب الفضل الأول فيما وصلت إليه أم كلثوم ، فليس أنا أو غيرى من رفعها إلى المستوى الكبير الذى وصلت لقمته ، بل هو محمد القصبجى الذى خلع عنها العقال وألبسها ثوب العصر ، ثوب القاهرة !

وعندما سألته : هل كانت بينكما منافسة ؟!

قال : طبعاً .. كانت المنافسة على أشدها عندما كنت أغنى سواء فى الراديو أو فى الحفلات ، لأننى كنت معروفا للجماهير فى القاهرة والعواصم قبل أن يعرف أهل القاهرة أم كلثوم ، كانت فى ذلك الوقت معروفة فى الدساكر والقرى وبعض عواصم الوجه البحرى ، وكل هذا لم يكن ينافسنى فى الذيوع والانتشار الذى كنت أتمتع به فى القاهرة مثلا ، وقد انتهت المنافسة بيننا عندما توقفت أنا عن الغناء وأصبحت هى العلم الفرد فى الساحة .

وقال : إن الفرق بينى وبين أم كلثوم من الناحية الفنية هو أننى موسيقى وملحن ومطرب .. أى لى أكثر من صفة ، أما هى فمطربة ولهذا كان التنافس فى البداية فى غير صالحها لأننى ألحن وهى تغنى ويتوقف نجاحها إلى حد كبير على إجتهاد الملحن ، مع الأيام ألغت وجود المؤلف والملحن بتفردها المذهل فى الصوت والأداء ، فهى صوت لا يعوض وشخصية فنية محترمة لا تعوض .

وعندما سألته فى إحدى المناسبات عن عبد الحليم حافظ ، قال: طبعاً سمعت الكثير ممن روجوا شائعة تقول اننى لم أكن متحمساً لظهور عبد الحليم كمطرب ، ولعل الهدف الأول لهذه الشائعة هو إبعادى عن عبد الحليم حتى لا يستفيد من نصائحى وإرشاداتى التى كنت ازوده بها ليصبح مطرباً له شأنه كما حدث له فعلاً . قالوا هذا رغم أن الوقائع والمستندات فى الإذاعة تقول

إننى أنا الذى اعتمدت عبد الحليم حافظ كمطرب ، فلم يكن فى اللجنة التى إعتمدت صوته إلا أنا وحافظ عبد الوهاب لأنه أيامها كان فى اللجنة أم كلثوم ومحمد القصبجى فلم يحضرا . وقد سمعت عبد الحليم وهو يغنى « يا حلو يا أسمر » وأعجبتنى الأغنية لحناً وأداء ، ومن يومها وعبد الحليم يعيش فى حياتى كصديق وزميل وأخ . وقد تركت له حرية العمل ، مع محمد الموجى وكمال الطويل حتى إذا أخذا راحة من تلحين أغانيه كنت أمده ببعض ألحانى !

وقال عبد الوهاب : إن عبد الحليم مطرب ناجح ، استأثر بقلوب كل من سمعوه فى مصر وخارج مصر لأنه كان فناناً ملتزماً يحترم نفسه وفنه ويتحرك دائماً فى الاتجاه السليم ، ولهذا فشل الحاسدون فى وقف تقدمه الفنى وتحولوا إلى مهادنين أو أصدقاء له بمضى الوقت !

أما عبد الغنى السيد فى رأى عبد الوهاب : فإنه يملك أحلى صوت يمكن للأذن أن تستقبله ، ولكنه يخفى فى طيات جمال الصوت الإحساس بالكلام الذى يغنيه ، إن صوته كالمرأة الجميلة جداً التى لاتشعر بأهمية جمالها ، وقد كان عبد الغنى السيد منافساً لى فى وقت ما ، وخاصة عند الحسان !

وقال إنه يعتبر محمد الكحلاوى من أعمق الأصوات التى ترتل الجمل الدينية ، وهو أيضاً ملحن دينى ممتاز ، ولو امتد به العمر

لتربع على عرش هذا اللون من الغناء بلا منافس ، صوتا ولحناً وأداءً .

ولما سألته عن محمد قنديل قال : الصوت القوى السليم الذى يصلح لأداء كل الألحان ، وهو فنان مجتهد إحتفظ بقوة وحلاوة صوته رغم الأعاصير التى هبت عليه من أكثر من جهة ، فقد صمد وظل هو ومحمد عبد المطلب من أحسن الأصوات فى الساحة الغنائية ، فهما بلا منافس حتى الآن !

وقال عن فريد الأطرش : صديقى وزميلى ، دخل الإذاعة حاملا لحنى أنا لتقبله مطرباً بعد أن غنى أمام اللجنة المختصة بعض أغنياتى ، ثم اجتهد وعالج صوته لينوّع الأداء حتى أصبح مطرباً له سماته الخاصة التى جمعت له جماهير كبيرة فى مصر والبلاد العربية ، ولكن أصدقاء السوء ادخلوا فى روعه انه يجب أن يكون هو القمة وألا يشاركه أحد فى هذه القمة ألحاناً وأداءً وصوتاً .. ولأنه كان طيب القلب فقد ترك أذنه تستمع إلى هذا الخبيث من الكلام ولكن سرعان مانبذ هذا الكلام لأنه رجل كبير ومحترم ومشهود له بالتجديد والالتزام ، واعتقد أنه تقاسم مع عبد الحليم محبة الجماهير مناصفة على الرغم من أن نشاط شباب محبى عبد الحليم قد أضفى عليه ظاهريا شعبية أكبر !

أما المطربة وردة فهى – فى نظره –فعلاً وردة ، ولكن فى يد من يحافظ عليها ويسقيها بما يكفيها من ألحان ذات طابع خاص بصوتها .. وقال إنه لحن لها أكثر من أغنية طويلة وأكثر من أغنية قصيرة وهى فى الحالتين ممتازة ، وعندما تسمع وترى تجاوب الجمهور معها تزداد تألقاً وعمقاً وتعطى أكثر مما يتوقع الملحن منها ، ولكن فيها عيب واحد قد يضعف من قدر نجاحها كمطربة ، هذا العيب هو المجاملة ، إنها فى بعض الأحيان تجامل المؤلف والملحن فتقبل كلامادون المستوى وتردد لحنا غير مطابق لصوتها أو غير مستساغ عند جماهيرها ، وأنا أقول لها : لا تلجأى الى المجاملة مهما كانت الظروف ..

ويقول عبد الوهاب عن المطربة فايزة : أجمل صوت هبط على مصر من خارجها ، وكان يسعدنى كلما جال خاطر بذهنى وانبثق عنه لحن ، أن أهديه لها فهى خير من يؤدى ألحانى من المطربات لأن صوتها والخلفية الموسيقية التى تتمتع بها يمكن إستخدامها مع اللحن فى إطراب النـاس ، ولكنها – مع الأسف – « لحوحة » ومتسرعة وتغضب عندما لا تجد من يسعفها بلحن من الألحان !

أما نجاة فقد كان صديقى فكرى أباظة باشا رئيس تحرير « المصور »أول من حرض بقلمه وإستخدم نفوذه لوقف النزيف

الإنسانى الذى كانت تتعرض له هذه الطفلة النحيلة وهى تغنى أدوار أم كلثوم فى الحفلات والليالى الساهرة ، وقد وجدت فيها وهى طفلة خامة رائعة سيكون لها شأن فى دنيا الطرب ، وفعلاً صدق حدسى ، ولحنت لها أدواراً صعبة لا يمكن لغيرها أن تؤديها بمثل هذا النجاح ، فهى - فى رأيى - ذات صوت حالم وأحلى أغانيها الكلام الحالم !

وقال لى عبد الوهاب : لقد تعاملت مع اسمهان ، ولكن تعاملى معها لم يدم طويلاً ، لأنها رحمها الله إنتقلت فجأة الى العالم الآخر واعتبر صوتها أغلى وأحلى صوت ارستقراطى شدا فى مصر !

وعندما يتحدث عن فيروز فإنه يقول : مطربة لبنانية لها صوت من السماء .. ملائكى .. أحبه أهل الشام وأحببناه هنا فى مصر ، وهى سيدة الغناء العربى ، قصير المقاطع ، فهى لا تقوى على الصمود أمام الجمهور ساعة أو ساعتين فى وصلة واحدة أو فى أغنية واحدة وصوتها لا يسعفها على هذا حتى لو أرادت ، ولكن حلاوة صوتها حلاوة مركزة ، وهى تشدو أغانيها القصيرة ، الممتدة المفعول فى عقول المستمعين !

وماذا عن الملحنين ؟

وكان عبد الوهاب لا يحب الحديث عن الملحنين ، ويرى أن لكل منهم لونا لاينافسه فيه الآخر .

ومن الملحنين الذين عاصروا عبد الوهاب برز منهم محمد القصبجي وزكريا أحمد والسنباطي وأحمد صدقي ومحمود الشريف .

وكان يقول عن السنباطي بالذات : ملحن يعكس روحنا الشرقية ، فهو رصين الجملة ، يجبر المستمع على إحترام ما يقدمه ، وهو كمطرب له نبرة جميلة تطرب أكثر من كثير من مطربينا .

ومع تألق نجم الغناء عبد الحليم حافظ ، برز محمد الموجي وكمال الطويل ومنير مراد وبليغ حمدي ، وكانوا جميعاً - بصراحة - فرسان رهان في حلبة عبد الحليم !

وقد كثر الكلام حول ألحان هؤلاء جميعاً ، وهل وصلت أعمالهم إلى مستوى ألحان عبد الوهاب ، بل وهناك من ذهب إلى حد القول إن ألحان عبد الوهاب تقلصت أمام الألحان الجديدة التي غناها عبد الحليم لهذا الفريق !

إلا أن فـارس الحلبـة فى ذلك الوقت « عـبـد الحليم » قطع محـاولات النيل من قمة عبد الوهاب عندما جلس أمام عدسات التليفزيون ليسأله سمير صبرى عن أصحاب هذا الرأى فقال :

لو كـان أمـامنا مـيـزان دقـيق ، ووضـعنا كل هؤلاء الملحنين وإنتاجهم معى ومع غيرى فى كفة ، ووضعنا محمد عبد الوهاب فى الكفة الأخرى ، لرجحت كفة أستاذى عبد الوهاب أمام الكفة التى تحمل هؤلاء منذ بداية تاريخهم !

وقال : إننى لا أسمح بوضع أدنى مقارنة بين عبد الوهاب وأى فنان غيره ، فعبد الوهاب فلتة لن يجود بها الدهر .

رأيه فى الشعراء والنقاد

وكان عبد الوهاب يقول لى عندما يقرأ الدهشة على وجهى وأنا أسمعه ينطق الشعر نطقاً سليماً على الرغم من أنه لم يتلق أى قدر من الثقافة فى مستهل حياته :

لقد أرضعنى أستاذى شوقى باشا الشعر قراءة وإلقاءً وتذوقاً، وأمتدت صلتي بالشعر والشعراء بعد ذلك بحافظ إبراهيم فقد جالست شاعر النيل الذى كان يكتفى بالقاء الطرائف والملح أمامى وكانت كالقطايف المحلاّة بالمكسرات ، ولهذا لم أستفد من شعره إلا أقل القليل . كذلك جالست أحمد رامى أكثر من عشرين عاما .

وعاتبته عندما أستاذن من سيدة الغناء أم كلثوم أن يؤلف أغانى أول أفلامى ، فقد قالت له أم كلثوم – وقتها – أنت حر فى شعرك وأزجالك !

أما محمود حسن إسماعيل فهو شاعر طالما ذكرّنى بفحولة أمير الشعراء ، فقد جالسته عشرات المرات وكان عنيداً ، شديد المراس ، عندما أطلب إليه أى تعديل طفيف فى أغنية ألحنها وأغنيها يتردد كثيراً وهو يقول : أتركنى أفكر فى التعديل الذى تطلبه .. ويتركنى أياماً طويلة .. ثم يقوم بالتعديل المطلوب !

وبالنسبة لعلى محمود طه فقد كان طيعاً ..لطيفا ..ابن بلد .. يشعرنى بأنه سعيد لأننى اخترت بعض إنتاجه لألحنه وأغنيه ، وكان يقول لقد أصبحت مشهوراً بين عامة الشعب لأنك تذكر إسمى كمؤلف للأغانى التى تشدو بها !

وقد حاولت أن أبث فى صديقي الدكتور مصطفى محمود الرغبة ليؤلف لى ولكنه كان يعتذر قائلا : دى مش مهنتى .. أنا قصصى وكاتب مقال ولا أحب أن أضيف صفات جديدة إلى إسمى ، ولهذا لم أحظ منه بأغنية واحدة على الرغم من اننى كنت وما زلت مقتنعاً تمــاماً بأنه قادر على تأليف أرق وأعــذب كلمات تلحن ثم تشدو بها المــــلايين .

وكان عبد الوهاب يرى أنه كما يستفيد من روائع مؤلفى الأغانى والقصائد فإن هؤلاء المؤلفين يستفيدون منه أيضاً وأن العشرات

من الشعراء ومؤلفى الأغانى ما كانوا يصبحون ملء السمع والبصر

إلا بعد أن غني لهم عبد الوهاب ، وقصته مع مؤلف الأغانى حسين السيد خير شاهد على هذه الرؤية ، فحسين السيد مثلا أصبح بين عشيه وضحاها أشهر مؤلف اغانى بعد أن غنى له عبد الوهاب « إجرى .. إجرى » !

والمعروف أن أى مؤلف أغانى يبدأ فى التأليف لصغار المطربين ثم يتدرج إلى أن يصل إلى قمم المطربين ، ولكن حسين السيد بدأ بالقمة ثم طرق بابه عشرات من المطربين والمطربات ، وأصبح أشهر مؤلف أغانٍ لأن عبد الوهاب غنى له بل ووضعه فى الصف الأول من مؤلفى أغانيه . حتى أطلقوا عليه : المؤلف الملاكى لعبد الوهاب !

وكان عبد الوهاب من أشد المعجبين بعقلية حسين السيد وحسن تصرفه وكان عندما يسمعه لحناً ويقول له : فصّل لى كلام حلو وصادق على هذا اللحن يسرع ليؤلف كلمات الأغنية على مقاس لحن عبد الوهاب فى نفس الجلسة أو فى نفس اليوم ، ثم يبدأ النقاش بينهما حتى تستوى الكلمات فى ذهن وعقل عبد الوهاب ويرضى عنها وهكذا !

وكان الموسيقار الكبير ذواقة للشعر والنثر معاً ، وكان يحفظ بعض الجمل النثرية التى تروق له من بعض الكتاب ، وكان يحفظ

مثلاً الكثير من جمل وكلمات الصحفى الكبير محمد التابعى الذى ظل وثيق الصلة به حتى مات .

كان عبد الوهاب يخاف النقد والنقاد ، وكان لا يقرأ ما يكتب عنه من نقد بل يترك هذا لأحد من أصدقائه حتى يخفف عنه مرارة الكلمات الناقدة .

وقد رأى بعد حملات النقد التى صاحبت ظهوره كظاهرة فريدة فى الحقل الفنى ، أن يصادق النقاد وأن يداوم على إظهار إمتنانه لهم على كل ما يكتبونه ، مما جعل كل الأقلام تقريباً تثنى عليه وعلى ألحانه وصوته وحسن اختياره للكلمات التى يغنيها ، وكان هو فعلا شديد الحرص على كل كلمة ينطق بها لحناً ألا تخرج عن قواعد الآداب ، ولهذا فقد ترك عبد الوهاب مئات الأغانى وليس بها كلمة تخدش الشعور أو الحياء !

حتى فى مستهل حياته الفنية عندما توطدت أواصر الصداقة مع الدبلوماسى السفير على عبد المجيد ، كان يطلب إليه أن تكون الكلمات تحتوى على الحب الطاهر والسمو بالحب بين العاشقين ، وكثيرا ما كان عبد الوهاب يكمل بعض الجمل فى أغنية ما ، ويقول للمؤلف : كده أحسن والا إيه رأيك ؟! وتكون إجابة المؤلف طبعاً أحسن ألف مرة من كلماتى !

ولعل « أنا والعذاب وهواك » خير نموذج لذلك ، فقد حضرت مولدها ، وتدخل عبد الوهاب فى كل صغيرة وكبيرة من كلماتها !

وفى فترة من الفترات أصبح حسين السيد مستشاره الثقافى الذى يوحى إليه بقصائد منشورة فى الصحف وفى بطون دواوين الشعر ، فهو الذى أرشده إلى الجندول والكرنك وكليوبترا !

وكان يأتى باستمرار العشرات من الشعراء إلى مجلس عبد الوهاب ليستمع منهم ويختار ، وأثناء تلك اللقاءات تعرف على الشاعر الرقيق المهذب صالح جودت وأهداه العديد من القصائد .

وخلال أسفار عبد الوهاب إلى البلاد العربية كان الشعراء يتسابقون إلى مجلسه ليغنى أشعارهم ، كما تعرف بالشاعر السورى نزار قبانى الذى أهداه بعض القصائد التى غناها وغنتها المطربة نجاة .

أما الشاعر الفحل مرسى جميل عزيز فقد تعرف عليه عبد الوهاب من عبد الحليم وكمال الطويل فصار يتردد عليه كلما اختار عبد الحليم كلمات أغنية يلحنها عبد الوهاب ثم انضم إلى مجالس عبد الوهاب الفنية وأصبح عضوا فيها .

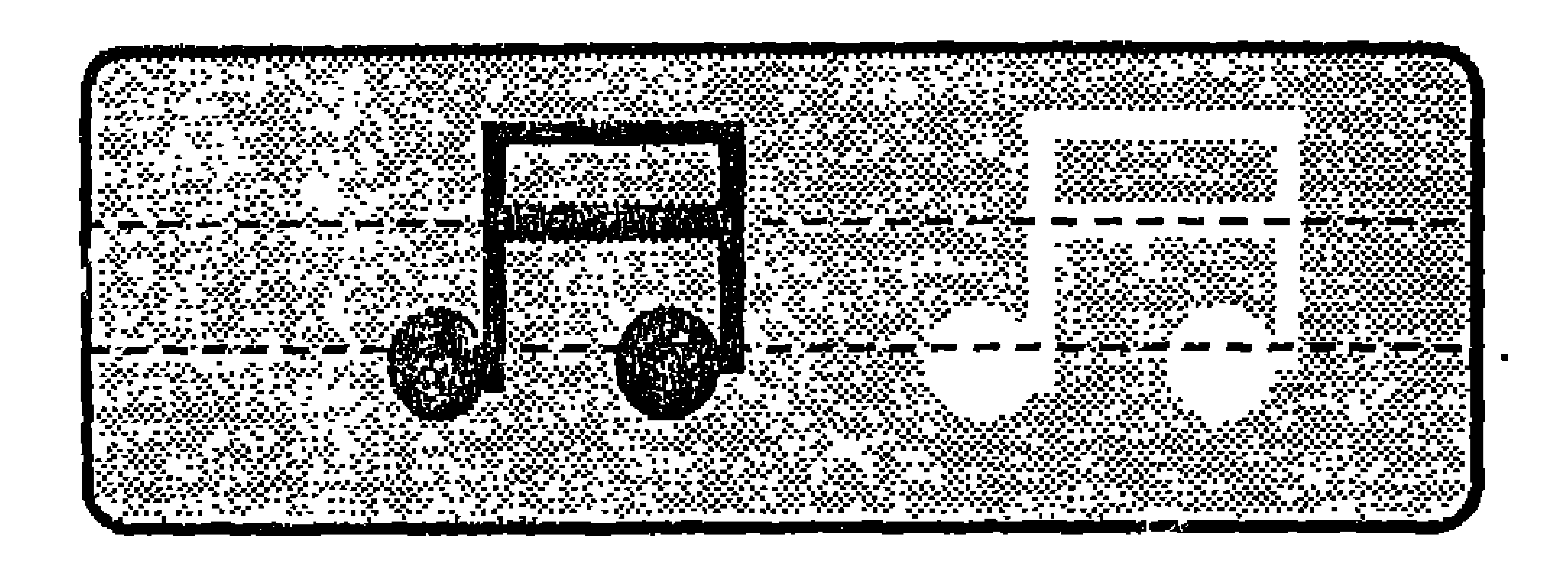
والخلاصة أن عبد الوهاب لم يلحن فى حياته جملة ساقطة ، وكان يقول دائما : إن اللحن نفسه لا يكتمل أبدا ويظل بلا نهاية حتى أزيح عن طريقه الجملة غير الواردة فى القاموس الفنى !



أحمد أصغر أنجال الأستاذ محمد عبد الوهاب
يرقص على نغمـــــات البيـــــانو...

الصحة والمرأة

في حياته





ليالى رمضان فى منزل محمد عبد الوهاب

الحديث عن الجوانب المتعـــددة فى حيـاة عبـــد الوهاب نبع لا ينضب .

إلا أن هناك زوايا هامة ارتبطت باسم الفنان طوال تاريخه.

يأتى فى مـقدمـتهـا « صـحـتـه » وخوفـه الشديد من الأمـراض، وتعلقـه بالطب والأطبـاء ، حـتى أنه كـان يحـرص على أن يكون كل أصدقائه من مشاهيرهم !

وكان أول من عرضه على أحد الأطبـاء المشهورين هو الشاعر أحمد شوقى .

وقال هذا الطبيب لشوقى بعد أن كشف عليه : هذا الولد إن لم يجـد عناية فـائقـة فى الغـداء ، فلن تستـمـر حياته فى طريقـهـا الطبيعى !

وكان أن طلب أمير الشعراء من الشاب الضامر النحيل أن يهتم بمأكله وقرر أن يخصص له مقعدا فى حـجرة الطعام ليشاركه طعام الغداء كل يوم !

ومن هنا بدأت حكاية عبـدالوهـاب « الأكـول » تظـهـر وتنتـشـر، وطبعا لم يعرف الناس وقتها أنه كان قد تحول إلى « أكول » كعلاج وليس من أجل المتعة بمذاق الطعام .

وبمضى الوقت أصبح عبد الوهاب شابا يلتـهم كل ما هو دسم

وملىء بالسعر الحرارى ، ولازمته هذه الصفة حتى بلغ الأربعين من عمره فتوقف عن التهام كل ما يراه على المائدة وبدأ يعمل ألف حساب دقيق لنوع وكمية ما يأكله !

لقد بدأ محمد عبدالوهاب فى وضع نظام خاص لمأكله ومشربه ، وكان أول ما يحرص عليه هوتحديد وقت لتناول الوجبة الرئيسية (الغداء) .

لقد حدد موعد تلك الوجبة فى الثالثة بعد الظهر مهما كانت ارتباطاته الاجتماعية أو الفنية !

وحرص على أن تكون على المائدة بعض المشويات وخاصة اللحم المفروم - الكفتة - ثم البفتيك ، وقد وضع له قائمة أصناف الطعام طبيب من اصدقائه المتخصصين .

وحرص عبدالوهاب على ألا يدخل إلى امعائه أى نوع من الكحولات مهما كانت نسبته ضيلة ، وكذلك لم يقترب من السيجارة طوال حياته ، وكان يتضايق ممن يدخنون فى مجلسه ، ويبدى تذمره بتحريك يده وكأنه يطرد الدخان المنبعث من السجاير، ولكنه لفرط أدبه الاجتماعي كان لايحرم على جلسائه شرب السجاير، وعندما ضبط زوجته تشعل سيجارة على سبيل الدلع نهرها بقسوة وقال لها : أهو ده اللى ناقص !

وكان عبدالوهاب يلبى أى طلب من اصدقائه الخلصاء لتناول الطعام فى منازلهم وخاصة طعام العشاء ، وكان إذا لم يجد صنفا

يريده على المائدة يسأل مضيفه هوه مفيش عندكم شواية والا آيه ؟!
أو « مسمعتوش على حاجة اسمها طاجن بامية فى الفرن » ؟!
وهكذا...

ولحرص عبدالوهاب على صحته ، كان كثير الاطلاع على كل ما هو جديد فى عالم الطب، ونجح عبدالوهاب فى احاطة صحته بأسوار عالية من التحصينات ضد المرض - أى مرض - حتى أبسطها كالانفلونزا مثلا !

ومع ذلك عاش حياته تنتابه الوساوس ، وكان من اكثر المترددين على الأطباء الكبار امثال سليمان عزمى باشا وعلى إبراهيم باشا وغيرهما ، وكانوا جميعا من أصدقاء أمير الشعراء أحمد شوقى بك وعندما رحل هؤلاء إلى العالم الآخر ، انتقلت صداقته إلى الجيل الذى تلاهم من كبار الأطباء حتى يومنا هذا .

وقد صادقه فى الخمسينات الطبيب المشهور حسن الحفناوى ، وكان متخصصا فى الأمراض الجلدية والتناسلية فكان هو مستشاره الطبى وتخصص فى اعطائه الحقن وبعض المقويات اللازمة ، ثم تزوج الدكتور الحفناوى من السيدة أم كلثوم وإنقطعت صلته به !

وكان عبدالوهاب ينفر من كلمة « الموت » ولايحب أن يرددها أحد أمامه ، حتى أنه يرفض كلام أية أغنية فيها كلمة الموت سواء ظاهرة أو سافرة فى سياق المعنى !

كذلك كان يتألم معنويا إلى اقصى حدود الألم عندما يسمع خبر وفاة أحد أصدقائه ولكنه يسأل مدفوعا بعقله الباطن عن كيفية الوفاة وما نوع مرضه ثم يعيش مهموما وهو يتفحص ممتحنا نفسه ليطرد بادرة تطوف بذهنه انه ربما كانت هذه الأعراض كامنة فيه هو الآخر ، وسرعان ما يتصل بالأطباء طالبا فحص حالته وهكذا !

ولقد وصلت الوسوسة بعبدالوهاب إلى حد أن تسلطت عليه فكرة أن صوته قد ينحبس خلال غنائه أمام أجهزة التسجيل لهذا كان يكثر من امتحان صوته بين كل فقرة وأخرى ، وهو ما تسمعه فى اغانيه من نحنحه خافتة متكررة !

وقد قال لى مرة : أخاف أن يهرب صوتى فجأة، لهذا أحاول أن أطمئن عليه بهذه الطريقة !

وعبدالوهاب أكثر الفنانين اقتناء لكتب الطب وأحدث ما تخرجه المطابع من كتب فى هذا المجال ، ولذلك فهو على علم تام بتخصصات الأطباء فى مصر والخارج وعنده قائمة بأسمائهم !

وكان عبدالوهاب على صلة وثيقة بعميد المسرح العربى يوسف وهبى ، وكانت مناقشاته معه تدور حول ما يقرأه يوسف وهبى - الذى كان يجيد ثلاث لغات أوروبية - فى كتب الطب ، وكان يوسف وهبى كثير الأسفار إلى الخارج والاجتماع والاستماع للأطباء المصريين والأجانب فى البلاد التى يزورها .

وانتشرت وقتئذ تشنيعة يوسف وهبى التى أطلقها على وسوسة عبدالوهاب عندما قال له : إياك أن ترد على مكالمة تليفونية الا إذا تأكدت من أن المتحدث خالٍ من الانفلونزا لأنها تنتقل عبر سماعة التليفون ، وإذا كانت المكالمة ضرورية فلا أقل من الاحتياط بأن تضع منديلا على أنفك وفمك خلال المحادثة !

والمعروف عن عبدالوهاب أنه من أكثر الآباء حنانا وحبا للاولاد ، ورغم ذلك فأثناء طفولتهم كان يحبس نفسه فى حجرة نومه عندما يعلم بأن أحدهم عنده برد أو أنفلونزا ، وكانت همزة الوصل بين الإبن المريض وبينه هى مربية الاولاد التى يصر على أن تكون مستوفاة للشروط الصحية ، وخالية من أية أمراض أو حتى عندها استعداد للإصابة باى مرض مستقبلا !

وقد استطاع محمد عبدالوهاب أن يحتفظ برشاقة قوامه على الرغم من تقدم السن لأنه – كما قال – مطيع إلى حد الخضوع لتعليمات الأطباء ، فقد نصحوه بأن يمشى لمدة ساعة على الأقل يوميا ، ولما كان لا يستطيع المشى فى الشوارع فقد استعاض عن الشارع بردهات شقته إذ قام بقياس طولها ورأى أن يقطعها ذهابا وجيئة ثلاثين مرة لتكتمل الساعة التى أشار بها الأطباء ، فتراه يمشى فى الردهة وهو يعد .. واحد .. اثنين حتى ثلاثين !

كذلك قال له الأطباء لا تبتلع اللحوم .. أمضغها فقط ثم ألفظها لأن نسيج اللحوم يسبب متاعب للأمعاء والمعدة ، ولذلك وبلا أى حرج

وأمام الجالسين على المائدة معه ، كان يمضغ اللحم ثم يخرجه على الملعقة ويكومه فى طبق أمامه !

وقال له الأطباء ، لا تجلس مع مدخنى السجاير ، لهذا فهو بلطف وظرف شديدين يقول لكل من يجلس معه : علشان خاطرى بلاش السجاير دلوقتى !

وعبدالوهاب لم يشرب ماء مثلجا أو يأكل أيس كريم منذ كان فى الاربعين من عمره !

وهو لم يرتد الا الملابس الصوفية الداخلية صيفا وشتاء ولكنه يخفف منها فى الصيف فقط وبحرص شديد وبعد استشارة أطبائه !

وحدث أن أحس بألم فى رقبته فأشار عليه طبيب الروماتيزم بأن العلاج الشافى والوحيد ربما لايلائمه ، وسأله عبدالوهاب : ايه هوه فى عرضك ؟! فقال : أن تضع رقبة بلاستيك لمدة ثلاثة شهور ، ورضخ عبدالوهاب وظلت الرقبة البلاستيك تلازمه وبلا تأفف أو احتجاج !

وأشار عليه الأطباء مرة أن يكثر من تناول الخضراوات الطازجة ولكن الوسوسة أجبرته على أن يغسلها ويطهرها بأكثر من مطهر ، ولهذا كان ينقع الجرجير والبقدونس فى محلول مطهر ساعة كاملة قبل أن يراهما أمامه على المائدة !

ونصحه بعض الأطباء أن يسف ملعقة من الرده على الغداء ، ومنذ تلك النصيحة ظل مواظبا على تناول الردة حتى جاءه الأجل المحتوم !

المرأة فى حياته

وقد لعبت المرأة فى حياة عبدالوهاب ادوارا كثيرة منذ ذاع صيته فى المحافل الفنية .

يقول محمد عبد الوهاب عن هذه الحقبة من حياته : كان المجتمع متعطشا إلى الفن الحديث وإلى وجوه فنية لامعة ، وقد ظهرت مع يوسف بك وهبى فى وقت واحد تقريبا ، وكان يوسف بك يتمتع بالارستقراطية فهو ابن باشا وتلقى جزءا من تعليمه فى ايطاليا ، وكنت أنا اتمتع بحنان وعطف أعظم شعراء العربية أحمد شوقى بك إلا أننى أستطيع أن أقول بلا حرج أن حظ يوسف بك وهبى كان أسعد بكثير من حظى أنا مع المرأة ! ولكننى تزوجت بعد ذلك والحمد لله .

وعندما قلت للموسيقار الكبير أرجو أن تحدثنى عن المرأة وأنت زوج ؟!

قال : تزوجت عن حب ولم أتزوج عن تفاهم وظل الحب بلا



عبـد الوهاب بعد أن تكامل مجـده يحمل بين يديه إنتاجه
في موسـيقى الزوجيـة اللحن الجميـل « اشى اشى »

تفاهم حتى تغلب سوء التفاهم على الحب وقضى عليه فكان الانفصال ، ولا أريد أن أطيل فى هذه الحقبة من حياتى ولكننى أستطيع أن اصف لك حياتى حاليا مع زوجتى التى اخذتها عن حب وتفاهم .. فكانت سعادتى !

وقال : لعل أول مرة أحس فيها بالمرأة كانت نحو أمى ست الحبايب ، فهو الإحساس الوحيد الذى مازلت أرجو أن يكون احساسا دائما ، كنت أحس نحوها بما لا يستطيع القلم أن يصفه لأنه احساس قلبى وعاطفى ، يملأ كل الحواس ، فالأم فى تصورى هى الحب الوحيد الذى لا يشيخ ولا يصيبه الوهن .. هو الحب الذى يطرد السنين من حياة الإبن ليظل فى حضنها طفلا .. مهما أصبح رجلا أو شيخا ، فقد كنت أحس بأنى عندما أضع رأسى على صدرها باسترجاع طفولتى وأشعر بأننى مازلت فى حاجة إلى نصحها ورعايتها وارشادها وإلى أن أتعلم منها وأنهل من خبرتها ومن حكمتها ، وقبل كل شىء وبعد كل شىء من حنانها ، أما المرأة كزوجة فهذا شىء آخر !

فالمرأة كزوجة بصفة عامة هى حواء التى اشاركها جميع اشكال الحب وانواعه عاطفيا وجسديا ، ولهذا يجب أن تتحلى باحساس مرهف يصلح لمزاملة ومؤاخاة ومعاشرة الفنان ، يجب أن تحس متى أحب أن أراها بجانبى .. أجاذبها الحديث .. أناغشها .. ادلعها وأجلسها على ركبتى ..

فزوجة الفنان يجب أن تتميز بهذه الحساسية وبهذه الخاصية !

وقال : زوجتى نهلة القدسى تحس - حتى قبل أن أحس أنا - باننى مقبل على استقبال خاطر ما، خاطر قد يفيدنى فى عملى كفنان وقد يزيد رصيدى من محبة الناس وتقديرهم لفنى وعملى ، فاراها تهيىء لى المناخ الذى يجب أن يسود لأستقبل فيه هذا الخاطر المنتظر وتتركنى وحدى لا حس .. لا حركة - لا تليفون ، كأننى فى كهف بمفردى !

ويجىء الخاطر وأستقبله وأفرح بمقدمه وأدندن ما جاء به .. وأهدأ .. ثم يذهب الخاطر.. وتجىء نهلة، تغسل هذا العناء الذى خلفه هذا الخاطر. كأننى كنت فى معاناة الولادة وتجلس الى باسمه هادئة ، حلوة الحديث لتقول ، الحمد لله على السلامة يامحمد .. فكرة مباركة ان شاء الله .

والحديث يا صديقى عن الحماة .. قد يكون شائكا لدى بعض الناس ولكن ليس شائكا بالنسبة لى ، وهكذا أقول إن الحماة إحدى اثنين .. حماة مدمرة كالسلاح الذى يحول بيت الزوجية إلى جحيم،، فيه أكداس من قنابل النابالم.. أو حماة كالطيف الهادىء كالنسيم.. كالبلسم الشافى .. كالورد الذى يبتسم للأسرة .. للزوجين .. ويحيل البيت إلى جنة وارفة بالحب والتفاهم .

والحماة عموما موضع خلاف منذ نشأة الخليقة ، وما اعتقده أنا فيها قد لا يوافق غيرى ، فهى على كل حال وكما قلت : نقمة

ونعمة ، والذى يحبه الله يهبه زوجة لها أم عاقلة تساعد ابنتها على فهم زوجها وتريح أعصاب ابنتها من ناحية زوجها وتقرب ما بينهما وتقتل الخلافات البسيطة - التى قد تنشب لا أن ترعاها وتشعلها بالوقود والنار وغليظ اللفظ .

وأنا فى النهاية .. سعيد بحماتى .. ودائما أمسك الخشب !!

أما الأولاد فهم اللوتارية .. فقد يهب الله أولادا يتمتعون بالصفات الحميدة ويبعدهم عن الانحراف والمهاوى التى ينزلق إليها الكثيرون من أولاد هذه الأيام . وإما أن يكونوا اولاد سوء ، فالمسألة بصراحة .. حظ .. ولكن هـذا لا يمنع من أن يكون للوالدين الدور الأكبر فى التنشئة والإعداد وأن يكونا القدوة لأولادهما فى كل التصرفات وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء .

ومن نفسى فقد تركت لأولادى حرية إختيار مصائرهم بعد أن تزودوا بأسلحة العلم والثقافة والدين والتربية المنزلية اللائقة باولاد محمد عبدالوهاب ، وأحب أن أقول إننى ما تمنيت فى حياتى أن يكون فى هذا الوجود من هم أفضل مني سوى أولادى .. وليتنى أرى واحدا منهم أوكلهم في وضع أفضل من وضعي . وقديما قالوا :

لا يحب الأب أن يرى من هم أحسن منه .. سوى اولاده .

والحمد لله .. فقد تربوا على التمسك بآداب الدين مع أخذ الحياة على أنها حياة للحب والمودة بين الناس ، وأود أن أشير هنا إلى أن أفضل ما يقدمه الأب لأولاده هو إشعارهم بأن الحياة

حب .. حب لكل شيء .. حب للحياة مع أنفسهم ومع الناس جميعا .. فبالحب يعيش الاولاد في حب .. والحب متعة من متع الحياة .

وقال محمد عبدالوهاب رأيه في المرأة « السميعة » التي تفضل أن تقضي بعض وقتها في سماع الموسيقى والغناء وهل هذه المرأة موجودة في مصر، فقال : إن أغلب النساء لا تتذوقن الموسيقى ولكن الصفوة منهن سميعات - ذواقات أكثر من الرجال ، وقد يكون من بينهن من هن أكثر احساسا وتذوقا من الرجال .. وزمان كن سميعات أكثر وكان اقبالهن علي إقتناء الجرامافون للسماع أكثر من الرجال ، وأنت اليوم ترى النساء في محافل الطرب والغناء ولكن معظمهن لا ينصتن ولكن يتحدثن عن أحسن نوع متبكر لطلاء الأظافر ، وأجمل تسريحة ظهرت بها نجمة السينما فلانة وفساتين « كارفن » هذا الصيف التي تكتسح كل موضات بيوت الأزياء الفرنسية والإيطالية !.

الحديث مع نهلة

وعندما طلبت من الموسيقار الكبير أن يسمح لي بالتحدث إلى زوجته السيدة نهلة القدسي قال على الفور : قطعا .. أنا رجل ديمقراطي وأترك لها حرية التحدث كما تريد وبالأسلوب الذي تريده هي .. حتى ولو كان الحديث ضدي .. ضد زوجها محمد عبد الوهاب .

وعندما هم بترك الحجرة التى كانت تجمعنا أنا وهو والزوجة .

قالت له : لماذا تتركنا يا محمد؟

قال : لكى أترك لك حرية الكلام كما يحلو لك.

قالت : ومنذ متى وأنت لا تترك لى الحرية فى أى مكان وفى أية مناسبة .. إجلس ياراجل ؟!

والحديث مع زوجة محمد عبدالوهاب ممتع ومثير ويتسم بالصراحة والغريب أن محمد عبدالوهاب الذى يحرص كل الحرص على كل صغيرة وكبيرة ، والذى يصل حرصه إلى حد الوسوسة الصحفية قررأن يترك لزوجته السيدة نهلة القدسى الحرية المطلقة فى أن تتحدث معى عن حياتها وحياته كما يحلو لها الحديث ..

قالت نهلة القدسى : لأننى تزوجت موسيقار الشرق العربى وأمام الملحنين فقد روضت نفسى على أن أتحلى بالصبر والمثابرة وأن أبذل فوق ما تبذله الزوجة العادية أضعاف ما هو مطلوب من زوجة أى رجل عادى لأن معايشة الزوج الفنان إذا كان فى مستوى عبد الوهاب ليست من المهام السهلة على كل زوجة !

وقالت : أنا بطبعى نظامية جدا .. أحب الدقة والترتيب والنظام وأحب أن يكون بيتى منسقا مرتبا يسر الناظرين .. وأكاد أصاب بذعر وغضب عندما أرى مقعدا ليس فى وضعه أو تزحرح عن موضعه ولو عدة سنتيمترات ..

ولكنى مع عبد الوهاب أنسى وأنسى .. مادام هو فى البيت .. نعم أنسى غضبى وضعفى لأن عبدالوهاب كفنان فوضوى تماما ، فهو فى سبيل فنه لامانع عنده من دربكة أثاث البيت أو فى التقليل بهدلة نظام البيت ، فهو كثير الزوار ويزوره عشرات من الموسيقيين ورجال الفن والأدب والفكر وهؤلاء يدخلون وغيرهم ينصرفون ، وهكذا طوال اليوم نهارا وليلا .. وحتى مطلع الفجر. وطبعا يتحول البيت إلى مرجلة وفوضى تجعلنى أكتم غيظى وأعاود التنظيم مرة كل ثلاث أو أربع ساعات يوميا ، وطبعا هو لا يحس بما أفعله ، وإذا أحس فليس فى يده أن يفعل شيئا .. لأنه غارق إلى شوشته فى فنه واستغراقه وانصاته لما يقال أمامه وما يسمعه من شتى ألوان الفن والأدب شعرا ونثرا .. ثم سياسة واقتصاد .. موسيقى وغناء وألوان من المتع الفنية التى يتسع لها صدره وأنا لا اكره هذا لأننى أعلم أن هذه طبيعة حياة زوجى .

وأنا مثلا لا أستطيع أن أرتبط بموعد لزيارة العائلات الصديقة أو أن أحدد موعدا لتزورنا عائلة صديقة، وذلك لأن زوجى متقلب .. موسوس .. يكون زى الحصان نهارا وبعد ساعات يئن ويتوجع من لاشىء فى أغلب الأحيان وفورا يصدر الأوامر باغلاق باب حجرته عليه ورفع التليفون منها وعدم تحديد مواعيد لحين صدور أوامر أخرى !؟ لذلك فأنا محرومة من متعة الحياة الاجتماعية بمفهومها العريض الذى تتمتع به الزوجات والازواج العاديون !

أقول بصراحة .. أنني قد تمر على عدة أيام لا أنعم فيها بجلسة كاملة مع زوجي عبدالوهاب ، ومع ذلك فان حياتي معه هي الحياة الحلوة التي أتمناها بل وتتمناها كل سيدة في هذا العصر، فعبد الوهاب زوج لطيف ومحب مخلص .

وأنا كزوجة - أي زوجة - لدي مشاعري وأحاسيس ولكنني - أفرمل - الكثير منها وأبعدها من تفكيري ، لأنني زوجة رجل غير عادي .. رجل فنان .. هو محمد عبدالوهاب ، فالتليفون مصدر تعبي إلى حد كبير لأن المعجبات على طول الخط وعندما اسمع منه كلمة - ايوه ياحياتي - أكاد أجن ولكن مع طول المعاشرة والألفة والفهم المتبادل .. عرفت أن - أيوه ياحياتي - يطلقها لكل صوت على التليفون أو حتى في المواجهة ، عرفت أنها غير التي يقولها لي أنا .. نعم أنا زوجته - الأولى بضاعة والشغل عاوز كده .. المجاملة لابد منها ياحياتي ولن أخسر شيئا .. هكذا كان يردد أمامها دائما !

أما أيوه ياحياتي التي يقولها لي فهي الصادرة من أعماقه .. وهي لذلك تتميز برنين الصدق العميق !

كنت أغار.. ومازلت أغار حتى من أصدقائه الكثيرين لأنه يقضي معهم وقتا أطول بكثير من الوقت الذي أنعم أنا فيه بالجلوس والتحدث إليه .. ولكن ما فائدة الغيرة .. عذاب .. شجار.. فراق .. وهذا ما أبعدني الله عنه .. لأنني عرفت عبدالوهاب زوجا مخلصا إلى أبعد الحدود ولأنني أعرف جيدا الدور الكبير الذي يجب

أن تقوم به زوجة الفنان الكبير وهذا يجعل - لغيرتي - حدودا .. حتى إنها لا تعدو - نصف تكشيرة لمدة نصف دقيقة تذهب بعدها إنفعالاتي فور أن أسمعه يقول لي انت زعلانه ياحياتي .. أعمل ايه .. وأنا جالس مع الناس بفكرى وجالس معك - على البعد بقلبي - هل يمكن أن أسمع هذا الكلام الحلو .. ولا تتبدد الغيرة من صدرى على الفور !!

وقد تحسدني الكثيرات لأنني أنعم قبل أية واحدة في العالم العربي بسماع الحان زوجي قبل أن تسجل ويسمعها الناس ، وأنا فخورة بهذا خاصة أن زوجي عندما يطلب منى رأيي في لحن من الحانه الوليدة .. قائلا تعالى يا شعبي العزيز أسمعك المولود الجديد على أن تعطيني رأيك بصراحة .. وأسمع اللحن وأفضى اليه برأيي صراحة ، فإنه يستمع إلى رأيي ويتمتم مضبوط .. تمام .. عندك حق !

وأحس أنا أن الموسيقار الزوج قد أخذ بوجهة نظرى ، ولكن سرعان ما اتبين أنه اخذني على قد عقلي وأنه لم ينزل إلى رأيي - رأى الشعب - الذى هو أنا .. بل أصدر لنفسه امرا دكتاتوريا - بالإبقاء على النص اللحنى كما هو بلا زيادة أو نقصان !

وقبل أن اتزوج محمد عبد الوهاب كنت أعرف أنه دائما قمة فى الأناقة وحسن الإختيار لملابسه .. واشتهر عنه ولعه بربطة العنق .. وأنه يجمع مئات منها وكلها تنطق بالذوق الرفيع والأناقة ..

وقد حافظت على أناقة عبدالوهاب من خلال حرصى على مظهره ، فقبل مغادرته للبيت أقوم بعملية – معاينة – لكل ما يرتديه ، وهل الانسجام تام بين البذلة وربطة العنق والجورب والحذاء .. وذلك لأننى أعرف أن مظهر الزوج هو إنعكاس يشير إلى ذوق الزوجة وحسن عنايتها بزوجها ورعايتها له .. ولهذا فأنت ترى عبد الوهاب دائما فى أبهى مظهر ولايمكن أن تراه إلا مهندما وعلى سنجة عشرة – كما يقولون – ولايزال زوجى هو أشيك الفنانين .. بل من أشيك رجال العالم كله .. بلا فخر!

(تم الكتاب)

الفهـرس

صفحة

رقم الايداع : ٤٤٢٠ / ١٩٩١
I. S. B. N
977 - 07 - 0082 - 7

كتاب الهلال القادم

عبد الناصر

بقلم

فتحى رضوان

يصدر : ٥ يوليو ١٩٩١

هــذا الكتــاب

هذا الكتاب يروى أسراراً هامة فى حياة الفنان الكبير الراحل محمد عبد الوهاب كما رواها بنفسه للكاتب الصحفى لطفى رضوان .

والكتاب لا يكتفى برواية سيرة الفنان الذاتية بكل ما فيها من جموح وعبقرية وفشل ونجاح ، ولكنه يتخطى ذلك إلى رأى عبد الوهاب الصريح فى الناس والحياة والمثقفين والزعماء والموسيقيين والمطربين والشعراء والمرأة والحب .

وهو يلقى الضوء على عصر بأكمله ، قدر لعبد الوهاب أن يعيشه - لا على الهامش - ولكن صانعا للأحداث أو مشاركا فيها أو متابعا لها .

وإذا كانت هناك العشرات من الكتب التى صدرت عن الفنان ، فإن هذا الكتاب - بالذات - يتميز بانه يمثل منبعاً خصباً لكثير من الكتب التى صدرت عن الفنان والسيرة الذاتية الأكثر دقة وتعبيرا عن الحياة الفنية .